صفحات مضيئة

من حياة السابقين

(مواقف وكلمات)

الجزء الأول

تأليف

إبراهيم محمد العلي

دار القلم

دمشق

صفحات مضيئة

من حياة السابقين

(مواقف وكلمات)

الطّبْعَة الأولىٰ

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

تُطلبُ جميعُ كتُبنا مِنْ :

دَارُ القَلَم - دمَشْق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدّار الشاميّة - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزّع جميع كتبنا في السّعوديّة عن طريق

دَارُ البَشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

صَفَحاتٌ مُضِيئَةٌ

مِنْ حَياةِ السّابقين

(مواقف وكلمات)

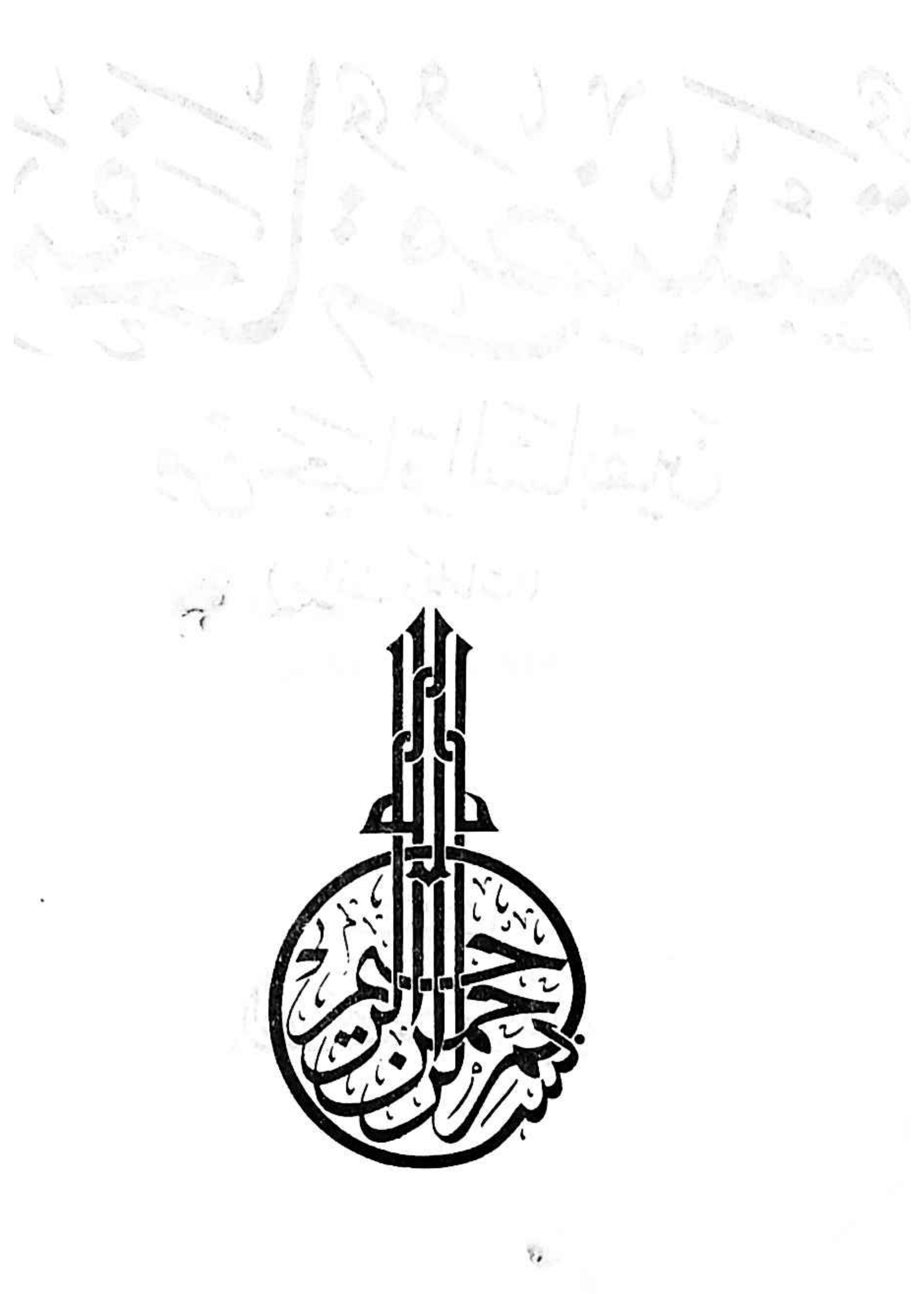
تأليف

إبراهيم محمّد العلي

الجزء الأول

دار القلم
دمشق

الدّار الشّاميّة
بيروت



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، مَنْ يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلِلْ فلا هادي له ، أما بعد :

إن المسلم المعاصر أحوج ما يكون لنماذج من القدوات ، يقتدي بهم ويسير على طريقهم ، وتاريخنا الإسلامي مليء بهذه النماذج ، وحين يقرأ المسلم عن هذه النماذج يمتلىء فخراً بأنه ينتمي إلى هذه الأمة ، وأنه يشكل عنصراً بنَّاءً فيها .

إن أمة الإسلام فيها مُثُلٌ عليا في تاريخها وما أكثرها ، وهذه المُثل هي وحدها التي تجعل للحياة قيمة ومعنى ، وتجعل معتنقها مفيداً لعقيدته ، مخلصاً لأمته ، أميناً على المصلحة العليا ، بعيداً عن الشيطان ، قريباً من الله ، ولأجل هذا أوردت هذه القصص والمواقف والأحداث التي تبني ولا تهدم ، تعمِّر ولا تخرب ، وتقيم القلوب والعقول معاً على أسس رصينة من الإيمان العميق .

وقد عشت مع كتب التراجم والسِيَرَ فترة طويلة من الزمن ، أكسبتني محبة عميقة لعظماء هذه الأمة وما أكثرهم ، فوجدت من باب الوفاء لهذه المحبة أن أفشي مآثرهم ، وأنشر فضائلهم ، وأذكر مواقفهم التي تبين عظمتهم ، فحدَّثت بهذه المآثر في دروس رمضان ، فوجدت هذه الدروس قبولاً في قلوب السامعين ، ولقد عرضت بعض هذه المواقف على أخي العلامة الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله فسر بذلك ، وشجعني على إخراجها في قالب موحد .

إن حياة المرء تنتهي بالموت ، وحياة الدنيا محدودة بالأيام والأشهر والسنين ، وحياة الآخرة بلا حدود ، فلا ينبغي أن نعمل لحياة فانية ، ولانعمل لحياة باقية ، وهذه القصص تحثُّ على العمل الصالح في الدنيا للآخرة ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧] .

وبعد : فإن صحبة العلماء في أخبارهم ترفع من درجات أهل عصرنا ، ويصدق قول الشيخ بشير الغزي الحلبي رحمه الله :

رأيت الطين في الحمام يوماً ... بكفِّ الحب أثَّر ثم نسَّم

فقلت له : أَمِسكٌ أم عبير ... لقد صيرتني بالحب مغرم

أجاب الطين إني كنت ترباً ... صحبت الورد صيرَّني مكرَّم

ألفت أكابراً وازددت علماً ... كذا من عاشر العلماء يكرم

والمرء حين يصاحب قوماً فترة من الزمن عدَّه الناس منهم ، والذي يصاحب اللئام عُدَّ منهم ، والذي يصاحب الكرام عدَّه الناس منهم ؛ كما قال أحد الشعراء :

بعشرتك الكرام تُعَدُّ منهم ... فلا تُرَيَنْ لغيرهم ألوفا

وختاماً : فإن العلم يُذكر أهله على وجه الدهر ، ولو كانوا في حياتهم فقراء معوزين ، وإذا كان العُدم لحق بهم ، فإنما لحق بهم في مظاهر الحياة الماضية الزائلة ، ولكنهم عاشوا بعد موتهم أغنياء بالذكر الحسن ، والسيرة العطرة ، وكانوا القدوة الحسنة لمن بعدهم في التذرع بالصبر عند الشدائد ، فلم يزالوا بذلك أحياء في الناس وإن ماتوا ، ولم يفت التخلق بأخلاقهم الحميدة وإن فاتوا :

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكتب والسير

وكما قال الآخر :

يموت قوم فيُحيي العلم ذكرهم   والجهل يلحق أمواتاً بأموات

وفيما يلي أقدم الجزء الأول من هذا الكتاب فإن استطعت أن أحقق أملي في إحياء بعض القلوب الميتة بهذه القصص الهادفة لتعيد بالإيمان الصادق إليها الحياة من جديد ، ولتبعث فيها الأمل المشرق ؛ فذلك من توفيق الله وله الفضل والمنة ، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله من هذا الخطأ براء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إبراهيم محمد العلي

٦ ربيع الأول ١٤١٥هـ

١٤ آب ١٩٩٤م

التمهيد

إن التاريخ ليس علم الماضي ، بل هو علم الحاضر والمستقبل ، وهو الذي يهدي الأمة ويقود خطاها ، وهو ذاكرة الأمة ، وهو كما يقول الأستاذ العقاد :

(التاريخ عِرْض الأمة) ، والعرض هو موضع الذم والقدح من الإنسان ، كما هو موضع الثناء والمدح ، ومن لا يحرص على عرضه ؟! .

وإذا كان التاريخ بهذه الأهمية للأمم ، فهو أشد أهمية للأمة الإسلامية ، وحمايته وصيانته أكثر ضرورة . وذلك أن التاريخ بالنسبة لأمتنا هو الإسلام مطبقاً على أرض الواقع ، ومن أجل هذه الأهمية فإن على أبناء هذه الأمة أن يهتموا بتاريخ أمتهم ، ويحرصوا على بيان ملامحه ، والصور المشرقة فيه ، وأن يبيّنوا أبرز المواقف وأهمها التي قام بها عظماء هذه الأمة ، وأن يبينوا ما تميزوا به من العظمة ومكارم الأخلاق ، والتفوق العقلي ، وما إلى ذلك من المثل العليا عند الأفراد والأمم .

« فإذا نحن علمنا أن محاكم الولايات المتحدة الأمريكية حكمت على أحد رعاياها واسمه بول هسنر في ١٩١٦/١٢/٢٩ منذ حوالي سبعين عاماً تقريباً بالسجن أربعة أشهر لأنه ذكر أن جورج واشنطن استحلى مرة خادماً كانت عند جيران له ، لم نستغرب أن يقوم المسلمون بالدفاع عن تاريخ أمتهم ، وعن عظماء هذه الأمة الذين أقل رجل فيهم يساوي الآلاف والمئات من أمثال واشنطون وغيره »[١] .

ومن هذا يتبين أهمية التاريخ كعلم تربوي توجيهي بعيد الأثر ، بليغ السطوة في تكوين الأجيال وصياغة الأمم ، وفي تاريخنا من الروعة

---

(١) كلمة في تعليل التاريخ(عمر فروخ) ص ١٧ .

والإيجابية ، ما لو وجه توجيهاً سليماً في تربية أجيالنا ، لنتج من خلال هذا التوجيه رجال عظماء مثل العظماء الذين سنورد بعض حكاياتهم ومواقفهم .

إن الإسلام الذي كان له الدور الفاعل في إخراج أجيال قادت البشرية قروناً طويلة على طريق الخير ، قادر على أن يخرج أجيالاً أخرى بنفس المستوى إن هم تعاملوا مع هذا الدين بنفس الروح والشفافية التي تعامل بها سلفنا الصالح .

فوائد ذكر القصص والحكايات :

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته :

« اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا »[1] .

وقد حث رب العزة عز وجل على الاعتبار بآثار الأمم السابقة وأحوالهم ، فذكر في كتابه العزيز كثيراً من أخبار الأنبياء والأمم والملوك الذين أخذت قصصهم شريحة كبيرة من آيات القرآن الكريم ، مما يدل على الأهمية البالغة والأثر الكبير لهذه القصص وهذه الأخبار :

قص الله على رسوله قصص السابقين في القرآن :

قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه : ٩٩] .

وعقب على قصص الأقوام السابقين وما جرى لهم :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] .

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

---

(١) كلمة في تعليل التاريخ (عمر فروخ) ص ١٧ .

وقد أمر الله تعالى نبيه بأن يقص على الناس القصص ليدفعهم إلى التفكر والاعتبار ، فقال :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

وعقَّب على قصص الأقوام المعذبين الذين أصابهم العذاب نتيجة عصيانهم محذِّراً الذين يأتون بعدهم أن كفعلهم فيصيبهم ما أصابهم فقال :

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [غافر: ٢١].

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠-٣١].

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ١].

فإذا كان لأخبار وقصص الأمم الماضية هذه الأهمية الكبيرة ، فإن تاريخنا الإسلامي المليء بالصفحات المشرقة والمواقف المعبِّرة ، والهمم العالية ، أكثر أهمية ، وأغزر فوائد ، ولهذا سأبين فيما يلي فوائد ذكر الأحداث والقصص من تاريخنا الإسلامي :

١- سماع القصص وقراءة الأحداث والوقوف أمامها وتدبرها ، يقود إلى التفكر ، والتفكر عملية عقلية ، يعمل بها الإنسان فكره ويشغل عقله ، فيقف على مواطن العبرة والعظة ، فالتفكر والاتعاظ ثمرة من ثمرات قراءة

قصص السابقين ، ونتيجة لسماع القصص ، وهدف رفيع يجب أن يهدف إليه كل من قرأ قصص القرآن وغيره من القصص أو سمعه .

قال تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٥-٤٦].

٢- سماع القصص يغذي العقل ، وينمي الفكر ، ويخصب التجارب ، بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله ، وجرب الأمور بأسرها ، وشاهِدُ هذا من قوله تعالى : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

ومن هنا نرى عباقرة الإسلام من الحكام - كمعاوية رضي الله عنه - يعنون بدراسة التاريخ عناية فائقة ، فلقد كانت له أوقات معينة من كل ليلة تقرأ عليه فيها أخبار الأمم والدول الماضية ، وأخبار سياساتها ، ومعالجتها لشؤون الحكم ، وكان لديه رجال مختصون بتهيئة هذه المجالس وما يكون فيها من أحاديث .

ولا يقتصر هذا الأمر على رجل السياسة فقط بل يشاركه في ذلك رجل الدعوة ، وكل مشتغل بالأمور التوجيهية من معلمين وإداريين وقادة ورؤساء جمعيات . ومن ثم نرى أن أئمة الدعوة يستعينون بدراسة الأخبار الماضية في إنجاح دعواتهم ، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية ودراسته لتاريخ قبة الصخرة حين أراد أن يفتي بعدم شرعية تعظيم هذه الصخرة ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ حسن البنا حين درسا السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ليستعينا بهذه الدراسة في الدعوة إلى استئناف الحياة الإسلامية .

بل إن العالم الانجليزي (ج . بريستل) يذهب إلى أن التاريخ هو المادة الضرورية لإعداد كل مواطن يمتاز بوعي اجتماعي .

٣- سماع القصص ودراسة الأخبار عن الهداة من الأنبياء والأئمة والمصلحين تشد من عزيمة القارىء ، وتبعث من همته ، وتقذف في نفسه

الصبر والقوة والصمود ، نستلهم هذا من قوله تعالى :

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

فالقصص والأحداث تعين على تثبيت الفؤاد على الحق ، واستعلائه به على كل قوى الباطل ، وإيثاره لما عند الله ، ويقينه بوعد الله ، وبقائه مع جنود الله ، ومواجهته لأعداء الله ، واستمراره على هذا النهج حتى يلقى الله .

ومسلمو هذا الزمان أحوج ما يكونون إلى تحقيق هذا الهدف ، وفيما سأذكره من المواقف والأحداث ما يحقق التثبيت لأفئدتهم والطمأنينة لقلوبهم ، ويرسخ على الحق وطريقه مواقعهم ، ويثبت على طريق الحق أقدامهم .

نعم نحن في هذا العصر أحوج الناس إلى العيش مع هذه الأحداث لكثرة المثبطات والمعوقات ، والمغريات ، التي تميز بها هذا العصر ، واشتداد المعركة بين الحق والباطل ، وهجمة أهل الباطل الشرسة ضد جنود الحق ، وغياب الوجود الإسلامي الواقعي المتمثل في مجتمع وكيان ونظام[١] .

٤ـ إن في سماع القصص ومعرفة الأحداث والمواقف للسابقين فائدة اجتماعية أخلاقية ، وإن شئت فقل (فضيلة أخلاقية) ، ذلك أنه ينصف الرجال الذين ظلمهم أهل عصرهم ، فأساؤوا القالة فيهم ، والحكم عليهم ، فيجيء التاريخ بدوره ، ويَعْدل فيهم بإظهار حقيقتهم ، وتفنيد المظالم التي وقعت عليهم ، كما أنه قد يفعل العكس فيميط اللثام عن واقع أشخاص ممن استطاعوا أن يستأثروا بتعظيم معاصريهم بسبب ما توفر لديهم من مال وسلطان أو ذكاء ، استعمل في غير وجهه .

مثل إنصاف التاريخ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، حيث لاقى ما لاقى في حياته ، ومات حبيساً في قلعة دمشق ، فكشف عن فضائله

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن للدكتور صلاح الخالدي حفظه الله (١/ ٢٦ـ٢٨).

وخصائصه ، فيكون بعد هذا الإنصاف من أكبر الأئمة المقدرين في صفوف الدعاة المتدينين في أيامنا هذه .

ومثله السلطان عبد الحميد رحمه الله الذي ظلمه أهل عصره ، تنفيذاً لمخططات أجنبية محكمة ، ولكن بدأ التاريخ يميط اللثام عن حقيقته ، وشرع يعطيه المكانة المرموقة التي يستحق أن يكون فيها .

٥ـ إن في دراسة القصص وسماعه والاطلاع عليه مسلاة إذا نزل بالإنسان هم أو غم . فحين يقرأ ويسمع ما أصاب السابقين من البلاء أو الهم ، فصبروا على ذلك ولم ينهاروا أمامها شعر بقوة في نفسه ، وراحة في قلبه ، ووجد في قصصهم مسلاة وعزاء وجلاء لهمه ، وذهاباً لغمه ، بل يجد زيادة على ذلك مسرة ومتعة حين يشعر أنه يسير ضمن قافلة من العظماء والمصلحين تحملوا من الأعباء والبلاء ما تنوء بحمله الجبال ، فهو لن يكون فريداً وحيداً في الميدان أمام البلاء والهموم وإنما له في هذا الميدان نظراء وأشباه فاقوه في تحمل البلاء والصبر عليه ، وفي هذا عون كبير له .

٦ـ إن في سماع القصص والأخبار عبرة وعظة ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وفي هذا يقول أخي العلامة صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله تعالى :
« العبرة من العبور ، وكأن الواحد منا عندما يقف أمام قصص السابقين في القرآن ، يعبر إلى الماضين ، كأنه يتخلص من قيد الزمان والمكان ، ويتحرر من أسر الواقع ، ويستعلي على النظر القاصر القصير ، وينطلق إلى عوالم فسيحة من تاريخ الأقدمين ، وقصص السابقين ، فيعايشهم ويراقبهم ويتعظ بهم .

إنها نماذج بشرية مكرورة ، تقدمها لنا قصص السابقين في القرآن ، نماذج المؤمنين ونماذج الكافرين ، نماذج الضعفاء الأذلاء ، ونماذج الرجال

الصادقين الأقوياء ، وإنها لقيم دائمة توحي لنا بها قصص السابقين ، قيم الحق وقيم الباطل ، قيم الفضيلة ، وقيم الرذيلة .

إنها المعركة المستمرة بين الحق والباطل ، وإن التاريخ يعيد الكثير من ميادين هذه المعركة وأساليبها وصورها ، ومجالاتها ، ولا يختلف إلا الأشخاص فقط .

كم يقدم لنا قصص القرآن من دروس ودلالات وعبر ، من قيم وحقائق وسنن ، ومن زاد وعدة وسلاح ، ومن طمأنينة وثقة وسعادة وثبات »[1] .

٧ـ إن دراسة القصص وسماع الأخبار يحقق التعارف الذي ندبنا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] وأي فرق بين أن نتعارف نحن وأهل عصرنا ، أو بين تعارفنا نحن والسابقين عن طريق دراسة تاريخهم .

إن كلا التعارفين سيجر في كثير من الأحوال إلى الإعجاب ، فالحب ، وهذان يجران إلى التأسي والاقتداء .

ودراستنا لقصص السابقين من الأئمة والهداة والمصلحين تقودنا إلى الإعجاب بمواقفهم ، وتملأ قلوبنا بالحب لهم ، ثم يسوقنا هذا الحب إلى التأسي والاقتداء ، وهذه الدراسة تحقق التعارف والحب والتأسي .

٨ـ إن في دراسة القصص وسماع الأخبار وسيلة لا بد منها من وسائل الدعوة ، وأسلوب ضروري لإحقاق الحق ، ومحاربة الباطل .

إن السامعين يفرقون بين رجلين من المتحدثين ، بين رجل يعرض أفكاره ودعوته من خلال القصص ، وبين رجل آخر يعرض الأفكار نظرية مجردة مثالية جافة .

إنهم يتفاعلون مع الأول منهما ويتأثرون به ، ويؤيدونه ، وينقادون

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن (١/ ٢٨).

إليه ، وعلينا نحن الدعاة أن ننفذ أمر الله بقوله ﴿فاقصص القصص﴾ وأن نستخدم هنا الأسلوب الرباني الحكيم[1][2].

من أقوال أهل العلم

في الحث على ذكر مناقب العلماء والصالحين

إن لأهل العلم رأياً في فوائد ذكر القصص والأخبار التي تحكي أحوال الصالحين ، والأئمة المهتدين ، الذين أسهموا إسهاماً كبيراً في بناء الحضارة الإسلامية ، أوردها فيما يلي :

١ـ قال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى : « الحكايات عن العلماء ومحاسنهم ، أحب إلي من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم وأخلاقهم »[٣].

٢ـ سئل الجنيد رحمه الله تعالى : ما للمريدين في مجازات الحكايات؟

فقال : الحكايات جند من جنود الله يقوي بها قلوب المريدين .

قيل له : فهل في ذلك شاهد؟

فقال : نعم! قوله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[٤] [هود: ١٢٠].

٣ـ مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : « إذا ذكر الصالحون فأفٍّ لي وتف »[٥].

وقال : « الحكايات تحف الجنة »[٦].

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن (١/ ٢٣ـ٢٤).

(٢) استندت في هذه الفوائد للقصص والتاريخ من نظرات وفكر في التاريخ للدكتور أحمد محمود الأحمد (ص٣٠ـ فما بعدها).

(٣) جامع بيان العلم وفضله(١/ ١١٧) ترتيب المدارك(١/ ٥٢).

(٤) تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٨) ترتيب المدارك (١/ ٥٢).

(٥) حلية الأولياء (٢/ ٣٦٢).

(٦) اللقط في حكايات الصالحين لابن الجوزي عزاه إليه الشيخ عبد ا لفتاح أبو غدة

٤ـ بشر بن الحارث الحافي قال :

« بحسبك أن قوماً موتى تحيا القلوب بذكرهم ، وأن قوماً أحياء تقسو القلوب برؤيتهم »[١] .

٥ـ قيل لمحمد بن سعيد : ماذا لترديد القصص في القرآن؟

فقال : ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ في الاعتبار »[٢] .

٦ـ عن حماد بن عبد الرحمن قال :

« العلم دراية ورواية ، وخبر وحكاية »[٣] .

٧ـ أبو الفضل الرازي قال :

« إن الإنسان إذا ابتلي ببلية ومحنة ، ورأى له مشاركاً ، خف ذلك على قلبه »[٤] .

٨ـ سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال :

« عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة »[٥] .

٩ـ قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه : « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » :

« واعلم أن في ذكر السير والتاريخ فوائد كثيرة ، من أهمها أن يطلع بذلك على عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر ، وسماع الأخبار ، فالنفس تجد راحة بسماع الأخبار . قال أبو عمرو بن العلاء : قيل لرجل من بكر بن وائل ـ قد كبر وذهبت منه لذة المأكل والمشرب والنكاح ـ :

= في صفحات من صبر العلماء (ص ١٨).

(١) الرقائق ص ٣٤ .

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ص ١٧٨ .

(٣) تاريخ قضاة الأندلس ص ١٧٨ .

(٤) تاريخ قضاة الأندلس ص ١٧٨ .

(٥) ترتيب المدارك (١/ ٥٢).

أتحب أن تموت؟ قال : لا ، قيل : فما بقي من لذتك في الدنيا؟ قال : أستمع العجائب »

١٠ـ قال أحد العلماء : « استكثروا من الحكايات فإنها درر وربما كانت فيها الدرة اليتيمة »

وعلق عليه أستاذنا الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله تعالى بقوله : « يعني بالدرر أنها تغني عن الكلام الطويل ، بما تضمنته في الموضوع الذي تساق فيه ، ويعني بالدُّرَّة اليتيمة : أنها الحكاية التي لا تدع زيادة لمستزيد ، في أداء المعنى الذي يُستَشهَدُ بها فيه »[1].

١١ـ سماحة العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي حفظه الله تعالى قال :

« لقد قرن الله العلم منذ خلقه بالصبر ، وسموِّ الهمة ، والإجلال له ، والغيرة عليه ، وزهد في الدنيا ، وتقشف في الحياة ـ مدة الدراسة والتحصيل على الأقل ـ وسهر الليالي ، والجِد في الطلب ، والدُّعاء والإنابة ، والتنقل في سبيله ، والبحث عن مصادره وأئمته ، والتواضع لهم ، ومعرفة فضلهم ، وشكرهم .

وكُتُبُ التراجم والسيرَ في الإسلام ـ وهي أوسع مكتبة وأثراها في تاريخ أمة من الأمم ، العلمي والتأليفي ـ زاخرة بهذه الأخبار التي تثير الهمم ، وتشعل المواهب ، وتنفخ في القارىء روحاً جديدة وحماساً جديداً ، وتعالج الفتور في الهمم ، والقناعة بالدُّون ، والخمود في الطبائع ، والاشتغال بسفاسف الأمور : معالجة رفيقة حكيمة ، لا يستثقلها القارىء ، ولا يشعر بمرارة الدواء ، أو لذع آلة الجراحة .

وقد اتفق علماء النفس والتربية على أن القصص والأخبار والنماذج من السيرة والحياة أكبر مؤثر في النفس ، وأقوى عامل من عوامل التربية ، وقد جاء ذلك في القرآن صريحاً ومكرراً ، فقال : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ ، وقال : ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ وقال مخاطباً

---

(١) صفحات من صبر العلماء (ص١٨).

لنبيه : ﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾[1] » .

١٢ـ يقول العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله تعالى :

« إنَّ خير وسيلة لإشعال العزائم ، وإثارة الروح الوثابة ، وقدح المواهب ، وإذكاء الهمم ، وتقويم الأخلاق بصمت وهدوء ودون أمر أو نهي ، والتسامي إلى معالي الأمور ، والترفع عن سفسافها ، والائتساء بالأسلاف الأجلاء ، هو قراءة سير نبغاء العلماء الصلحاء ، والوقوف على أخبار الرجال العظماء ، والتملي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين ، والاقتراب من العلماء النبهاء العاملين المجدين .

فذلك خير مهماز لرفع الهمم ، وشدِّ العزائم ، وسمو المقاصد ، وإنارة القلوب ، وإخلاص النيات ، وتفجير النبوغ والطاقات المدفونة ، والصبر على اجتياز العقبات والصعاب ، واحتلال ذرى المجد الرفيع ، وكسب الذكر الحسن ، واغتنام الباقيات الصالحات »[2] .

١٣ـ يقول الأستاذ العلامة محمد قطب حفظه الله تعالى محدِّثاً عن أثر القصص في نفسية السامع والقارىء :

« في القصة سحر يسحر النفوس! أي سحر هو وكيف يؤثر على النفوس؟ لا يدري أحد على وجه التحديد : أهو انبعاث الخيال يتابع مشاهد القصة ويتعقبها من موقف إلى موقف ، ومن تصرف إلى شعور؟

أهو المشاركة الوجدانية لأشخاص القصة وما تثيره في النفس من مشاعر تنفجر وتفيض؟ أهو انفعال النفس بالمواقف حيث يتخيل الإنسان نفسه في داخل الحوادث ، ومع ذلك فهو ناج منها متفرج من بعيد؟

أياً كان الأمر فسحر القصة قديم قدم البشرية ، وسيظل معه حياتها كلها على الأرض . . . لا يزول؟!

وأياً كان الأمر فلا شك أن قارىء القصة وسامعها لا يملك أن يقف موقفاً

---

(١) مقدمة صفحات من صبر العلماء (ص ١٣).

(٢) مقدمة صفحات من صبر العلماء (ص ١٨).

سلبياً من شخوصها وحوادثها ، فهو ـ على وعي منه أو غير وعي ـ يدس نفسه على مسرح الحوادث ويتخيل أنه كان في هذا الموقف أو ذاك ، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق ، أو يستنكر ، أو يملكه الإعجاب »[1] .

١٤ـ الشاعر ياسين خليل يتحفنا ببعض من أبياته الشعرية في بيان سمت الصالحين وسبب تأثر الأجيال بهم :

يمشون نحو بيوت الله إذ سمعوا ... الله أكبر في شوق وفي جذل
أرواحهم خشعت لله في أدب ... قلوبهم من جلال الله في وجل
نجواهم : ربنا جئناك طائعة ... نفوسنا ، وعصينا خادع الأمل
إذا سجى الليل قاموه وأعينهم ... من خشية الله مثل الجائد الهطل
هم الرجال فلا يلهيهم لعب ... عن الصلاة ، ولا أكذوبة الكسل[2]

علو الهمة عند السابقين

سترى في الأخبار الآتية والوقائع المذكورة في هذا الكتاب : عزائم خارقة ، وهمماً سامقة ، لا يبلغ الخيال ـ عند بعض الناس ـ إلى ما بلغته حقيقة ، من احتلال ذروة الفضل والمجد وارتقاء سنام العلم والمكانة الرفيعة ، وحيازة الذِّكر العطر الدائم ، والأجر الباقي المستمر ، وغير ذلك من الفضائل والمآثر .

وأصحاب تلك العزائم لا يختلفون عنَّا في طبيعتهم الإنسانية وقُدَرِهم الخِلقية ، وإنما يختلفون عنا في علوِّ الهمة ، ودأب العزيمة ، وتجشم الصعاب ، وامتطاء العقبات ، فما كان فوزهم بما فازوا به ناشئاً عن شيء ليس في وسعنا الوصول إليه ، أو الحصول عليه ، أو ناشئاً عن معجزات سماوية أُكرِموا بها ، أو خوارق عادات أوتوها ، وحُرمنا منها نحن ولم نؤتَها ، بل إن بلوغهم ما بلغوه ، وفوزهم بما نالوا ، إنما يعتمد على (علو

---

(١) منهج التربية الإسلامية (١/ ١٩٢ـ١٩٣).
(٢) مجلة الاتربية الإسلامية العراقية (٥/ ١٠٠).

الهمة) ، ومضاء العزيمة ، وتزايد الصبر والدأب ، حتى إدراك الأمنية والطلب .

وللإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، في كتابه النافع العجاب « صيد الخاطر » كلمات قالها في (علو الهمة) ، تحدَّث بها عن نفسه في علو همته ، استحسنتُ أن أجمع جُملاً منها ، وأوردها في هذه الصفحات ، لعلها تحفز الهمم إلى أعالي المعالي ، وتأخذ بعَزَمَاتِهِم إلى بلوغ الأماني فإن العزائم يشحذ بعضها بعضاً ، قال رحمه الله تعالى ، مايلي :

« من علامة كمال الإنسان علو الهمة ، والراضي بالدون دنيء! قال الشاعر :

إذا مـــا عـــلا المـــرء رام العُلى ويقنـع بـالـدون مـن كـان دونـا!

وما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته ، فإن من علت همته يختار المعالي ، وربما لا يساعد الزمان ، وقد تضعف الآلة ، فيبقى في عذاب ، وإني قد أعطيتُ من علو الهمة طرفاً ، فأنا به في عذاب! ولا أقول : ليته لم يكن ، فإنه إنما يحلو العيش بقدر عدم العقل! والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل! ومن رزق همة عالية يعذب بمقدار علوها ، كما قال الشاعر :

وإذا كـــانـــت النفـــوس كبـــاراً تعبـــت في مـــرادهـــا الأجســـام

وبيان هذا أن من علت همته ، طلب العلوم كلها ، ولم يقتصر على بعضها ، وطلب من كل علم نهايته ، وهذا ما لا يحتمله البدن .

ثم يرى أن المراد العمل ، فيجتهد في قيام الليل وصوم النهار ، والجمع بين ذلك وبين العلم صعب ، ثم يرى ترك الدنيا ، ويحتاج إلى ما لابد منه ، ويحب الإيثار ، ولا يقدر على البخل ، ويتقاضاه الكرم البذل ، ويمنعه عز النفس عن الكسب من وجوه التبذل .

والعالي الهمة يرى التقصير في بعض العلوم فضيحة ، قد كشفت عيبه ، وقد أرت الناس عورته ، والقصير الهمة لا يبالي بمنن الناس! ولا يستقبح سؤالهم! ولا يأنف من رد! والعالي الهمة لا يحمل ذلك ، ولكن تعب عالي

الهمة راحة في المعنى ، وراحة قصير الهمة تعب وشين إن كان ثَمَّ فهم! والدنيا دار سباق إلى أعالي المعالي ، فينبغي لذي الهمة العالية ألاّ يقصر في شوطه ، فإن سبق فهو المقصود ، وإن كبا جواده مع اجتهاده لم يُلمْ .

واللذات كلها حاصلة بين حسي وعقلي ، فنهاية اللذات الحسية وأعلاها : النكاح ، وغاية اللذات العقلية : العلم ، فمن حصلت له الغايتان في الدنيا فقد نال النهاية .

وأنا أرشد الطالب إلى أعلى المطلوبين ، غير أن للطالب المرزوق علامة ، وهو أن يكون مرزوقاً علو الهمة ، وهذه الهمة تولد مع الطفل ، فتراه من زمن طفولته يطلب معالي الأمور ، كما يروى في الحديث أنه كان لعبد المطلب مفرش في الحجر ـ بجوار الكعبة المعظمة ـ . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي وهو طفل فيجلس عليه ، فيقول عبد المطلب : إن لابني هذا شأناً[1] .

* * *

---

(١) صفحات من صبر العلماء (ص١٤٠ـ١٤٤) بتصرف.

مواقف وكلمات خالدة

١ـ من أراد الله إطلاقه لا أقدر على منعه :

روى الحافظ الحميدي صاحب ابن حزم الظاهري وتلميذه ، في كتابه« جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس » ص(١١٨) وابن خلكان في كتابه« وفيات الأعيان » (١/ ٣٤١) ما نصه :

أن الوزير أبا عمر أحمد بن سعيد بن حزم ـ والد ابن حزم ـ كان جالساً بين يدي مخدومه المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر ، في بعض مجالسه للعامة ، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون ، كان المنصور اعتقله حنقاً عليه لجرم استعظمه منه .

فلما قرأها اشتد غضبه وقال : ذكرتني ـ والله ـ به ، وأخذ القلم وأراد أن يكتب : يُصلب ، فكتب : يطلق ، ورمى الورقة إلى وزيره المذكور ، وأخذ الوزير القلم وتناول الورقة ، وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة ، فقال له المنصور : ما هذا الذي تكتب؟ قال : بإطلاق فلان ، إلى صاحب الشرطة ، فحرد وقال : من أمرك بهذا؟ فناوله التوقيع . فلما رآه قال : وهمت ، والله ليصلبن ، ثم خط على التوقيع ، وأراد أن يكتب : يُصلب ، فكتب : يطلق ، فأخذ الوزير الورقة ، وأراد أن يكتب إلى الوالي بالإطلاق ، فنظر إليه المنصور ، وغضب أشد من الأول ، وقال : من أمرك بهذا؟ فناوله التوقيع ، فرأى خطه ، فخط عليه .

وأراد أن يكتب : يُصلب ، فكتب : يطلق ، وأخذ الوزير التوقيع ، وشرع في الكتابة إلى الوالي ، فرآه المنصور فأنكر أكثر من المرتين الأولين ، فأراه خطه بالإطلاق ، فلما رآه عجب من ذلك وقال :

« نعم يطلق على رغمي ، فمن أراد الله إطلاقه ، لا أقدر أنا على منعه » .

٢ـ أن أكون ذنباً في الحق أحب إليَّ من أن أكون رأساً في الباطل :

حكى الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب(٧/ ٧) في ترجمة عبيد الله بن الحسن العنبري ، أحد سادات أهل البصرة ، وفقهائها ، وعلمائها ، وكان قاضيها :

قال عبد الرحمن بن مهدي تلميذه ، كنا في جنازة فسألته عن مسألة فغلط فيها ، فقلت له : أصلحك الله ، القول فيها كذا وكذا .

فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال :

« إذاً أرجع وأنا صاغر ، **لأن أكون ذنبا في الحق ، أحبُّ إليَّ من أن أكون رأساً في الباطل** » .

٣ـ تركي ما لا يعنيني من أمور الناس :

جاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (٣/ ١٧٣) ما نصه :

« قال رجل للأحنف : بأيِّ شيء سُدتَ تميماً؟ فوالله ما أنت بأجودهم ، ولا أشجعهم ، ولا أجملهم ، ولا أشرفهم .

قال : بخلاف ما أنت فيه .

قال : وما خلاف ما أنا فيه؟

قال : **تركي ما لا يعنيني من أمور الناس كما عناك من أمري ما لا يعنيك** » .

٤ـ تلك الأصبع أحب إليَّ من مئة ألف سيف شهير :

جاء في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢١) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٥٩ـ١٦١) عن محمد بن واسع وفضله ومكانته عند الله :

« قال الأصمعي : لما صافَّ قتيبة بن مسلم الترُّك ، وهاله أمرهم ، سأل عن محمد بن واسع .

فقيل : هو ذاك في الميمنة يبصبص ـ أي يحرك ـ بإصبعه نحو السماء .

قال : تلك الأصبع أحبُّ إلي من مئة ألف سيف شهير ـ أي مشهور مسلول ـ وشاب طرير ـ أي شديد البأس » .

٥ـ لو وضعوا الصدق على جرح لبرأ :

روى الحافظ ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص ٣٥٠) :

« عن تميم الرازي : قال : سمعت أبا زرعة الرازي يقول : قلت لأحمد بن حنبل : كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟

فقال : لو وضعوا الصدق على جُرح لبرأ » .

جاء هذا في ترجمة الإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ، أحد الأئمة الأعلام ، إمام أهل السُّنَّة ، الحافظ القدوة أحمد بن حنبل الذُهلي الشيباني المروزي ، ثم البغدادي المتوفى سنة ٢٤١ هـ رحمه الله تعالى .

٦ـ سعيت فأكديت . ورجعت إلى بيتي فأتاني رزقي :

أورد الحريري في كتابه« درة الغواص » ص ( ) ما نصه :

« أن عروة بن أذينة الشاعر ، وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال : ألست القائل :

لقد علمتُ وما الإسراف من خُلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيُعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق .

فقال له : يا أمير المؤمنين ، زادك الله بسطة في العلم والجسم ، ورُد وافدك خائباً ، والله لقد بالغت في الوعظ ، وأذكرتني ما أنسانيه الدهر .

وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ، وتوجه راجعاً الحجاز ، فلما كان في الليل ، ذكره هشام وهو في فراشه ، فقال : رجل من قريش قال حكمة ،

ووفد إلي فجبهته ، ورددته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .

فلما أصبح سأل عنه فأُخبر بانصرافه .

فقال : لا جرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه .

ثم دعا مولىً له فأعطاه ألفي دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذينة وأعطه إياها .

قال : فلم أدركه إلا وقد دخل بيته ، فقرعت الباب عليه ، فخرج إلي فأعطيته المال .

فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سعيت فأكديت ورجعت إلى بيتي فأتاني رزقي .

٧ـ يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً :

جاء في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ( ).

قال أحمد ـ رضي الله عنه ـ ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر الذي وقعت فيه ـ يعني فتنة خلق القرآن ـ أقوى من كلمة أعرابي كلمني في رحبة طوق ـ اسم مكان ـ قال لي : يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً ، فقوي قلبي .

٨ـ جنتي وبستاني في صدري :

يصف الإمام ابن القيم حالة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية حين سجن في قلعة دمشق .

جاء في كتاب (الوابل الصيب) ص ٦٦ـ٦٧ فيقول : « قال لي مرة : ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ـ يعني بذلك : إيمانه وعلمه ـ أين رحت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة »

٩ـ إذا استأثر الله بشيء فالهُ عنه :

روى الحافظ أبو نعيم في الحلية(٥/ ٣٢٦) والإمام أحمد في كتاب الزهد(ص ٣٠٠ـ٣٠١) في ترجمة عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رحمه الله تعالى :

« أن عمر بن عبد العزيز رأى رجلاً يشير بشماله . فقال : يا هذا إذا تكلمت فلا تشر بشمالك ، أشر بيمنك . فقال الرجل : ما رأيت كاليوم ، إن رجلاً دفن أعزَّ الناس إليه ـ وهو ابنه عبد الملك ـ ثم إنه يهمه يميني من شمالي!

فقال عمر : **إذا استأثر الله بشيء فالْهُ عنه** ـ أي اتركه وأعرض عنه ولا تتعرض له .

فقال له الرجل : جزاك الله عن الإسلام خيراً .

فقال عمر بن عبد العزيز : لا ، بل جزى الله الإسلام عني خيراً »

فالخليفة عمر بن عبد العزيز لم يشغله حزنه الذي ملأ قلبه ـ إذ دفن أعز الناس إليه ولده وفلذة كبده ـ أن يعلِّم الرجل ما أخطأ فيه ، فما سمح لنفسه أن يسكت على مخالفة تقع من أحد أفراد الرعية ، وهي الإشارة باليد اليسرى ، فأرشد الرجل وهو مغمود في ذلك الحزن العميق ـ إلى أن سنة الإسلام الإشارة باليد اليمنى .

ولما مدحه الرجل وأشار إلى فضله على الإسلام ، رد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك ، ونبهه إلى أن الفضل للإسلام وحده ، إذ هو الذي علمنا الآداب والأخلاق وهو الذي يصنع في نفوس أبنائه الأعاجيب من الأعمال والمناقب .

١٠ـ كان الشافعي كالشمس للدنيا :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي(٢/ ٦٢) ما نصه :

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : « ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟

فقال : يا بني ، كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلف ، أو عنهما من عوض ».

جاء هذا في ترجمة الإمام ، عالم العصر ، ناصر الحديث ، فقيه الملة ، زين الفقهاء ، وتاج العلماء محمد بن إدريس الشافعي القرشي ، ثم المطلبي ، المكي ، المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رحمه الله تعالى .

١١ـ ما قصَّر صاحب السفينة أرسى بي على باب الجنة :

جاء في كتاب ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي : (١/ ٢٢) ما نصه :

« أن الحاكم الفاطمي لما بنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح ، قيل أنه فسد حاله في آخر أمره ، وادعى الألوهية ، وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم ، وجمع الناس إلى الإيمان به ، وبذل لهم النفائس ، وكان ذلك في فصل الصيف ، والذباب يتراكم على الحاكم ، والخدام يدفعه ولا يندفع .

فقرأ في ذلك الوقت بعض القراء ، وكان حسن الصوت :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٣ـ٧٤] .

فاضطربت الأمة لعظم وقوع هذه الآية الشريفة في حكاية الحال ، حتى كأن الله أنزلها تكذيباً للحاكم فيما ادعاه .

وسقط الحاكم من فوق سريره خوفاً من أن يقتل ، وولى هارباً ، وأخذ في استجلاب ذلك الرجل ، إلى أن اطمأن إليه ، فجهزه رسولاً إلى بعض الجزائر ، وأمر بإغراقه .

ورؤي بعد ذلك في المنام ، فقيل له : ما وجدت فقال : **ما قصر معي صاحب السفينة أرسى بي على باب الجنة** » .

١٢ـ لو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة :

جاء في كتاب « الثقات » للحافظ أحمد بن عبد الله العجلي ص(٣٢٢) في ترجمة عبيد بن عمير ما نصه :

« قال العجلي : كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج ، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة ، فقالت لزوجها : أترى يرىٰ هذا الوجه أحد لا يفتتن به؟ قال : نعم . قالت : من؟ قال : عبيد بن عمير ، قالت : فأذن لي فيه فلأفتننه ، قال : قد أذنت لك .

قال : فأتته كالمستفتية ، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام .

قال : فأسفرت عن مثل فلقة القمر ، فقال لها : يا أمة الله!

فقالت : إني قد فتنت بك فانظر في أمري؟

قال : إني سائلك عن شيء فإن صدقت نظرت في أمرك .

قالت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك .

قال : أخبريني لو أن ملك الموت أتاك يقبض روحك ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ . قالت : اللهم لا . قال : صدقت .

قال : فلو أدخلت في قبرك فأجلست للمساءلة ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت : اللهم لا .

قال : صدقت .

قال : فلو أن الناس أُعطوا كتبهم لا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت : اللهم لا . قال : صدقت .

قال : فلو أردت المرور على الصراط ولا تدرين أتنجين أم لا تنجين! أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ .

قالت : اللهم لا . قال : صدقت .

قال : فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفِّين أو تثقلين! أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت : اللهم لا . قال : صدقت .

قال : فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت .

قال : اتقي الله يا أمة الله ، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك .

قال : فرجعت إلى زوجها ، فقال : ما صنعت؟ قالت : أنت بطال ونحن بطالون! فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة . فكان زوجها يقول :

مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي!! كنت كل ليلة عروساً فصيرها راهبة » انتهى .

١٣ـ الويل لك من الله إن لم يستر عليك .

جاء في « ترتيب المدارك » للقاضي عياض (٣/ ٨٩) في ترجمة الإمام (البهلول بن راشد القيرواني المالكي) أحد أصحاب الإمام مالك المتوفى سنة ١٨١هـ وهو أحد العباد الزهاد الورعين :

« قال بعض تلامذة البهلول : دُفِعَ إلى البهلول كتاب ففضه فإذا فيه : من امرأة من سمرقند خراسان ، مجنت مجوناً لم يمجنه أحد إلاَّ هي ، ثم أنابت إلى الله ، وسألت عن العباد في أرض الله تعالى ، فوصف لها أربعة أحدهم بهلول بأفريقية ، فكتبت له تقول : سألتك بالله يا بهلول ألا دعوت الله أن يديم ما فتح لي فيه .

قال : فسقط الكتاب من يده ، وخر على وجهه ، وجعل يبكي حتى لصق الكتاب بطين دموعه ، ثم قال :

يا بهلول! من سمرقند خراسان؟! الويل لك من الله إن لم يستر عليك! » .

فزادته رؤية مقامه خوفاً وخشية من الله تعالى فما أعرفه وأعقله؟!

١٤ـ لَتَواضعك في شرفك أشرف من شرفك .

جاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي(١/ ٢٢) وتاريخ الخلفاء للسيوطي(ص ٢٨٤) وسير أعلام النبلاء(٩/ ٢٨٧) ما نصه :

« أن ابن السماك قال للرشيد ـ وقد عجب من رقته وحُسن إصاخته لموعظته ، وبليغ قبوله لقوله وسرعة دمعته على وجنتيه ـ « يا أمير المؤمنين ، **لَتواضعك في شرفك ، أشرف من شرفك** ، وإني أظن أن دمعتك هذه قد أطفأت أودية من النار ، وجعلتها برداً وسلاماً » .

يقول أبو حيان : والتصاغر دواء للنفس ، وسجية أهل البصيرة في الدنيا والدين » .

١٥ـ خشيت أن آكل زيت نصراني ، فأجد له في قلبي مودة ، فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض في ترجمة البهلول بن راشد القيرواني المالكي (٣/ ٩٨) ما نصه :

« قال بعضهم : دفع بهلول إلى بعض أصحابه دينارين ليشتري له بهما زيتاً يستعذبه له ، فذُكر للرجل أن عند النصراني زيتاً أعذب ما يوجد ، فانطلق إليه الرجل بالدينارين ، فأخبر النصراني أنه يريد زيتاً عذباً للبهلول .

فقال النصراني : نحن نتقرب إلى الله بالبهلول كما تتقربون أنتم به إليه ، وأعطاه بالدينارين من ذلك الزيت ، ما يعطى بأربعة دنانير من دنيء الزيت .

ثم أقبل إلى بهلول فأخبره الخبر ، فقال له بهلول : قضيت حاجة فاقض لي

أخرى ، رد علي الدينارين . فقال : ولِمَ؟

قال : ذكرت قول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فخشيت أن آكل زيت النصراني ، فأجد له في قلبي مودة ، فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير! ».

١٦ـ اذهبي فأنت حرة :

جاء في الإمتاع والمؤانسة(٢/ ١٢٩)

« أن جارية لمنصور بن مهران جاءته بمرقة فهراقتها عليه ، فلما أحس بحرها نظر إليها .

فقالت : يا معلم الخير اذكر قول الله .

قال : وما هو؟

قالت : ﴿والكاظمين الغيظ﴾ . قال : كظمت .

قالت : واذكر ﴿والعافين عن الناس﴾ . قال : قد عفوت .

قالت : واذكر ﴿والله يحب المحسنين﴾ .

قال : **اذهبي فأنت حرة** » .

١٧ـ تَرْكُ المعاصي ما جربت للحفظ مثله :

جاء في « تهذيب التهذيب » للحافظ ابن حجر في ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي ، (١١/ ١٢٩) وهو أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ، وقد كان الناس يحفظون تكلفاً ، ويحفظ هو طبعاً :

« قال علي بن خشرم : رأيت وكيعاً ، مارأيت بيده كتاباً قط ، إنما هو يحفظ ، فسألته عن دواء الحفظ؟

فقال : **تَرْكُ المعاصي ما جربت مثله للحفظ** » .

١٨ـ ما هذا إلا لذنب أحدثته :

جاء في « طبقات الحنفية » لعلي القاري (٢/ ٤٨٧) :

« كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه : إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه :

ما هذا إلا لذنب أحدثته!

وكان يستغفر ، وربما قام وصلى ، فتنكشف له المسألة ، ويقول : رجوت أني تيب عليَّ .

فبلغ ذلك الفضيل به عياض ، فبكى بكاء شديداً ثم قال : ذلك لقلة ذنبه ، فأما غيره فلا ينتبه لهذا .

١٩ـ ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك ، وأتقى لربك :

روى البخاري في صحيحه في كتاب المناقب باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان : ٧/ ٥٢ـ٥٣ .

عن عمرو بن ميمون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي ، وعرفوا أنه ميت ، قال : فدخلنا عليه ، وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك .

فلما أدبر الشاب إذا إزاره يمس الأرض قال عمر : ردوا علي الغلام .

قال : « يا ابن أخي ارفع ثوبك ، **فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك** » .

٢٠ـ صمته ليوم هو أشد منه حراً :

جاء في الإمتاع والمؤانسة(٣/ ٨٠)

« قال سعيد بن أبي عروة : نزل الحجاج في طريق مكة ، فقال لحاجبه : انظر أعرابياً يتغدّى معي ، واسأله عن بعض الأمر .

فنظر الحاجب إلى أعرابي بين شَمْلَين ، فقال : أَجِب الأمير .

فأتاه ، فقال له الحجاج : ادن فَتَغَدَّ معي .

فقال : إنه دعاني مَنْ هو أولى منك فأجبته .

قال : ومن هو؟ قال : الله عز وجل دعاني إلى الصوم فصمت .

قال : أفي هذا اليوم الحار؟

قال : نعم ، صُمته ليوم هو أشد منه حراً .

قال : فأفطر وصم غداً . قال : إن ضمنت لي البقاء إلى غد .

قال : ليس ذلك إليَّ .

قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه .

قال : إنه لطعام طيب .

قال : إنك لم تطيِّبه ولا الخباز ؛ ولكن العافية طيَّبته ، ولم يفطر ، وخرج من عنده » .

٢١ـ أما والله لولا الله ما أتيتكم به :

قال الإمام ابن جرير الطبري في تاريخه (تاريخ الأمم والملوك) في حوادث سنة ١٦ من الهجرة (٤/ ١٧٦) :

« لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباض ـ الغنائم ـ أقبل رجل بحق له ـ وعاء كبير مملوء من الجوهر والتحف ـ فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والذين معه : ما رأينا مثل هذا قط! ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه .

فقالوا : هل أخذت منه شيئاً؟

فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا : من أنت؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرظوني ، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه .

فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأله عنه ، قال : هذا عامر بن عبد قيس القيسي الحضرمي أحد عباد التابعين الزهاد وهو أول من عُرِف منهم بالنسك بالبصرة ، رضي الله عنه » .

٢٢ـ أبشر بغزاة هينة وغنيمة سارة :

جاء في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي(ص ٣٣)

« أن المنصور بن أبي عامر الأندلسي كان إذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ، ولم يسر إلى الغزو إلا من الجامع . فاتفق أنه في بعض حركاته للغزاة توجه إلى الجامع لعقد اللواء ، فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، فرفع حامل اللواء اللواء ، فصادف ثريا من قناديل الجامع ، فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت ، فتطير الحاضرون من ذلك ، وتغير وجه المنصور .

فقال رجل : أبشر ياأمير المؤمنين بغزاة هينة ، وغنيمة سارة ، فقد بلغت أعلامك الثريا ، وسقاها الله من شجرة مباركة .

فاستحسن المنصور ذلك ، واستبشر به ، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات » .

٢٣ـ اللهم اجعلني مع صاحب النقب :

قال ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار (١/ ١٧٢) :

« حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً ، وكان في ذلك الحصن نقب ـ أي ثقب في الحائط ـ فندب الناس إلى دخوله ، فمادخله أحد .

فجاء رجل من عُرض الجيش ـ أي من عامته غير معروف ـ فدخله ففتح الله عليهم الحصن .

فنادى مسلمة : أين صاحب النقب؟

فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي ، فعزمت عليه إلا جاء .

فجاء رجل إلى الآذن فقال : استأذن لي على الأمير .

فقال له : أنت صاحب النقب؟ قال : أنا أخبركم عنه .

فأتى الآذن إلى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له .

فقال الرجل لمسلمة : إنّ صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً ، ألا تسودوا اسمه ـ أي لا تكتبوه ـ في صحيفة إلى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو؟ ـ أي من أي قبيلة هو .

قال مسلمة : فذاك له . قال الرجل : أنا .

فكان مسلمة بعد هذه الحادثة لا يصلي صلاة إلا قال : **اللهم اجعلني مع صاحب النقب** » .

٢٤ـ ليس كل المؤمنين راضياً بإمرتك فخفت أن أكون كاذباً :

جاء في ثمرات الأوراق(ص ٥٧)

« أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى بيت الله الحرام ، فلما دخل الحرم قال : ائتوني برجل من الصحابة!؟

فقيل : يا أمير المؤمنين قد تفانوا .

قال : فمن التابعين . فأُتي بطاووس اليماني ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ، ولم يسلم بأمير المؤمنين ، ولم يُكَنّه ، وجلس إلى جانبه بغير إذنه ، وقال : كيف أنت يا هشام .

فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى هم بقتله ، فقيل له : أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله ، وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك .

فقال : يا طاوس ما حملك على ما صنعت؟

قال : وما صنعت؟

قال : خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ولم تكنني ، وجلست بإزائي بغير إذني ، وقلت يا هشام كيف أنت؟

فقال له طاووس : أما خلع نعليّ بحاشية بساطك ، فإني أخلعهما بين يدي رب العزة في كل يوم خمس مرات ، ولا يعاتبني ولا يغضب عليّ .

وأما قولك لم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين ، فليس كل المؤمنين راضياً بإمرتك فخفت أن أكون كاذباً .

وأما قولك لم تكنني ، فإن الله عز وجل سمى أنبياءه فقال : يا داود ، يا عيسى ، وكنى أعداءه فقال : تبت يدا أبي لهب .

وأما قولك جلست بإزائي ، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار ، فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام .

فقال له : عظني .

فقال له : إني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول :

إن في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته .

ثم قام فخرج » .

٢٥ـ والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله ، لجعل له منهما مخرجاً :

جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه(١/ ٥٨) وطبقات الأعيان

عن الشعبي : أن زياداً(يعني ابن أبيه) كتب إلى الحكم بن عمرو الغفاري ـ وكان على الصائغة :

« إن أمير المؤمنين معاوية ، كتب إلي يأمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء ، فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة ، واقسم ما سوى ذلك »

فكتب إليه الحكم :

« إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد ، فاتقى الله ، لجعل له منهما مخرجاً » .

ثم نادى في الناس ، وقسم فيهم ما اجتمع له من الفيء .

٢٦ـ ازهد في الدنيا فإن حلالها حساب وحرامها عذاب :

جاء في كتاب المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري(ص٥١٠) وأبو نعيم في الحلية(٣/ ٢٣٧).

« قدم هشام(يعني ابن عبد الملك) المدينة مرة ، فأرسل إلى أبي حازم فقال له : يا أبا حازم عظني وأوجز .

قال أبو حازم : **اتق الله وازهد في الدنيا ، فإن حلالها حساب ، وحرامها عذاب** .

قال : لقد أوجزت يا أبا حازم .

فقال له : يا أبا حازم ارفع حوائجك إلى أمير المؤمنين .

قال أبو حازم :

« هيهات هيهات!! قد رفعت حوائجي إلى من لا تختزل الحوائج دونه ، فما أعطاني منها قنعت به ، وما منعني منها رضيت ، وقد نظرت في هذا الأمر فإذا هو نصفين ، أحدهما لي ، والآخر لغيري ، فأمّا ما كان لي فلو احتلت فيه بكل حيلة ما وصلت إليه قبل أوانه الذي قُدِّر لي فيه ، وأما الذي لغيري فذلك الذي لا أُطمع نفسي فيما مضى ، ولم أطمعها فيما بقي ، وكما مُنِع غيري رزقي ، كذلك مُنِعتُ رزق غيري ، فَعَلامَ أقتل نفسي . »

٢٧ـ إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي(٤/ ٤٦٦) ما نصه :

« قال ابن عيينة : دخل هشام الكعبة ، فإذا هو بسالم بن عبد الله .

فقال : سلني حاجة .

قال : **إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره** .

فلما خرجا ، قال : الآن فسلني حاجة ، فقال له سالم : من حوائج الدنيا ، أم من حوائج الآخرة؟

فقال : من حوائج الدنيا .

قال : والله ماسألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها من لا يملكها ».

٢٨ـ لمن أشركه الله في حكمه فجار :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي(٥/ ٤٢).

« عن الهيثم الطائي قال : حج سليمان بن عبد الملك ، فخرج حاجبه فقال : إن أمير المؤمنين قال : ابغوا لي فقيهاً أسأله عن بعض المناسك .

قال : فمر طاووس ، فقالوا : هذا طاووس اليماني ، فأخذه الحاجب ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، قال : اعفني ، فأبى ، ثم أدخله عليه .

فقال له طاووس : فلما وقفت بين يديه قلت : إن هذا لمجلس يسألني الله عنه .

فقلت : يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جُب في جهنم ، هوت فيها سبعين خريفاً ، حتى استقرت قرارها ، أتدري لمن أعدها الله؟

قال : لا ، ويلك لمن أعدّها؟

قال : **لمن أشركه الله في حكمه فجار** .

قال : فكبا لها » .

٢٩ـ دع ما تعتذر منه من الأمور ، ولا تعمل به :

جاء في كتاب وصايا العلماء عند الموت(ص ٦٩ـ٧٠) رقم ٣٥ :

« عن الشعبي قال : لما حضر عبد الله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال : يا عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، إني أوصيك بخمس خصال فاحفظهن عني :

أظهر اليأس للناس ، فإن ذلك غنى فاضل ، ودع مطلب الحاجات إلى الناس فإن ذلك فقر حاضر ، **ودع ما تعتذر منه من الأمور ، ولا تعمل به** ، وإن استطعت، أن لا يأتي يوم إلا وأنت فيه خير منك بالأمس فافعل ، فإذا صليت فصل صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها » .

٣٠ـ أما إذا فهمتها فأنت لها أهل :

جاء في تاريخ خليفة بن خياط (ص٣٢٤) وتهذيب الكمال للمزي (٣٤٨/٢٣) وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (ص ٨٤).

« عن عامر بن حفص العجيفي : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطأة : أَنِ اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة فول القضاء أفقههما »

فجمع بينهما فقال له إياس : أيها الرجل سل عني وعنه فقيهيْ المصر الحسن وابن سيرين .

وكان القاسم يأتيهما ، وإياس لا يأتيهما ، ففهم القاسم إن سألهما عنه أشادا به .

فقال له : لا تسل عني ولا عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني ، وأعلم مني بالقضاء ، فإن كنت كاذباً فما عليك أن توليني وأنا كاذب ، وإن كنت صادقاً فينبغي أن تقبل قولي .

فقال له إياس : إنك جئت برجل وقفت به على شفير جهنم ، فنجى نفسه منها بيمين كاذبة ، يستغفر الله تعالى منها ، وينجو مما يخاف .

فقال له عدي : **أما إذا فهمتها فأنت لها أهل** » فاستقضاه .

٣١ـ اتق الله يا مالك إن كنتَ مالك وإلا فأنت هالك :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض(١/ ١٢٧ـ١٢٨) .

« قال أبو الحسن المطالبي : سأل مالكاً صفوان بن سُليم وهو أحد شيوخ مالك الجلة الفضلاء النقاد ، عن رؤيا رآها في النوم ، ومالك إذ ذاك غلام صغير السن ، فقال له : ومثلك يسأل مثلي؟

فقال له : وما عليك ياابن أخي ، رأيت كأني أنظر في مرآة .

فقال له مالك : أنت تنظر في أمر آخرتك وما يقربك إلى ربك .

فقال له صفوان : أنت اليوم مويلك ، ولئن بقيت لتكونن مالك ،

اتق الله إن كنت مالك ، وإلا فأنت هالك .

قال مالك : وكان قبل يدعوني مويلك ، فلما سألني قال : يا أبا عبد الله وهو أول يوم كناني فيه » .

٣٢ـ اذهب فأعلمه أني لست من حداثه :

جاء في طبقات ابن سعد(٥/ ١٣٠) ما نصه :

« عن ميمون بن مهران قال : قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، فامتنعت منه القائلة ، واستيقظ ، فقال لحاجبه : انظر ، هل في المسجد من أحد من حداثنا؟

فخرج فإذا سعيد بن المسيب في حلقته ، فقام حيث ينظر إليه ، ثم غمزه وأشار بإصبعه ، ثم ولى ، ولم يتحرك سعيد .

فقال : لا أراه فطن ، فجاء فدنا منه ، ثم غمزه وقال : ألم ترني أشير إليك؟

قال : وما حاجتك؟ . قال : أجب أمير المؤمنين .

فقال : إلي أرسلك؟ . قال : لا ، ولكن قال : انظر بعض حداثنا فلم أر أحداً أهيأ منك .

قال : **اذهب فأعلمه أني لست من حداثه** .

فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً ، وذهب فأخبر عبد الملك ، فقال : ذاك سعيد بن المسيب فدعه! » .

٣٣ـ سفلة السفلة الذي يأكل غيره بدينه :

جاء في ترتيب المدارك(١/ ١٢٩) :

« **قال ابن أبي أويس : قال مالك : أقبل علي ذات يوم ربيعة فقال لي : من السفلة يا مالك؟**

قلت : الذي يأكل بدينه .

قال لي : **فمن سفلة السفلة؟**

فقلت : **الذي يأكل غيره بدينه .**

فقال : زه ، وصدرني » .

٣٤ـ أنا لا أذل العلم ، ولا آتي أبواب السلاطين :

جاء في تاريخ الخطيب(٢/ ٣٣) وتهذيب الكمال(٢٤/ ٤٦٤) وطبقات الشافعية للسبكي(٢/ ٢٣٢ـ٢٣٣) والذهبي في السير(١٢/ ٤٦٤) ومقدمة فتح الباري(ص ٤٩٤).

عن بكر بن منير بن خليد قال : بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ : أن احمل إليَّ كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك .

فقال محمد بن إسماعيل لرسوله : **أنا لا أذل العلم ، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين** ، فإن كان لك إلى شيء فيه حاجة ، فاحضرني في مسجدي ، **أو في داري** ، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من الجلوس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة ، لأني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم : من سئل عن علم فكتمه ، أُلجم بلجام من نار .

قال : فكان سبب الوحشة بينهم هذا .

٣٥ـ إني لأظنك ضالاً أخرجوه عني :

جاء في ترتيب المدارك(١/ ١٧٠ـ١٧١).

« عن سفيان بن عيينة قال : سأل رجل مالكاً ، فقال : على العرش استوى ، كيف استوى يا أبا عبد الله؟

فسكت مالك ملياً حتى علاه الرحضاء ، وما رأينا مالكاً وجد من شيء وجده من مقالته ، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به ، ثم سُرِّيَ عنه .

فقال : الاستواء منه معلوم ، والكيف منه غير معقول ، والسؤال عن

هذا بدعة ، والإيمان به واجب ، وإني لأظنك ضالاً أخرجوه عني .

فناداه الرجل : يا أبا عبد الله ، والله الذي لا إله إلا هو لقد سألنا عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحداً وُفق لما وفقت له » .

٣٦ـ مالي إليه حاجة :

جاء في سير أعلام النبلاء(٥/ ٤١)

« عن ابن عيينة قال : قال عمر بن عبد العزيز لطاووس : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين ـ يعني سليمان بن عبد الملك .

قال : **مالي إليه حاجة** .

فكأن عمر عجب من ذلك .

قال سفيان : وحلف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة : ورب هذه البنية ما رأيت أحداً ، الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاووساً »

٣٧ـ معرفته بي فعلت ما رأيت :

جاء في سير أعلام النبلاء(٥/ ٤١) ما نصه :

عن ابن طاووس قال : كنت لا أزال أقول لأبي : إنه ينبغي أن يخرج على هذا السلطان ، وأن يفعل به .

قال : فخرجنا حجاجاً فنزلنا في بعض القرى ، وفيها عامل ـ يعني لأمير اليمن ـ يقال له : ابن نجيح ، وكان من أخبث عمالهم ، فشهدنا صلاة الصبح في المسجد ، فجاء ابن نجيح ، فقعد بين يدي طاووس ، فسلم عليه ، فلم يجبه ، ثم كلمه فأعرض عنه ، ثم عدل إلى الشق الآخر ، فأعرض عنه ، فلما رأيت ما به قمت إليه ، فمددت بيده وجعلت أسائله ، فقلت له : يا أبا عبد الرحمن لم يعرفك .

فقال العامل : **بلى معرفته بي فعلت ما رأيت** .

قال فمضى وهو ساكت لا يقول لي شيئاً ، فلما دخلت النزل قال : أي

لكع ، بينما زعمت تريد أن تخرج عليهم بسيفك ، لم تستطع أن تحبس عنه لسانك .

٣٨ـ أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه :

جاء في سير أعلام النبلاء(٥/ ٤٢) ما نصه :

عن ابن عيينة قال :

جاء ابن لسليمان بن عبد الملك ، فجلس إلي جنب طاووس ، فلم يلتفت إليه .

فقيل له : جلس إليك أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه؟!

قال : أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه .

٣٩ـ مالي إلى مخلوق حاجة :

جاء في سير أعلام النبلاء(٥/ ٨٤ـ٨٥).

قال الأصمعي : « دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك ، وهو جالس على السرير ، وحوله الأشراف ، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ، فلما بصر به عبد الملك ، قام إليه فسلم عليه ، وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه وقال : يا أبا محمد ، حاجتك؟

قال : يا أمير المؤمنين! اتق الله في حرم الله ، وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة .

واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار ، فإنك بهم جلست هذا المجلس .

واتق الله في أهل الثغور ، فإنهم حصن الإسلام ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم .

واتق الله فيمن على بابك ، فلا تغفل عنهم ، ولا تغلق دونهم بابك .

فقال له : أفعل .

ثم نهض وقام .

فقبض عليه عبد الملك وقال : يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائج غيرك ، وقد قضيناها ، فما حاجتك؟

قال : مالي إلى مخلوق حاجة .

ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ، هذا وأبيك السؤود »

٤٠ـ هذا صوت رحمة الله ، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله :

جاء في سير أعلام النبلاء(٥/ ١٢١) :

« عن عبد العزيز بن يزيد الأيلي قال : حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز ، فأصابهم برق ورعد حتى كادت تنخلع قلوبهم .

فقال سليمان : يا أبا حفص! هل رأيت مثل هذه الليلة قط ، أو سمعت بها؟

قال : يا أمير المؤمنين! **هذا صوت رحمة الله ، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله!؟** » .

٤١ـ دعوه يجلس حيث أدرك ، يتعلم التواضع :

جاء في سير أعلام النبلاء(٥/ ١٦٢)

« عن ابن جابر قال :

أقبل يزيد بن عبد الملك إلى مكحول في أصحابه ، فلما رأيناه هممنا بالتوسعة له .

فقال مكحول :

دعوه يجلس حيث أدرك ، يتعلم التواضع » .

٤٢ـ الآن عرفتني حق المعرفة :

جاء في سير أعلام النبلاء(٥/ ٣٦٢)

عن الأصمعي عن أبيه قال :

مر المهلب ـ يعني ابن أبي صفرة ـ على مالك بن دينار متبختراً .

فقال : أما علمت أنها مشية يكرهها الله إلا بين الصفين؟

فقال المهلب : أما تعرفني؟

قال : بلى ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة .

فانكسر وقال :

الآن عرفتني حق المعرفة .

٤٣ـ لستُ الذي أُرسلتَ إليه :

جاء في سير أعلام النبلاء(٥/ ٣٦٨)

« عن كثير بن يحيى ، عن أبيه قال :

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة ، وعمر بن عبد العزيز عامل عليها ، قال : فصلى بالناس الظهر ، ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب ، واستقبل الناس بوجهه ، فنظر إلى صفوان بن سليم ، فقال لعمر : من هذا؟ ما رأيت أحسن سمتاً منه .

قال : صفوان .

قال : يا غلام كيس فيه خمس مائة دينار فأتاه به .

فقال لخادمه : اذهب إلى ذلك القائم .

فأتى حتى جلس إلى صفوان وهو يصلي ، ثم سلم ، فأقبل عليه ، فقال : ما حاجتك؟

قال : يقول أمير المؤمنين : استعن بهذه على زمانك وعيالك .

فقال صفوان : **لستُ الذي أُرسلتَ إليه** .

قال : ألست صفوان بن سليم؟ قال : بلى .

قال : فإليك أُرسلتُ ، قال : اذهب فاستثبت ، فولى الغلام ، وأخذ صفوان نعليه وخرج ، فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة » .

٤٤ـ يا أبتِ ما ذاك إلا لستر الله عليه :

جاء في كتاب الجليس الصالح الكافي (٤/ ٢٦) :

« عن ثابت البناني قال : انصرفت من جنازة الحسن ـ يعني البصري ـ فقلت لبنتي :

والله ما رأيت جنازة قط ، اجتمع فيها من الناس مثل ما اجتمع فيها ، وإن كان الحسن لأهل لذلك .

فقالت لي :

يا أبتِ ما ذاك إلا لستر الله عليه .

فصغرت والله نفسي » .

٤٥ـ لعل الله ينظر إلي نظرة على ذلك فيرحمني :

جاء في كتاب الجليس الصالح الكافي(٤/ ٢٥) ، وصفة الصفوة(٤/ ١٧٠)

« عن العتبي عن أبيه قال :

سبى الروم نساء مسلمات فبلغ الخبر الرقة ، وبها الرشيد ومنصور بن عمار ، فقص منصور يحض على الغزو ، فإذا خرقة مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور ، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة ، فقرأه فإذا فيه :

« إني امرأة من بيوتات العرب ، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات ، وبلغني تحضيضك على الغزو ، فعمدت إلى أكرم شيء في بدني عليَّ ، وهما ذؤابتاي ، فجززتهما وصررتهما في هذه الصرة المختومة ، وأنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله ، **فعلَّ الله ينظر إليَّ نظرة على تلك الحال فيرحمني** » .

فبلغ ذلك الرشيد فبكى ونادى النفير » .

٤٦ـ يا أمير المؤمنين لأنه رآني ولم يرك :

جاء في سير أعلام النبلاء(٤/ ٣٠٤)

« عن ابن عائشة قال : وجَّه عبد الملك بن مروان الشعبيَّ إلى ملك الروم ـ يعني رسولاً ـ فلما انصرف من عنده قال : يا شعبي ، أتدري ما كتب به إليَّ ملك الروم؟

قال : وما كتب به يا أمير المؤمنين .

قال : كتب : أتعجب لأهل ديانتك ، كيف لم يستخلفوا عليهم رسولك .

قال : **يا أمير المؤمنين لأنه رآني ولم يرك** .

وزاد الأصمعي فيها : قال : يا شعبي ، إنما أراد أن يغريني بقتلك .

فبلغ ذلك ملك الروم فقال : لله أبوه ، والله ما أردت إلا ذاك » .

٤٧ـ السابق اليوم من غُفِرَ له :

جاء في كتاب الجليس الصالح الكافي(٤/ ٦٠ـ٦١).

« عن المدائني قال :

خطب عمر بن عبد العزيز الناس بعرفة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس إنكم قد جئتم من القريب والبعيد ، وأنضيتم الظهر ، وأخلقتم الثياب ، وليس السابق اليوم من سبقت راحلته أو دابته ، **ولكن السابق اليوم من غُفِرَ له** » .

٤٨ـ لأنا سودناك لكظم الغيظ ، والحلم عن الجاهل :

جاء في كتاب الجليس الصالح الكافي(٤/ ٨٩)

« عن محمد بن صفوان ، عن أبيه قال :

كان سلمى بن نوفل سيداً في كنانة ، فوثب رجل من أهله على ابنه ، فجيء به إليه .

فقال له : ما أمّنك مني وأجرأك علي؟ أما خشيت عقابي؟ قال : لا ، قال : ولِمَ؟

قال : لأنا سودناك لكظم الغيظ ، والحلم عن الجاهل فخلى سبيله » .

٤٩ـ والله ما علم بهذا إلا الله :

جاء في ترتيب المدارك(١/ ٢١٤)

« أن مالكاً وعظ المنصور في افتقاد أحوال الرعية فقال ـ يعني المنصور ـ :

أليس إذا بكت ابنتاك من الجوع جعلت الخادم تحرك الرحى لئلا يسمعها الجيران؟

فقال مالك : والله ماعلم بهذا إلا الله .

فقال له : أفعلمتُ هذا ولا أعلم حال الرعية » .

٥٠ـ لأنْ يخنقني الشيطان أحب إليَّ من أن أليَ القضاء :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض(١/ ٢٨٣) في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي صاحب مالك بن أنس رحمهما الله تعالى ما نصه :

« قال الزبير ـ يعني ابن بكار ـ : وعرض عليه أمير المؤمنين الرشيد قضاء المدينة وجائزة أربعة آلاف دينار فامتنع ، فأبى إلاّ أن يلزمه ذلك .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، لأنْ يخنقني الشيطان أحبُّ إليَّ من أليَ القضاء .

فقال الرشيد : ما بعد هذا شيء ، وأعفاه ، وأجازه بألفي دينار .

٥١ـ حسبك ، كيف يضل قوم هذا فيهم :

جاء في الحلية لأبي نعيم(٢/ ١٤٧ـ١٤٨) والفَسَوي في التاريخ والمعرفة(٢/ ٥١ـ٥٢) والذهبي في سير أعلام النبلاء(٤/ ٥٧٦) ما نصه :

« عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا محمد بن ذكوان ، حدثنا خالد بن صفوان ، قال :

لقيت مسلمة بن عبد الملك فقال : ياخالد ، أخبرني عن حسن أهل البصرة؟

قلت : « أصلحك الله ، أخبرك عنه بعلم ، أنا جاره إلى جنبه ، وجليسه في مجلسه ، وأعلم من قبلي به . أشبه الناس سريرة بعلانية ، وأشبهه قولا بفعل ، إن قعد على أمر قام به ، وإن قام على أمر قعد عليه ، وإن أمر بأمر كان أَعْملَ الناس به ، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له ، رأيته مستغنياً عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين إليه »

قال : **حسبك ، كيف يضل قوم هذا فيهم** » .

٥٢ـ من باع آخرته بدنيا غيره :

جاء في ترتيب المدارك(١/ ٣٠٧) في ترجمة عبد الله بن المبارك رحمه الله ما نصه :

« أن ابن المبارك سئل فقيل له : من الناس؟ قال : العلماء .

قيل : فمن الملوك؟ قال : الزهاد .

قيل : فمن الغوغاء؟ قال : هرثة وخزيمة .

قيل : من السفلة؟ قال :

من باع آخرته بدنيا غيره » .

٥٣ـ لا تزرها واجتنبها إنها شر المزور :

جاء في ترتيب المدارك(١/ ٣٠٨) في ترجمة عبد الله بن المبارك رحمه الله ما نصه :

« مال إلى الدنيا رجل ممن كان يصحب ابن المبارك ، وصحب السلطان ، فلقيه يوماً فسلَّم عليه فقال له :

يا أخي :

كل من الأرز ومن خبز الشعير

واجعلن ذاك حلالاً تنج من حر السعير

وقِ يا هذا هداك الله عن دار الأمير

لا تزرها واجتنبها إنها شر المزور

تذهب الدين وتدنيك من الحوب الكبير

فاستحى الرجل وترك مصاحبة السلطان ورجع إلى صحبته »

٥٤ـ لئن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت :

جاء في تاريخ ابن عساكر(١١/ ٢٨٦) والمعرفة والتاريخ(١/ ٥٥٣) والحلية(٢/ ١٨٩) وسير أعلام النبلاء(٤/ ٤٣٠) ما نصه :

« عن عمرو بن عبد الغفار ، حدثنا هشام : أن أباه ـ يعني عروة بن الزبير ـ وقعت في رجله الأكلة ، فقيل : ألا ندعو لك طبيباً؟

قال : إن شئتم ، فقالوا : نسقيك شراباً يزول فيه عقلك؟

فقال : امض لشأنك ، ما كنت أظن أن خلقاً يشرب ما يزيل عقله حتى لا يعرف ربه . *

فوضع المنشار على ركبته اليسرى ، فما سمعنا له حساً فلما قطعها ، جعل يقول :

لئن أخذت ، لقد أبقيت ، ولئن ابتليت ، لقد عافيت .

وما ترك جزءه بالقرآن تلك الليلة » .

وجاءت القصة مطولة :

عن يعقوب الدورقي ، حدثنا عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة :

« أن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك ، حتى إذا كان بوادي القرى ، وجد في رجله شيئاً ، فظهرت به قرحة ، ثم ترقى به الوجع ، وقدم على الوليد وهو في محمل .

فقال : ياأباعبد الله اقطعها ، قال : دونك .

فدعا له الطبيب ، وقال : اشرب المُرَقِد ، فلم يفعل ، فقطعها من نصف الساق ، فما زاد أن يقول : حس ، حس .

فقال الوليد : مارأيت شيخاً قط أصبر من هذا .

وأصيب عروة بابنه محمد في ذلك السفر ، ركضته بغلة في اصطبل ، فلم يسمع منه في ذلك كلمة .

فلما كان بوادي القرى قال : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢] .

اللهم كان لي بنون سبعة ، فأخذت واحداً وأبقيت لي ستة ، وكان لي أطراف أربعة ، فأخذت طرفاً ، وأبقيت ثلاثة .

ولئن ابتليت ، لقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت » .

٥٥ـ الكل تبع للبعض إن شاء الله :

جاء في وفيات الأعيان(٣/ ٢٥٦) في تعزية عروة بن الزبير فيما أصابه ما نصه :

« قال ابن خلكان : كان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فقال :

« والله ما بك حاجة إلى المشين ، ولا أرب في السعي ، وقد تقدمك عضو

من أعضائك ، وابن من أبنائك إلى الجنة ، **والكل تبع للبعض إن شاء الله ،** وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء ، من علمك ورأيك ، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك » .

٥٦ـ سبعين سوطاً في ظهرك خير من دم مؤمن :

جاء في سير أعلام النبلاء(٤/ ٥٦١) وتهذيب الكمال(٩/ ١٥٦) ما نصه :

« قال صفوان بن صالح : حدثنا عبد الله بن كثير الدمشقي القارىء ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : كنا مع رجاء بن حيوة ، فتذاكرنا شكر النعم ، فقال : ما أحد يقوم بشكر نعمة ، وخلفنا رجل على رأسه كساء ، فقال : ولا أمير المؤمنين؟

فقلنا : وما ذكر أمير المؤمنين هنا ، وإنما هو رجل من الناس .

قال : فغفلنا عنه ، والتفت رجاء فلم يره ، فقال : أتيتم من صاحب الكساء ، فإن دعيتم فاستحلفتم فاحلفوا ، قال : فما علمنا إلا بحرسي قد أقبل عليه .

قال : هيه يا رجاء ، يُذكر أمير المؤمنين ، فلا تحتج له؟!

قال : فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال : ذكرتم شكر النعم ، فقلتم : ما أحد يقوم بشكر نعمة . قيل لكم : ولا أمير المؤمنين ، فقلت : أمير المؤمنين رجل من الناس .

فقلتُ : لم يكن ذلك ، فقال : آلله؟ قلت : آلله .

فأمر بذلك الرجل الساعي ، فضرب سبعين سوطاً ، فخرجت وهو متلوث بدمه .

فقال : هذا وأنت رجاء بن حيوة .

قلت : **سبعين سوطاً في ظهرك خير من دم مؤمن .**

قال ابن جابر : فكان رجاء بن حيوة بعد ذلك إذا جلس في مجلس يقول ويتلفت :

احذروا صاحب الكساء».

جاءت هذه الحادثة في ترجمة الإمام القدوة، الوزير العادل، رجاء بن حيوة بن جرول الكندي أبو نصر الأزدي ويقال الفلسطيني الفقيه، من جلة التابعين.

٥٧ـ أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار:

جاء في الحلية(٢/ ١٥٠ـ١٥١) والسير(٤/ ٥٨٦) ما نصه:

«عن فضيل بن جعفر قال:

خرج الحسن من عند ابن هبيرة، فإذا هو بالقراء على الباب.

فقال: ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، **أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار**، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد».

٥٨ـ ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحداً يستوجب القضاء:

جاء في ترتيب المدارك(١/ ٣٢٨) في ترجمة علي بن زياد التونسي العبسي أبو الحسن ما نصه:

«ذكر ابن اللباد عن سحنون قال: مات بعض قضاة أفريقية، فقدم رسول الخليفة إلى إفريقية لجمع العلماء واستشارتهم في قاض يوليه إفريقية.

فتوجه إلى تونس وبعث إلى واليها في علي بن زياد فتثاقل، فأخبر بذلك الوالي رسول الخليفة.

فقال له الرسول: أمير بلد ورسول الخليفة يوجه إلى رجل من الرعية فيتثاقل عن المجيء.

فمضى إليه الوالي معه، فلما دخلا عليه وجداه قد حوّل وجهه إلى

الحائط ، فقال له الوالي : يا أبا الحسن ، هذا رسول الخليفة يستشيرك في قاض يلي إفريقية .

فحوّل علي وجهه إلى القبلة وقال :

ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحداً يستوجب القضاء قوموا عني » .

٥٩ـ العمل بطاعة الله على نور من الله ، رجاء ثواب الله :

جاء في الحلية(٣/ ٦٤) والسير(٤/ ٦٠١) ما نصه :

« عن عاصم الأحول ، عن بكر المزني قال :

لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب :

اتقوها بالتقوى .

فقيل له : صف لنا التقوى .

فقال : العمل بطاعة الله ، على نور من الله ، رجاء ثواب الله ، وترك معاصي الله ، على نور من الله ، مخافة عذاب الله » .

وقد عقب الذهبي رحمه الله على هذا بقوله :

قلت : « أبدع وأوجز ، فلا تقوى إلاّ بعمل ، ولاعمل إلا بترو من العلم والاتباع ، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله ، لا ليقال : فلان تارك للمعاصي بنور الفقه ، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها ، ويكون الترك خوفاً من الله ، لا ليمدح بتركها ، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز » .

٦٠ـ إذا لم أسقط من عين الله فلا أبالي من عين من سقطت :

جاء في ترتيب المدارك(١/ ٣٣٣) في ترجمة بهلول بن راشد القيرواني رحمه الله ما نصه :

« قال أبو عثمان بن الحداد :

بلغني أن بهلولاً كان ذات يوم جالساً وعنده صاحبه رباح بن يزيد الزاهد ، إذ أقبل أخ للبهلول في البادية يلهج بخبر المطر والزرع ، والبهلول

يتقلى ويتلون اغتماماً لرباح ، لعلمه بكراهيته ذكر الدنيا وأسبابها .

فلما أكثر أخوه من هذا نهض وجعل يقول لبهلول :

سقطت من عيني ، تُذكر الدنيا في مجلسك ولا تغير .

فقال له البهلول :

إذا لم أسقط من عين الله فلا أبالي من عين من سقطت » .

فخرَّ رباح على رأسه يقبله :

نعم يا حبيبي يا بهلول لا تبالي من عين من سقطت ، إذا المرء سقط من عين الله .

٦١ـ كنت إذا مدوها خلَّيْتُها ، وإذا خلَّوها مدَدْتُها :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة(١/ ٦٢) ما نصه :

قال معاوية :

« لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت .

قيل : وكيف ذلك؟

قال : كنتُ إذا مدوها خليتها ، وإذا خلوها مددتها » .

٦٢ـ الأمير أقدر على تفريقها :

جاء في ترتيب المدارك(١/ ٣٣٥) في ترجمة بهلول بن راشد القيرواني ما نصه :

« قال أبو زرجونه :

أقبل هرثمة بن أعين أمير إفريقية في موكبه ، حتى انتهى إلى مسجد البهلول بن راشد ، وبهلول مسند ظهره إلى عمود بإزاء باب المسجد ، فانحنى هرثمة في السرج ، وقال لبعض من معه : ادفع إليه هذا المزود بالدراهم وقل له : قال لك الأمير فرقها .

فجاء إليه الرسول فقال له البهلول :

الأمير أقوى على تفريقها » .

٦٣ـ لم يعودني الله في الصدق إلاّ خيراً :

جاء في سير أعلام النبلاء(٦/ ٤٤ـ٤٥) ما نصه :

« روى الزبير بن بكار عن عثمان بن عبد الرحمن قال : قال المنصور لهشام بن عروة : يا أبا المنذر ، تذكر يوم دخلت عليك أنا وأخوتي مع أبي ، وأنت تشرب سويقاً بقصبة يراع؟ فلما خرجنا ، قال أبونا : اعرفوا لهذا الشيخ حقه ، فإنه لا يزال في قومكم بقية ما بقي .

قال : لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فليم في ذلك .

فقال : لم يعودني الله في الصدق إلاّ خيراً .

٦٤ـ تجد من هو أقوم لك بذلك وأعرف بأهله :

جاء في ترتيب المدارك(١/ ٣٥٢) في ترجمة زياد بن عبد الرحمن اللخمي أحد أصحاب مالك ما نصه :

« قال يحيى : كان زياد واحد زمانه ، زهداً ورعاً وأتاه هشام ليلاً في خاصته فقرع عليه الباب فخرج فعرف به ، ففتح له وسلم عليه ،وسأله عن سبب مجيئه .

فقال : طلب التفرد بك ، وهذا مال طيب ـ وأشار إلى مال يحمله الفتى ـ أردت التزلف به فأتيتك به لتضعه حيث تراه .

فقال له زياد : تجد من هو أقْوَم لك بذلك ، وأعرَف بأهله .

وسمى له قوماً من صلحاء الناس ، فأبى هشام إلا إياه ، فلم يقدر عليه إلى أن حلف له أن لا يفعل .

فاستحياه هشام وخرج بماله وهو يقول : اللهم أعني على طاعتك بمثل هذا » .

٦٥ـ إن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة :

جاء في سير أعلام النبلاء(٦/ ١٢٢) ما نصه :

« عن أحمد بن محمد الدورقي ، حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا مخلد بن الحسين ، عن هشام ، قال :

دعا مالك بن المنذر الوالي محمد بن واسع فقال : اجلس على القضاء ، فأبى ، فعاوده وقال لتجلسنَّ ، أولأجلدنك ثلاث مئة .

قال : إن تفعل ، فإنك مسلط ، **وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة** » .

٦٦ـ هذا رجل انصدع قلبه :

جاء في ترتيب المدارك (٢/ ٢٣٤) في ترجمة الإمام عبد الله بن وهب القريشي المصري رحمه الله مانصه :

« قال يونس : قال ابن وهب : إن أصحاب الحديث طلبوا مني أن أسمعهم صفة الجنة والنار ، وما أدري القدرة على ذلك ، ثم قعد لهم فقرأوا عليه صفة النار ، فغشي عليه فرش بالماء وجهه .

فقيل : اقرأوا عليه صفة الجنة ، فلم يفق ، وبقي كذلك اثني عشر يوماً ، فدعي له طبيب فنظر إليه فقال : **هذا رجل انصدع قلبه** » .

٦٧ ـ أرجو أن يكون كلانا على خير وبر :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٤) ما نصه :

« قال الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » : هذا ما كتبته من حفظي ، وغاب عني أصلي :

إن عبد الله العُمري العابد كتب إلى مالك لحضه على الانفراد والعمل .

فكتب إليه مالك :

إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فَرُبَّ رجلٍ فتح له في الصلاة ،

ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد ، فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، **وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر »** .

٦٨ـ ما وجدت شيئاً أثقل علي من مكابدة أجزاء الليل :

جاء في ترتيب المدارك (٢/ ٤٤١ـ٤٤٢) في ترجمة عبد الرحمن ابن القاسم العتقي أحد كبار أصحاب مالك بن أنس رحمهما الله تعالى ما نصه :

« قال ـ يحيى ـ : وتذاكرنا يوماً مع ابن القاسم هذا الأمر بكلنا ، قال : الورع أشد ما في هذا الدين .

فقال ابن القاسم : ما هو عندي كذا .

فقلت له : يا أبا عبد الله وكيف ذلك .

فقال : إنا أمرنا ونهينا فمن فعل ما أُمر به ، وترك ما نهي عنه ، فذاك أورع الناس .

فقيل له : يا أبا عبد الله ، لقد خف عليك ما ثقل على غيرك ، فأي شيء وجدت من هذا الأمر أثقل؟

فقال : **ما وجدت شيئاً أثقل علي من مكابدة أجزاء الليل** .

٦٩ـ اصبر أنت على طاعة الرحمن لأجل الآخرة والدين .

جاء في كتاب « المنهج الأحمد » لمجير الدين عبد الرحمن العليمي (١/ ٣٨) في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله ما نصه :

« قال عبد الله بن أحمد :

كنت كثيراً أسمع والدي يقول : رحم الله أبا الهيثم . غفر الله لأبي الهيثم . عفا الله عن أبي الهيثم .

فقلت : يا أبت من أبو الهيثم :

فقال : لما خرجت إلى السياط ، ومدت يداي للعقابين ، إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ، ويقول : تعرفني؟

قلت : لا ، قال : أنا أبو الهيثم العيَّار ، اللص الطرار ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق ، وصبرت على ذلك في طاعة الشيطان فاصبر أنت على طاعة الرحمن لأجل الآخرة والدين » .

العيار : الرجل الذي يخلي نفسه وهواها ، لا يزجرها ولا يكفها عن شيء ، وهو كان يطلق على الرجل الفاتك الذي يُرهب الناس ويقطع عليهم .

الطرار : اللص الذي يقطع الهمايين والطرر ويختلسها ، ويسمى اليوم النشال .

٧٠ ـ يأبى هذا الرجل إلاّ أن نقشر له العصا ! :

جاء في تاريخ بغداد (٦/ ٢٣٥) والمنهج الأحمد (١/ ٥٥) في ترجمة إسماعيل بن عُلَيّة ما نصه :

« من حماد بن سلمة وحماد بن زيد : أن عبد الله بن المبارك كان يَتّجر في البز . وكان يقول : لولا خمسة ما اتجرت ، فقيل له : يا أبا محمد من الخمسة ؟ فقال : سفيان الثوري ، وسفيان بن عُيَيْنة ، والفضيل بن عياض ، ومحمد بن السماك ، وابن علية .

وكان يخرج فيتجر إلى خراسان ، فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ، ونفقة الحج ، والباقي يصل به إخوانه الخمسة .

قالا : فقدم سنة فقيل له : قد ولي ابن علية القضاء ، فلم يأته ولم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة ، فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قد قدم ، فركب إليه فتنكس على رأسه ، فلم يرفع به عبد الله رأساً ، ولم يكلمه فانصرف . .

فلما كان من الغد كتب إليه رقعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أسعدك الله بطاعته ، وتولاك بحفظه ، وحاكك بحياكتك ، قد كنت منتظراً لبرك وصلتك أتبرك بها ، وجئتك أمس فلم تكلمني ، ورأيتك واجداً عليَّ . فأي شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه ؟ »

فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس وقال : **يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا** » ، ثم كتب إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم

يا جاعل الدين له بازياً	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما	كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها	عن ابن عون وابن سيرين ؟
أين رواياتك في سردها	لترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فذا باطل	زلّ حمار العلم في الطين

فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء ، فوطىء بساط هارون وقال : يا أمير المؤمنين ! الله الله ارحم شيبتي فإني لا أصبر للخطأ ـ أو على القضاء ـ .

فقال له هارون : لعل هذا المجنون أغوى بقلبك .

فقال : الله الله ، أنقذني أنقذك الله .

فأعفاه من القضاء ، فلما اتصل بعبد الله بن المبارك ذلك ، وجه إليه بالصرة » .

٧١ ـ كنت تكتب من محبرتي في مجلس الأعمش :

جاء في تاريخ بغداد (١٣/ ٤٦٩) والمنهج الأحمد (١/ ٥٩) وتاريخ دمشق (١٧/ ٣٩٩/أ) في ترجمة وكيع بن الجراح الإمام الزاهد المتوفى سنة ١٩٧ هـ ما نصه :

« جاء إليه رجل فقال له : إني أَمُتُّ إليك بحرمة .

قال : وما حرمتك ؟

قال : كنت تكتب من محبرتي في مجلس الأعمش .

فوثب وكيع ، فدخل منزله ، فأخرج له صرة فيها دنانير وقال له : اعذرني فإني لا أملك غير هذا » .

٧٢ ـ أخرج هذا العراقي من بلدك من يومك إن قدرت .

جاء في تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن بن عبد الله المالقي ص (٤٠) وترتيب المدارك (٤/ ٦٠٠) وتبيين كذب المفتري (٢١٨ـ٢١٩) في ترجمة محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني ، الإمام العلامة ما نصه : (هذا حدث حين أرسله عضد الدولة رسولاً إلى ملك الروم)

« وذكر ابن حيَّان : عمن حدثه أن الطاغية ـ ملك الروم ـ وعد القاضي أبا بكر الباقلاني بالاجتماع به في محفل من محافل النصرانية ، ليوم سماه ، فحضر أبو بكر ، وقد احتفل المجلس ، وبولغ في زينته ، فأدناه الملك وألطف سؤاله ، وأجلسه على كرسي دون سريره بقليل ، والملك في أبهته ، وخاصته ورجال مملكته على مراتبهم .

وجاء البَطرِك ، قيم ديانتهم ، آخر الناس ، وحوله أتباعه يتلون الأناجيل ، ويبخرون بالعود الرطب في زي حسن ، فلما توسط المجلس ، قام الملك ورجاله تعظيماً له ، فقضوا حقه ومسحوا أعطافه ، وأجلسه الملك إلى جنبه ، وأقبل على القاضي أبي بكر ، فقال له :

« يا فقيه ! البطرك قيم الديانة ، وولي النحلة »

فسلم القاضي عليه أحفل سلام ، وسأله أحفى سؤال ، وقال له : كيف الأهل والولد ؟

فعظم قول هذا عليه وعلى جميعهم ، وطبقوا على وجوههم ، وأنكروا قول أبي بكر عليه .

فقال : يا هؤلاء ! تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحبة والولد ! وتربون به عن ذلك ، ولا تستعظمونه لربكم عز وجهه ! وتضيفون إليه ذلك ، سُدَّةً لهذا الرأي ما أبين غلطه !

فسقط في أيديهم ، ولم يردوا جواباً ، وتداخلتهم له هيبة عظيمة ، وانكسروا .

ثم قال الملك للبطرك : « ما ترى في أمر هذا الرجل ؟ »

قال : تقضي حاجته ، وتلاطف صاحبه ، وتخرج هذا العراقي عن بلدك ، من يومك إن قدرت ، وإلاّ لن تأمن الفتنة على النصرانية منه ! »

ففعل الملك ذلك ، وأحسن جواب عضد الدولة وهداياه، وعجل تسريح الرسول، وبعثَ معه عِدَّة من أسرى المسلمين ، ووكل به من جنده من يحفظه حتى يصل إلى مأمنه » .

٧٣ ـ إذا رتعت رتعوا :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ١١٥) ما نصه :

« عن ابن أبي نجيح قال : لما أُتي عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول : والله إن الذي أدى إلينا هذا لأمين . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أنت أمين الله يؤدون إليك ما أديت إلى الله ، فإذا رتعت رتعوا . قال : صدقت ».

٧٤ ـ كانت بيدي ضيعة حراماً فجعلها حلالاً :

جاء في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٤) في ترجمة القاضي نصر بن طريف اليحصبي رحمه الله ما نصه :

« ولي القضاء زماناً ، على ما حكاه أبو عمر بن عبد البر ، فسار فيه بأجمل سيرة ، منها عمله في قضية حبيب القرشي :

دخل حبيب الفهري على عبد الرحمن بن معاوية ، فشكى إليه القاضي ،

وذكر أنه يريد أن يسجل عليه في ضيعة قيِمَ فيها ، وادَّعي عليه الاغتصاب لها ، ولاذ بالأمير من إسراع القاضي إلى الحكم عليه من غير تثبت .

فأرسل الأمير إليه ، وكلمه في أمر حبيب ، ونهاه عن العجلة عليه ، فخرج ابن طريف من يومه ، وعمل بضدّ ما أراد الأمير ، وأنفذ الحكم ، وبلغ حبيباً الخبر ، فدخل على الأمير مُتَغَيِّراً غيظاً ، فذكر له ما عمله القاضي ، ووصفه بالاستخفاف بأمره ، والنقض له ، وأغراه .

فغضب الأمير على القاضي واستحضره ، فقال له : من أمرك على أن تنفذ حكماً وقد أمرتك بتأخيره والإناءة به ؟

فقال له : قدمني عليه رسول الله ﷺ ! فإنما بعثه الله بالحق ، ليقضي على القريب والبعيد ، والشريف والدنيء ، وأنت أيها الأمير ، ما الذي حملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض ، وأنت تجد مندوحة بأن ترضي من مالك من تعنى به ، وتمد الحق لأجله ؟

فقال له : جزاك الله ، يا ابن طريف خيراً !

وخرج القاضي ، فدعا بالقوم الذين صارت الضيعة إليهم بالاستحقاق ، وكلمهم ، فوجدهم راضين ببيعها ، إن أجزل لهم الثمن ، فعقد فيها البيع معهم ، وصارت إلى حبيب ، فكان بعد ذلك يقول :

جزى الله ابن طريف عنا خيراً ! كانت بيدي ضيعة حرام ، فجعلها حلالاً ! » .

٧٥ ـ احمرّي وابيضّي وغرّي غيري .

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ١١٥) ما نصه :

« قال الأصمعي : لما أُتي علي ـ رضي الله عنه ـ بالمال ، أقعد بين يديه الوزّان والنقّاد ، فكوّم كومةً من ذهب ، وكومة من فضة ، وقال :

يا حمراء ، ويا بيضاء ، احمرّي ، وابيضّي ، وغرّي غيري ، وأنشد :

هــذا جنــاي وخيــاره فيــه ‏ ‏ ‏ إذ كــل جــانٍ يــده إلى فيــه

٧٦ ـ ما أقول لربي إذ قال لي : بعت دينك كما باعه غيرك .

جاء في كتاب المنهج الأحمد (١/ ١٣٧) في ترجمة الحسن بن عرفة رحمه الله ، ما نصه :

« قال : دخلت على أحمد بن حنبل بعد المحنة ، فقلت : يا أبا عبد الله ، قمت في مقام الأنبياء ، فقال لي : اسكت فإني رأيت الناس يبيعون أديانهم ، ورأيت العلماء ممن كان معي يقولون ويميلون ، فقلت :

من أنا ؟ وما أنا ؟ **وما أقول لربي غداً إذا وقفت بين يديه جل جلاله فقال لي : بعت دينك كما باعه غيرك** ؟ ففكرت في أمري ، ونظرت إلى السوط والسيف ، فاخترتهما .

وقلت : إن أنا مت صرت إلى ربي عز وجل فأقول له : دعيتُ إلى أن أقول في صفة من صفاتك مخلوقة ، فلم أقل ، فالأمر إليه ، فإن شاء عذّب ، وإن شاء رحم .

فقلت : وهل وجدت لأسواطهم ألماً ؟

قال لي : نعم ، وجدت إلى أن جاوزت العشرين ، ثم لم أدر بعد ذلك ، ثم لما حلَّ العقابون كأني لم أجد له ألماً ، وصليت الظهر قائماً .

وقال الحسن : فبكيت ، فقال لي : ما يبكيك ؟ قلت : بكيت مما نزل بك .

قال : **أليس لم أكفر ؟ ما كنت أبالي لو تلفت** ».

٧٧ ـ أبت الدراهم إلاّ أن تخرج أعناقها :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ١١٦) ما نصه :

« عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال :

كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملاً يشترط عليه أربعاً :

ألاّ يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقيء ، ولا يتخذ بواباً .

ومر ببناء يبنى بحجارة وجصّ فقال : لمن هذا ؟

فذكروا عاملاً له على البحرين .

فقال : أبت الدراهم إلاّ أن تخرج أعناقها .

وشاطره ماله» .

البراذين : برذون بكسر الباء وضمها : الدابة أو الفرس غير الأصيلة ، وقيل التركي من الخيل ، (البغال) .

النقي : مخ العظم .

٧٨ ـ اعلم أنك لو شتمتني لم ترد إلاّ الخير :

جاء في كتاب آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٢٧٤) :

عن الربيع بن سليمان قال :

«دخلت على الشافعي ـ وهو مريض ـ فقلت له : قوى الله ضعفك .

فقال : لو قوي ضعفي قتلني .

فقلت : والله ما أردت إلا الخير .

قال : اعلم أنك لو شتمتني لم تُرد إلا الخير » .

٧٩ ـ الحق أكبر منه :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ١٣٩) والبيان والتبيين (١/ ١٠١) وتهذيب ابن عساكر (٣/ ١٧٨) ما نصه :

« قدم إياس ابن معاوية الشام وهو غلام ، فقدّم خصماً له إلى قاض لعبد الملك بن مروان ، وكان خصمه شيخاً كبيراً .

فقال له القاضي : أتقدّم شيخاً كبيراً ؟

فقال له إياس : الحق أكبر منه .

قال : اسكت .

قال : فمن ينطق بحجتي ؟

قال : ما أظنك تقول حقاً حتى تقوم .

قال : أشهد أن لا إله إلاّ الله .

فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته ، وأخرجه من الشام لا يفسد عليَّ الناس ».

٨٠ ـ طلب المرأة المضلة ولدها ، ليس لها غيره :

جاء في توالي التأسيس (ص ٦٢) ما نصه :

« قال المزني : قيل للشافعي : كيف شهوتك للعلم ؟ قال : أسمع بالحرف ـ مما لا أسمعه ـ فتود أعضائي أن لها أسماعاً ، تتنعم به مثل ما تنعمت به الأذنان .

فقيل له : فكيف حرصك عليه ؟

قال : حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال .

فقيل له : فكيف طلبك له ؟

قال : **طلب المرأة المضلة ولدها ، ليس لها غيره** ».

٨١ ـ هلاّ وسعك ما وسعهم :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١/ ١٢٦) ما نصه :

« أن الواثق أُتي بشيخ مقيّد ، فقال له ابن أبي دؤاد : يا شيخ ما تقول في القرآن ، أمخلوق هو ؟

فقال له الشيخ : لم تنصفني المسألة أنا أسألك قبل الجواب .

هذا الذي تقوله يا ابن أبي دؤاد من خلق القرآن شيء علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أو جهلوه ؟

قال : بل علموه .

قال : فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا ؟

قال : بل سكتوا .

قال : **فهلا وسعك ما وسعهم من السكوت** .

فسكت ابن أبي دؤاد ، وأعجب الواثق كلامه ، وأمر بإطلاق سبيله ، وقام الواثق من مجلسه وهو على ما حكى يقول : هلا وسعك ما وسعهم ، يكرر هذه الكلمة ـ يقول الإمام السبكي ـ وكان ذلك من الأسباب في خمود الفتنة » .

حكمة وهبها الله تعالى لهذا الرجل كانت سبباً رئيساً في خمود فتنة عصفت بالعالم الإسلامي وبعلمائه فترة قاربت العقدين من الزمن ، فالخصومة والجدال ورفع الصوت واللغو ليست هي الصفات اللازمة في هذه الأحوال ، وإنما القلوب المليئة بالحكمة والألسن التي تنطق بها .

٨٢ ـ ليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور :

جاء في كتاب آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٣٢٠ ـ ٣٢١) ما نصه :

« قال الشافعي ، حدثني محمد بن إبراهيم ، قال : كنت عند أبي جعفر المنصور وعنده ابن أبي ذئب ، فقال جعفر لابن أبي ذئب : ما تقول في الحسن بن زيد ؟ ـ وكأنه تكلم فيه .

فقال له الحسن : الله ، الله ، والله ما سلم عليه أحد ، وإن شئت فسله عن نفسك يا أمير المؤمنين .

قال محمد بن إبراهيم : فجمعت ثيابي والسياف قائم على رأس أبي جعفر ، مخافة أن يأمر به فيقتل فيصيب دمه ثوبي .

قال : ما تقول فيَّ ؟

قال : أعفني يا أمير المؤمنين .

قال : لابد أن تقول .

قال : إنك لا تعدل في الرعية ، ولا تقسم بالسوية . فتغيَّرَ وجه أبي جعفر ، فقام إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، وقال :

طهرني بدمه يا أمير المؤمنين .

قال له ابن أبي ذئب : **اقعد يا بني ، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور** » .

٨٣ ـ ماذا في يديك :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٠) في ترجمة ابن السماك الزاهد القدوة سيد الوعاظ أبو العباس محمد بن صبيح العجلي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال : هب الدنيا في يديك ، ومثلها ضُم إليك ، وهب المشرق والمغرب يجيء إليك ، فإذا جاءك الموت ، **فماذا في يديك** » .

٨٤ ـ هذا والله الملك :

جاء في تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٦) و وفيات الأعيان (٣/ ٣٣) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٤) في ترجمته عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ ما نصه :

عن أشعث بن شعبة المصيصي ، قال : قدم الرشيد الرقة ، فانجفل الناس خلف ابن المبارك ، وتقطعت النعال ، وارتفعت الغبرة . فأشرفت أُم ولد لأمير المؤمنين من برج قصر الخشب فقالت : ما هذا ؟

قالوا : عالم من أهل خراسان ، قَدِم .

قالت : **هذا والله المُلك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلاّ بشُرَطٍ وأعوان** .

٨٥ ـ هو الخلاص إن أردت الخلاص :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٦) ما نصه :

« قال فيض بن إسحاق : سمعت الفضيل بن عياض ، وسأله عبد الله بن

مالك : يا أبا علي ما الخلاص مما نحن فيه ؟

قال : أخبرني ، من أطاع الله هل تضره معصية أحد .

قال : لا .

قال : فمن يعصي الله هل تنفعه طاعة أحد ؟

قال : لا .

قال : هو الخلاص إن أردت الخلاص » .

٨٦ ـ سبحان الله ما أعقله من رجل :

جاء في تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٢) في ترجمة حاتم الأصم الإمام الزاهد ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي عبد الله الخواص ـ وكان من عِليَةِ أصحاب حاتم ـ قال :

لما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له : يا أبا عبد الرحمن أنت رجل أعجمي ، وليس يكلمك أحد إلاّ قطعته ، لأي معنى ؟ !

فقال حاتم : معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي .

قالوا : أي شيء هي ؟

قال : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن له إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه .

فبلغ ذلك أحمد بن محمد بن حنبل فقال : **سبحان الله ما أعقله من رجل** ! .

٨٧ ـ إنما يقوم الناس لرب العالمين .

جاء في سير أعلام النبلاء (٧/ ١٤٣) وتاريخ بغداد (٢/) ما نصه :

« عن أبي العيناء قال : لما حج المهديُّ ، دخل مسجد رسول الله ﷺ فلم يبق أحد إلاّ قام ، إلاّ ابن أبي ذئب .

فقال له المُسيب بن زهير : قم ، هذا أمير المؤمنين .

فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين .

فقال المهدي : دعه ، فلقد قامت كل شعرة في رأسي » .

٨٨ ـ ليتك تسلم ، وليتك تسلم ، وليتك تسلم .

جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨/ ٢٤٢) في ترجمة حاتم بن عنوان أبو عبد الرحمن الأصم ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي جعفر الهروي قال : كنت مع حاتم حين كر وقد أراد الحج . فلما وصل إلى بغداد قال لي :

يا أبا جعفر أحب أن ألقى أحمد بن حنبل .

فسألنا عن منزله ومضينا إليه ، فطرقت عليه الباب ، فلما خرج قلت :

يا أبا عبد الله أخوك حاتم .

قال : فسلم عليه ورحب به ، وقال له ـ بعد بشاشته به ـ :

أخبرني يا حاتم فيم التخلص من الناس ؟

قال : يا أحمد في ثلاث خصال .

قال : وما هي ؟

قال : أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً .

قال : وتقضي حقوقهم ولا تستقضي أحداً منهم حقاً لك .

قال : وتحتمل مكروههم ، ولا تكره أحداً على شيء .

قال : فأطرق أحمد ينكت بإصبعه على الأرض ، ثم رفع رأسه ثم قال : يا حاتم إنها لشديدة !

فقال له حاتم : **وليتك تسلم ، وليتك تسلم ، وليتك تسلم** » .

٨٩ ـ إن قدرت أن لا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) في ترجمة الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن يحيى بن يوسف الزَّقّي ، عن فضيل بن عياض قال :

لما دخل علي هارون أمير المؤمنين قلت :

يا حسن الوجه ، لقد كُلفتَ أمراً عظيماً ، أمَا إنني ما رأيت أحداً أحسن وجهاً منك ، **فإن قدرت أن لا تسود هذا الوجه بلفحة من النار ، فافعل** .

قال : عِظني .

قال : بماذا أعظك ؟ هذا كتاب الله بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن أطاعه ، وماذا عمل بمن عصاه ، إني رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً ، ويطلبونها طلباً حثيثاً ، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها .

وقال : عد إلي .

فقال : لو لم تبعث إلي لم آتك ، وإن انتفعتَ بما سمعتَ عدتُ إليك » .

٩٠ ـ غفر الله لك كما أكرمت العلم :

جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي (١/ ١٢٥) وفوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي (١/ ١٥) في ترجمة الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي أحد الأئمة الأعلام ما نصه :

« قد كان إسماعيل بن إسحاق يشتهي رؤية إبراهيم الحربي ، وكان إبراهيم لا يدخل عليه ، ويقول : لا أدخل داراً عليها بواب ، فأخبر إسماعيل بذلك ، فقال : أنا أدع بابي كبابة الجامع .

فجاء إبراهيم إليه ، فلما دخل عليه خلع نعليه ، فلفَّهما القاضي في منديل دبيقي وجعلهما في كمه ، وجرى بينهما بحث كثير ، فلما قام إبراهيم التمس

نعليه ، فأخرج القاضي النعل من كمه .

فقال إبراهيم : غفر الله لك كما أكرمت العلم .

فلما مات القاضي رئي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال : أُجيبت فيَّ دعوة إبراهيم الحربي » .

٩١ ـ ولا تود من يودهم .

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤٥٠) في ترجمة أشهب بن عبد العزيز المعارفي الجعدي أحد أصحاب مالك بن أنس رحمهما الله تعالى ما نصه :

« قال أشهب : أتيت الفضيل أستشيره في إتيان الوالي ، وكيف آتيه ، فليس أحد يأتيه أقوم بأمره ونهيه مني . وربما قبل وانتفع بذلك المسلمون .

فقال لي : أنت رجل تسألني عن خاصة نفسك لأنك لا تأتيهم ، ولا تودهم ، ولا تود من يودهم » .

٩٢ ـ حق لك أن تكون سيداً شريفاً :

جاء في كتاب فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي (١/ ١٦٨ ـ ١٦٩) في ترجمة أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين ما نصه :

« حكى أبو اليقظان قال :

دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان فقال له : بم سُدتَ الناس ؟

فقال : هو من غيري أحسن .

فقال له : بلغني عنك خصال شريفة ، وأنا أعزم عليك ألا ذكرت بعضها .

فقال : أما إذا عزمت عليَّ فنعم .

فقال عبد الملك : هذه أولها .

فقال أسماء : ما سألني أحد حاجة إلا ورأيت له الفضل عليّ ، ولا دعوت أحداً إلى طعام إلا ورأيت له المنة عليّ ، ولا جلس إليّ رجل إلا ورأيت له الفضل عليّ ، ولا قصدني أحد في حاجة إلا وبالغت في قضائها ، ولا شتمت أحداً قط ، لأنه إنما يشتمني أحد رجلين ، إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بعفوها ، وإما لئيم فأصون عرضي منه .

فقال له عبد الملك : **حق لك أن تكون سيداً شريفاً** » .

٩٣ ـ لقد بين الله لي ووعظت .

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) في ترجمة سعيد بن هشام المخزومي أحد أصحاب مالك ما نصه :

« وقال الحارث ـ يعني ابن مسكين ـ : قدم مصر قاض عمري كأنه شعلة نار ، وكان يجلس للناس من صلاة الغداة إلى الليل ، وكان حسن الطريقة ، مستقيم الأمر ، وكان ابن وهب وأشهب وجميع أهل العلم يحضرون مجلسه .

فقال : أعينوني ودلوني على قوم من أهل البلد أستعين بهم ، فمن يرضى ؟

قال سعيد : فكتب إلي أن أخلفه بالفيوم ، وأعينه . وكتب إلي أصحابي يسألونني ذلك ويخبرونني بصحة واستقامة أمره ، فأشكل عليَّ الأمر ولم أدر ما أصنع .

فسمعت قائلاً لا أراه ويقول :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ . . . ﴾ [هود: ١١٣].

فقلت : **لقد بين الله ووعظت** . وعرفت على أن لا أدخل في شيء ، وكتبت إلى أصحابنا أن كفيتموني وإلا انتقلت . فكتب إلي بعضهم يعتذر » .

٩٤ ـ لا أُكرمهم إذ أهانهم الله :

جاء في كتاب عيون الأخبار لأبي محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ (١/ ١٠٢) ما نصه :

عن عياض بن أبي موسى أنَّ عمر بن الخطاب قال لأبي موسى : ادعُ لي كاتبك ليقرأ لنا صحفاً جاءت من الشام .

فقال أبو موسى : إنه لا يدخل المسجد .

قال عمر : أبه جنابة ؟ قال : لا ، ولكنه نصراني .

قال : فرفع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال :

مالكَ ! قاتلكَ الله ! أما سمعت قول الله عز وجل :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١] ألا اتخذت رجلاً حنيفياً ؟

فقال أبو موسى : له دينه ولي كتابته .

فقال عمر : « لا أُكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أُعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله » .

٩٥ ـ قد حكمتُ بالعدل ، فلينقضه الأمير إن قدر .

جاء في كتاب تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن المالقي (ص ٤٦) في ترجمة القاضي المصعب بن عمران ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« وفي كتاب الحسن بن محمد : إنَّ العباس بن عبد الملك المرواني اغتصب رجلاً من أهل جَيَّان ضَيعَتَه . فبينا هو ينازعه فيها ، هلك الرجل ، وترك أيتاماً صغاراً . فلما ترعرعوا وسمعوا بعدل القاضي مصعب وقضائه قدموا قرطبة وأنهوا إليه مظلمتهم بالعباس وأثبتوا ما وجب إثباته . فبعث القاضي في العباس ، وأعلمه بما دفعه إليه الأيتام ، وعرفه بالشهود عليه ، وأعذر إليه فيهم ، وأباح له المدافع ، وضرب له الآجال .

فلما انصرمت ، ولم يأت بشيء ، أعلمه أنه ينفذ الحكم عليه . ففزع العباس إلى الأمير الحَكَم ، وسأله أن يوصي إلى القاضي التخلي عن النظر في قصته ، ليكون هو الناظر فيها .

فأدخل إليه الأمير ذلك مع خليفة له من أكابر فتيانه ، فلما أدى الوصية

إليه اشتدت عليه ، وقال : « إن القوم قد أثبتوا حقهم ! ولزمهم في ذلك عناء طويل ونصب شديد ، لبعد مكانهم ، وضعف حالتهم ، وفي هذا على الأمير ـ أعزه الله ـ ما فيه ، فلست أتخلى عن النظر وإنفاذ الحكم لوجهه . فليفعل الأمير بعده ما يراه صواباً من رأيه ! » .

فرجع الرسول إلى الأمير بجوابه ، فوجم منه ، وجعل العباس يغريه بمصعب ، ويقول له :

« قد أعلمتُ الأمير بشدة استخفافه وغلطه في نفسه ، وتقديره أن الحُكمَ له ، ولا حكم للأمير عليه ! »

فأعاد الإرسال إليه بعزمه منه ، يقول :

« لا بد لك من أن تكفَّ عن النظر في هذه القضية ، لأكون أنا الناظر فيها ! »

فلما جاءه بعزمته ، أمره بالقعود ، ثم أخذ قرطاساً فسواه ، وعقد فيه حُكمه للقوم بالضيعة ثم أنفذه لوقته بالإشهاد عليه ، ثم قال للرسول :

« اذهب إلى الأمير ـ أصلحه الله ـ فأعلمه أني قد أنفذت مالزمني إنفاذه من الحق خوف الحادثة على نفسي ، ورهبة السؤال عنه ، وإن شاء نفذه ، فذلك له ! يتقلد منه ما شاء ! »

فذهب مغضباً ، وحرف كلام القاضي ، وحكى عنه أنه قال :

« قد حكمتُ بالعدل فلينقضه الأمير إن قدر ! » فاستشاط غيظاً ، وأطرق ملياً ، والعباس يهيج غضبه ، وهمَّ بمصعب ، إلى أن تداركته عِصمةٌ من الله ، ثبتت بصيرته ، فسُرِّيَ عنه ، وقال للعباس : «اربع على ظلعك ! فما أشقاه من جرى عليه قلم القاضي ! ففف عند أمره ! فإنه أشبه بنا وأولى بك ! »

وأقام على حسن رأيه في القاضي ، ولم يعرضه » .

وقول الأمير : « اربع على ظلعك ! » معناه : إنك ضعيف فانته عما لا تطيقه !

٩٦ ـ لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ١٠٣) ما نصه :

« عن أبي ذنباع عن أبي الدهقانة قال : ذُكر لعمر بن الخطاب غُلامٌ كاتبٌ حافظٌ من أهل الحيرة وكان نصرانياً . فقيل له : لو اتخذته كاتباً .

فقال : **لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين** » .

٩٧ ـ ثابروا على تدوين العلم ، تنالوا به الدنيا والآخرة :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤٧٧) في ترجمة أسد بن الفرات الإمام العلم أحد أصحاب مالك ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« لما خرج أسد إلى سوسة ليتوجه منها إلى صقلية ، خرج معه وجوه أهل العلم والناس يشيعونه ، وأمر زيادة أن لا يبقى أحد من رجاله إلا شيعه ، فلما نظر الناس حوله من كل جهة ، وقد صهلت الخيل وضربت الطبول وخفقت البنود ، قال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والله يا معشر المسلمين ما ولي لي أب ، ولا جد ، ولا رأى أحد الناس من سلفي ، مثل هذا ، وما بلغت ما ترون إلا بالأقلام ، فاجتهدوا أنفسكم فيها ، **وثابروا على تدوين العلم ، تنالوا به الدنيا والآخرة** » .

٩٨ ـ لا تتباعدي عنه فيتغير عليك :

جاء في كتاب فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي (١/ ١٦٩) في ترجمة أسماء بن خارجة الفزاري ما نصه :

« لما أراد أسماء أن يهدي ابنته إلى زوجها قال لها :

يا بُنيّة ، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، ولا تدني منه فيملّك ، **ولا تتباعدي عنه فيتغير عليك** ، وكوني له كما قلت لأمك :

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
فإني رأيت الحبَّ في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

٩٩ ـ لا أخون المسلمين في قبض يد مثله ! :

جاء في كتاب تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن المالقي (ص ٤٨ ـ ٤٩) في ترجمة محمد بن بشير المعافري القاضي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« ومن كتاب محمد بن حارث ، حديث أحمد بن خالد ؛ قال : سمعنا محمد بن وضاح يقول :

وكَّلَ سعيدُ الخير بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية عند القاضي محمد بن بشير وكيلاً يخاصم عنه في شيء اضطرَّ إليه ، وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات من أهل القبول ، وقد أتى عليهم الموت ، فلم يكن فيها من الأحياء إلاّ الأمير الحكم بن هشام وشاهد آخر مُبَرَّزٌ ، فشهد ذلك الشاهدُ عند القاضي ، وضربت الآجال على وكيله في شاهد ثانٍ رجى به الخصام ، فدخل سعيد الخير بالكتاب إلى الأمير الحكم ، وأراه شهادته في الوثيقة ـ وكان قد كتبها قبل الإمارة في حياة والده ـ وعرّفه مكان حاجته إلى أدائها عند قاضيه ، خوفاً من بطول حقه .

وكان الحكم يعظِّم سعيد الخير عمه ، ويلزم مبرَّته ؛ فقال له : « يا عمِّ ! إنا لسنا من أهل الشهادات ، فقد التبسنا من فتن هذه الدنيا بما لا نجهله ؛ ونخشى أن توقفنا مع القاضي موقف مخزاةٍ ، كنا نفديه بملكنا ، فصِر في خصامك إلى ما صيرَّك الحق إليه ! وعلينا خلف ما انتقصك ! » .

فأبى عليه سعيد الخير ، وقال :

« سبحان الله ! وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك ، وأنت وليته ، وهو حسنة من حسناتك ! ولقد لزمك في الديانة أن تشهد لي بما علمته ، ولا تكتمني ما أخذ الله عليك ! »

فقال له الأمير : « بلى ! إن ذلك لمن حقك كما تقول ، ولكنك تُدخل به

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
فإني رأيت الحبَّ في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

٩٩ ـ لا أخون المسلمين في قبض يد مثله ! :

جاء في كتاب تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن المالقي (ص ٤٨ ـ ٤٩) في ترجمة محمد بن بشير المعافري القاضي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« ومن كتاب محمد بن حارث ، حديث أحمد بن خالد ؛ قال : سمعنا محمد بن وضاح يقول :

وكَّلَ سعيدُ الخير بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية عند القاضي محمد بن بشير وكيلاً يخاصم عنه في شيء اضطرَّ إليه ، وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات من أهل القبول ، وقد أتى عليهم الموت ، فلم يكن فيها من الأحياء إلاّ الأمير الحكم بن هشام وشاهد آخر مُبرَّزٌ ، فشهد ذلك الشاهدُ عند القاضي ، وضربت الآجال على وكيله في شاهد ثانٍ رجى به الخصام ، فدخل سعيد الخير بالكتاب إلى الأمير الحكم ، وأراه شهادته في الوثيقة ـ وكان قد كتبها قبل الإمارة في حياة والده ـ وعرّفه مكان حاجته إلى أدائها عند قاضيه ، خوفاً من بطول حقه .

وكان الحكم يعظِّم سعيد الخير عمه ، ويلزم مبرَّته ؛ فقال له : « يا عمِّ ! إنا لسنا من أهل الشهادات ، فقد التبسنا من فتن هذه الدنيا بما لا نجهله ؛ ونخشى أن توقفنا مع القاضي موقف مخزاةٍ ، كنا نفديه بملكنا ، فصِر في خصامك إلى ما صيرَّك الحق إليه ! وعلينا خلف ما انتقصك ! » .

فأبى عليه سعيد الخير ، وقال :

« سبحان الله ! وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك ، وأنت وليته ، وهو حسنة من حسناتك ! ولقد لزمك في الديانة أن تشهد لي بما علمته ، ولا تكتمني ما أخذ الله عليك ! »

فقال له الأمير : « بلى ! إن ذلك لمن حقك كما تقول ، ولكنك تُدخل به

علينا داخلة ؛ فإن أعفيتنا منه ، فهو أحب إلينا ؛ وإن اضطررنا ، لم يمكنّا عقوقك . »

فعزم عليه سعيد الخير عَزمَ من لم يشك أن قد ظفر بحاجته ، وضايقته الآجال فألح عليه ؛ فأرسل الأمير الحكم عند ذلك عن فقيهين من فقهاء حضرته ، وخط شهادته تلك بيده في قرطاس ، وختم عليها بخاتمه ، ودفعها إلى الفقيهين ، وقال لهما :

هذه شهادتي بخطي تحت طابعي ! فأدياها إلى القاضي !

فأتياه بها إلى مجلسه ، في وقت قعوده للسماع من الشهود فأدياها إليه . فقال لهما : « قد سمعتُ منكما فقوما راشدين ! » وانصرفا .

وجارت دولة وكيل سعيد الخير ؛ فتقدم إليه مدلاً ، واثقاً بالخلاص؛ فقال له :

« أيها القاضي ! قد شهد عندك الأمير ـ أصلحه الله ـ فماذا تقول ؟»

فأخذ القاضي كتاب الشهادة ونظر فيه ؛ ثم قال للوكيل :

« هذه شهادة لا تعمل بها عندي ! فجيء بشاهد عدل ! »

فدهش الوكيل ، ومضى إلى موكِّله ؛ وأعلمه ؛ فركب من فوره إلى الأمير الحكم وقال له :

« ذهب سلطاننا وأُزيل بهاؤنا ! ويجترىء هذا القاضي على رد شهادتك ، والله تعالى قد استخلفك على خلقه ، وجعل الأمر في دمائهم وأموالهم إليك ! هذا ما لا ينبغي أن تحتمله عليه ! »

وجعل يغريه بالقاضي ، ويحرضه على الإيقاع به ، فقال له الحكم :

« وهل شككتُ أنا في هذا؟ يا عمِّ ! القاضي ـ والله ـ رجل صالح ، لا تأخذه في الله لومة لائم ! فقال الذي يجب عليه ، ويلزمه ، ويسد باباً كان يصعب علينا الدخول منه ! فأحسن الله عنا وعن نفسه جزاءه ! »

فغضب سعيد الخير من قوله ، وقال له :

« هذا حسبي منك ! »

فقال له : « نعم ! قد قضيت الذي كان عليَّ ! ولست والله أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله ! » .

ولما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك ، قال لمن عاتبه : « يا عاجز ! ألا تعلم أنه لابد من الأعذار في الشهادات ؟ فمن كان يجترىء على الدفع في شهادة الأمير لو قبلتها ؟ وإن لم أعذر ، بخست المشهود عليه بعض حقه ! » .

١٠٠ ـ أخشى أن يُضرب ظهري ، ويشتم عرضي ، وينزع مالي .

جاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ١١٦ ـ ١١٧) ما نصه :

« عن ابن سيرين قال :

لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟

قال أبو هريرة : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما ، ولم أسرق مال الله ؟

قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟

قال : خيلي تناسلت ، وعطائي ، وسهامي تتابعت فقبضتها منه .

قال ابو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين . ثم قال لي عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ فقلت : لا .

قال : قد عمل من هو خير منك ؛ يوسف .

فقلت : يوسف نبي ابن نبي ، وأنا ابن أميمة ، أخشى ثلاثاً واثنتين .

قال : فهلا قلت خمساً ؟

قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، **وأخشى أن يُضرب ظهري ، ويُشتم عرضي ، ويُنزع مالي** » .

١٠١ ـ اسقنا سقيا نافعة تجدد الإيمان في قلوبنا .

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤٨٩) في ترجمة عنبسة بن خارجة الغافقي أحد أصحاب مالك بن أنس ـ رحمهما الله تعالى ـ ما نصه :

« ذكروا أنه أصاب الناس بصفاقس سبع سنين قحط ، فأتوا أبا خارجة يستسقي لهم ، فقال لهم : تأتون غداً بنسائكم ، وصبيانكم ، وبهائمكم ، وتبيتون الصيام الليلة ، فإذا كان غداً قفوا بين يديه ، وتضرعوا إليه ، فإنه يرق لحالكم .

ففعلوا ذلك ، فخرج أبو خارجة ، فصلى بهم وخطب ودعا ، ثم جلس إلى صلاة الظهر ، وقد اشتد الحر ، وبكى الأطفال وصاحت البهائم من الحر ، فصلى بهم الظهر ، ثم بسط يديه وقال :

« أنت مولانا مالنا غيرك ولا سواك ، بك نالوا الدرجة الرفيعة ، والمواهب العالية ، ولولاك ما نالوها ، وأنت ذو رحمة واسعة ، وأنت العالم بأحوالنا ، وقبيح أعمالنا ، وما لنا غيرك ولا سواك ، وقد قامت آمالنا بك وقد جئونا بين يديك ، بهائمنا جائعة ، وأرضنا سوداء يابسة ، وقلوبنا خائفة ، وبيوتنا فارغة ، وسماؤك عامرة ، وخزائنك واسعة ، **فاسقنا سقية نافعة تجدد الإيمان في قلوبنا** ، ولا نبرح بين يدي رب كريم حتى يسقينا ، وسيلتنا إليك نبينا الذي جعلته رحمة لنا صلى الله عليه وسلم .

وقال : فإذا بريح بيضاء بدت بهم ، ثم اندفعت بالغيث ، فمضى أبو خارجة يرفع ثيابه ويقول :

بهذا يعرف الكريم ، هذا فعلك فيمن قصدك ، وبهذا تُعرف وتوصف » .

١٠٢ ـ لَخَمرٌ أشربه وأتوب منه أحب إلي من الوزارة :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٨) في ترجمة يعقوب بن داود بن طهمان الفارسي الوزير الكبير ، الزاهد ، الخاشع الكاتب ، ما نصه :

« كان يقول - يعني مخاطباً الخليفة المهدي العباسي -: **لَخَمرٌ أشربه وأتوب منه أحب إلي من الوزارة ، وإني لأركب إليك يا أمير المؤمنين ، فأتمنى يداً خاطئة تصيبني ، فأعفني ، وولِّ من شئت ، فإني أحب أن أسلم عليك أنا وولدي ، فما أتفرغ ، وليتني أمور الناس ، وإعطاء الجند ، وليس دنياك عوضاً عن ديني .**

فيقول : اللهم أصلح قلبه » .

١٠٣ ـ رجف لمجيئه الدولة :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٥) في ترجمة الإمام القدوة الزاهد العابد أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري المدني ما نصه :

« قال مصعب الزبيري : كان العمري أصفر جَسيماً ، لم يكن يقبل من السلطان ولا غيره ، ومن وُلي من أقاربه ومعارفه لم يكلمه ، وولي أخوه عمر المدينة وكرمان ، فهجره ، ما أدركت بالمدينة رجلاً أهيبَ منه . وكان يقبل صلة ابن المبارك ، وقدم الكوفة ليُخوِّف الرشيدَ بالله ، **فرجف لمجيئه الدولة** ، حتى لو نزل بهم من العدو مئة ألف ، ما زاد من هيبته ، **فرُدَّ** من الكوفة ، ولم يصل إليه » .

١٠٤ ـ من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين نزعت منه الهيبة .

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٥) في ترجمة العمري الذي ورد في النص السابق ، ما نصه :

« قال أبو المنذر إسماعيل بن عمر : سمعت أبا عبد الرحمن العمري الزاهد يقول :

إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله ، بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه ، ولا تأمر ، ولا تنهى خوفاً من المخلوق .

من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين ، نُزِعَت منه الهيبة ، فلو أمر ولده لاستخف به » .

١٠٥ ـ ما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٥) وتاريخ بغداد (١٠/ ١٥٧ ـ ١٥٨) في ترجمة عبد الله بن المبارك الإمام الرباني الزاهد المجاهد ما نصه :

« عن عمر بن حفص الصوفيّ بمنبج ، قال : خرج ابن المبارك من بغداد ، يريد المصيصة ، فصحبه الصوفية ، فقال لهم : أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم ، يا غلام هات الطَّست ، فألقى عليه منديلاً ، ثم قال :

يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما معه ، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم ، والرجل يلقي عشرين ، فأنفق عليهم إلى المَصِّيصة ، ثم قال : هذه بلاد نفير ، فنقسم ما بقي ، فجعل يعطي الرجل عشرين ديناراً .

فيقول : يا أبا عبد الرحمن ، إنما أَعطيتُ عشرين درهماً ،

فيقول : **وما تنكر أن يباركَ اللهُ للغازي في نفقته »** .

١٠٦ ـ ما أحسن ذا إن تم ذا .

جاء في تاريخ بغداد (١٠/ ٦١) ، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٧) في ترجمة عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن علي بن الفضيل ـ يعني ابن عياض ـ ، سمعت أبي يقول لابن المبارك :

أنت تأمرنا بالزُّهد والتقلل والبُلغةِ ، ونراك تأتي بالبضائع ، كيف ذا ؟

قال : يا أبا علي ، إنما أفعل ذا لأصون وجهي ، وأُكرم عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي .

قال : يا ابن المبارك ، **ما أحسن ذا إن تمَّ ذا »** .

١٠٧ ـ صدق أبو عبد الرحمن ونصح .

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٢ ـ ٤١٣) في ترجمة عبد الله بن المبارك الإمام الزاهد المجاهد ما نصه :

« روى عبد الله بن محمد قاضي نصيبين ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة ، قال :

أملى عليَّ ابنُ المبارك سنة سبع وسبعين ومئة ، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس :

يـا عـابـد الحـرمين لـو أبصَرتَنـا	لعلمـتَ أنـكَ في العبـادةِ تلعـبُ
مَن كـانَ يخضبُ جِيدَهُ بـدموعـهِ	فنحـورُنـا بـدمـائِنـا تتخضَّـبُ
أو كـانَ يُتعبُ خيلَـه في بـاطـلٍ	فخيـولنـا يـومَ الصبيحـةِ تتعـبُ
ريحُ العبيرِ لكـم ونحـن عبيرُنـا	رَهَـجُ السنابـكِ والغُبار الأطيَبُ
ولقـد أتـانـا مـن مقـالِ نبيِّنـا	قـولٌ صحيـحٌ صـادقٌ لا يُكـذَبُ
لا يستـوي وغبـار خيـلِ اللهِ في	أنـفِ امرىء ودُخـانَ نـارٍ تلهـبُ
هــذا كتـابُ الله ينطــقُ بيننـا	ليـس الشهيـد بميـتٍ لا يُكـذَبُ

فلقيت الفضل بكتابه في الحرم ، فقرأه ، وبكى ، ثم قال : **صدق أبو عبد الرحمن ونصح** » .

الرهج : الغبار ، السنابك : أطراف حوافر الخيل وجانباه من قُدَّام .

١٠٨ ـ الله يدفع بالسلطان معضلة :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٣ ـ ٤١٤) في ترجمة عبد الله بن المبارك الإمام الزاهد القدوة المجاهد ، ما نصه :

« روى إسحاق بن سُنين لابن المبارك :

إني امـرؤٌ ليس في ديـنـي لِغـامِـزِهِ	لين ولَسـتُ على الإسـلام طعَّـانـا
فـلا أسـبُّ أبـا بكـرٍ ولا عُمـراً	ولـن أسـبَّ مَعَـاذَ اللهِ عُثمـانـا
ولا ابـنَ عـمِّ رسـولِ الله أشتِمُـه	حتىٰ أُلبَّسَ تحت التُّرب أكفانـا

ولا الزُّبير حَوَاريَّ الرسول ولا | أُهدي لطلحةَ شَتماً عزَّ أوهانا
ولا أقول عليٌّ في السحاب إذاً | قد قلتُ واللهِ ظلماً ثم عُدوانا
ولا أقولُ بقولِ الجَهمِ إنَّ له | قولاً قولاً يضارع أهل الشركِ أحيانا
ولا أقول تخلَّى من خليقته | ربُّ العباد وولَّى الأمرَ شيطانا
ما قال فِرعونُ هذا في تمرُّدِهِ | فرعون موسى ولا هامان طغيانا
اللهُ يدفعُ بالسلطانِ مُعضلَةً | عن ديننا رحمةً منه ورِضوانا
لولا الأئمةُ لم تَأمَن لنا سُبُلٌ | وكان أضعفُنا نهباً لأقوانا

فيقال إن الرشيد أعجبه هذا ، فلما أن بلغه موت ابن المبارك بهيت قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا فضل ايذن للناس يُعزُّونا في ابن المبارك . وقال : أما هو القائل :

الله يدفع بالسلطان معضلة . . . ، فمن الذي يسمع هذا من ابن المبارك ، ولا يعرف حقنا .

١٠٩ ـ أحييتني أحياك الله :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣٩) في ترجمة الإمام الزاهد القدوة الرباني الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا أبو عبد الله الأنطاكي قال :

اجتمع الفضيل والثوري ، فتذاكرا ، فرق سفيان وبكى ، ثم قال : أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة .

فقال له الفضيل : لكني يا أبا عبد الله أخاف أن لا يكون أضرَّ علينا منه ، ألستَ تخلصتَ إلى أحسن حديثك ، وتخلصتُ أنا إلى أحسن حديثي ، فتزينت لي وتزينت لك ؟

فبكى سفيان ، وقال :

أحييتني أحياك الله » .

١١٠ ـ يا حسن الوجه ، حساب الخلق كلهم عليك .

جاء في سير أعلام النبلاء في ترجمة الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ ما نصه :

«عباس الدوري : حدثنا محمد بن عبد الله الأنباري قال :

سمعت فضيلاً يقول : لما قدم هارون الرشيد إلى مكة قعد في الحِجر هو وولده ، وقومٌ من الهاشميين ، وأحضروا المشايخ ، فبعثوا إلي فأردت أن لا أذهب ، فاستشرت جاري ، فقال : اذهب لعله يريد أن تعظه ، فدخلت المسجد ، فلما صرت إلى الحجر ، قلت لأدناهم : أيكم أمير المؤمنين ؟ فأشار إليه .

فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فردَّ علي ، وقال : اقعد ، ثم قال : إنما دعوناك لتحدثنا بشيء . وتعظنا .

فأقبلت عليه وقلت :

يا حسن الوجه ، حساب الخلق كلهم عليك .

فجعل يبكي ويشهق ، فرددت عليه ، وهو يبكي ، حتى جاء الخادم فحملوني وأخرجوني ، وقال : اذهب بسلام » .

١١١ ـ سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة :

جاء في حلية الأولياء (٨/ ٢٩٩) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) في ترجمة علي بن الفضيل بن عياض ـ رحمهما الله تعالى ـ ما نصه :

« حدثنا عبد الصمد بن يزيد ، سمعت الفضيل يقول : أشرفت ليلة على عليّ ، وهو في صحن الدار ، وهو يقول : النار ، ومتى الخلاص من النار ؟

وقال لي :

يا أبتِ سل الذي وهبني لك في الدنيا ، أن يهبني لك في الآخرة .

ثم قال : لم يزل مُنكسر القلب حزيناً ، ثم بكى الفضيل ، ثم قال :

كان يساعدني على الحزن والبكاء ، يا ثمرة قلبي ، شكر الله لك ما قد علمه فيك » .

١١٢ ـ لا يتحدث أهل السنة أني أكلت للسنةَّ ثمناً .

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٣) في ترجمة الإمام القدوة الحافظ الحجة عيسى بن يونس بن أبي إسحاق أبو عمرو الهمذاني السبيعي المرابط بثغر الحدث ما نصه :

« عن أبي بلال الأشعري ، عن جعفر البرمكي قال :

ما رأينا في القراء مثل عيسى بن يونس ، أرسلنا إليه ، فأتانا بالرقة ، فاعتل قبل أن يرجع .

فقلت له : يا أبا عمرو ، قد أمرنا لك بعشرة آلاف .

فقال : هيه . قلت : خمسون ألفاً .

قال : لا حاجة لي فيها .

فقلت : ولم ؟ والله ، لأهنِّيَنَّكها ، هي والله مئة ألف .

قال : لا والله ، **لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنةَّ ثمناً** ، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إليَّ ، فأما على الحديث فلا ، ولا شربة ماء، ولا إهليلجة » .

الإهليلج : شجر ينبت في الهند والصين وأفغانستان ، ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار .

١١٣ ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ، صار يعرفني حتى يكتب إلي ؛ أي ذنب بلغ بي هذا ؟ !

جاء في سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥ ـ ٤٦) في ترجمة الإمام الحافظ المقرىء القدوة ، شيخ الإسلام عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي الكوفي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال يعقوب بن شيبة : حدثنا عُبيد بن نعيم ، حدثنا الحسن بن الربيع البوراني قال :

قرىء كتاب الخليفة إلى ابن إدريس ، وأنا حاضر :

من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى عبد الله بن إدريس ، قال : فشهق ابن إدريس شهقة ، وسقط بعد الظهر ، فقمنا إلى العصر ، وهو على حاله ، وانتبه قبيل المغرب ، وقد صببنا عليه الماء فلا شيء ، قال : **إنا لله وإنا إليه راجعون ، صار يعرفني حتى يكتب إلي ! أي ذنب بلغ بي هذا ؟ !**».

١١٤ ـ لأن يأتينا نعيك أحبُّ إلينا من أن يأتينا أنك قلت .

جاء في تاريخ بغداد (١٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٦٤) في ترجمة عاصم بن علي بن عاصم أبو الحسين الواسطي الحافظ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن محمد بن سويد الطَّحَّان ، قال :

كنا عند عاصم بن علي ، ومعنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، وإبراهيم بن أبي الليث ـ وجماعة ـ وأحمد بن حنبل يُضرَبُ ذلك اليوم ، فجعل عاصم يقول : ألا رجل يقوم معي ، فنأتي هذا الرجل فنكلمه ؟

قال : فما يجيبه أحد . ثم قال إبراهيم بن أبي الليث : يا أبا الحسين أنا أقوم معك ، فقال : يا غلام ، خُفيَّ . فقال ابن أبي الليث : يا أبا الحسين أبلغ إلى بناتي ، فأوصيهم وأجدد بهم عهداً .

فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط ، ثم جاء ، فقال عاصم : يا غلام خُفيَّ .

فقال : يا أبا الحسين إني ذهبت إلى بناتي فبكين . قال : وجاء كتاب بنتي عاصم من واسط :

يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل ، فضربه بالسوط على أن يقول : القرآن مخلوق ، فاتق الله ، ولا تجبه ، فوالله **لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك قلت** » .

١١٥ ـ أحوج الناس إلى العلم :

جاء في تهذيب الكمال (١١/ ١٩٢) في ترجمة الإمام الكبير حافظ العصر ، شيخ الإسلام ، سفيان بن عُيَيْنة أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال أحمد بن محمد بن أيوب صاحبُ « المغازي » :

اجتمع الناس إلى سفيان بن عُيَيْنة ، فقال : **من أحوج الناس إلى العلم ؟** فسكتوا ، ثم قالوا : تكلم يا أبا محمد .

قال : أحوج الناس إلى العلم العلماء ، وذلك أن الجهل بهم أقبح ، لأنهم غاية الناس وهم يُسألون » .

١١٦ ـ تعظيم حديث النبي ﷺ :

جاء في تاريخ بغداد (١٤/ ٧ ـ ٨) والمعرفة والتاريخ للفَسَوي (٢/ ١٨١) في ترجمة هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن خُرزاد العابد قال :

حدث أبو معاوية الرشيد بحديث « احتج آدم وموسى » . فقال رجل شريف : فأين لقيه ؟ فغضب الرشيد وقال : **النطع والسيف ، زنديق يطعن في الحديث** .

فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول : بادرة منه يا أمير المؤمنين ، حتى سكن » .

وحديث احتج آدم وموسى : حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب القدر باب تحاج آدم وموسى ، ومسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى وغيرهما .

١١٧ ـ وددت أن الله زاد من عمري في عمره :

جاء في تاريخ بغداد (١٤/ ١٢) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٨٩) في ترجمة الخليفة هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« حدثنا عمار بن ليث الواسطي ، سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما من نفس تموت أشد عليَّ موتاً من أمير المؤمنين هارون ، **وَلَوَددتُ أنَّ الله زاد من عمري في عمره** .

قال : فكبر ذلك علينا ، فلما مات هارون ، وظهرت الفتن ، وكان من المأمون ما حمل الناس على خلق القرآن ، قلنا : الشيخ كان أعلم بما تكلم » .

١١٨ ـ أسباب النجاة :

جاء في حلية الأولياء (٨/ ٦٠) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٤) في ترجمة الإمام الزاهد شيخ خراسان شقيق بن إبراهيم أبو علي الأزدي البلخي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال : لو أن رجلاً عاش مئتي سنة لا يعرف هذه الأربعة ، لم ينج :

معرفة الله ، ومعرفة النفس ـ ومعرفة الله أمر الله ونهيه ـ ومعرفة عدو الله ، وعدو النفس » .

١١٩ ـ هي مثل ليلة العرس: جاء في حلية الأولياء (٨/ ٦٤) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٤) في ترجمة شقيق البلخي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن حاتم الأصم قال :

كنا مع شقيق ونحن مُصافُّو العدو الترك ، في يوم لا أرى إلا رؤوساً تَندُر ، وسيوفاً تُقطَع ، ورماحاً تُقصَف ، فقال لي : كيف ترى نفسك ، **هي مثل ليلة عرسك ؟ قلت : لا والله .**

قال : **لكني أرى نفسي كذلك** ، ثم نام بين الصفين على درقته حتى غط ،

فأخذني تُركي ، فأضجعني للذبح ، فبينا هو يطلب السكين من حُقِّه ، إذ جاءه سهم عائر ذبحه » .

تندر : تسقط .

الدرقة : هي الترس المصنوع من الجلد بلا خشب .

١٢٠ ـ سلم منك الروم والسند والهند والترك ، ولم يسلم منك أخوك المسلم . *

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣٣٦) وتهذيب الكمال (٣/ ٤١٢) في ترجمة إياس بن معاوية المزني قاضي البصرة وفقيهها ما نصه :

« قال سفيان بن حسين الواسطي :

ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية المزني قاضي البصرة ـ وهو تابعي يُضرب المثل بذكائه ـ فنظر في وجهي وقال :

أَغَزَوتَ الروم ؟ قلت : لا ! قال : السند والهند والترك ؟ قلت : لا !

قال : أَفَسَلِمَ منك الروم والسند والهند والترك ، **ولم يسلم منك أخوك المسلم** ؟ !

قال سفيان : فلم أَعُد بعدها ـ يعني إلى عيب أحد من الناس أو غيبته » .

١٢١ ـ ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار .

جاء في وفيات الأعيان (١/ ٢٧١) في ترجمة التابعي الجليل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أحد فقهاء المدينة السبعة ما نصه :

« قال عمر بن عبد العزيز : لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا وما فيها .

وقال أيضاً : **والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال .**

فقالوا : يا أمير المؤمنين تقول هذا مع تحرّيك وشدة تحفظك ؟

فقال : أين يذهب بكم ؟! والله إني لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بالوف والوف ، إن في المحادثة ـ يعني له ولمثله ـ تلقيحاً للعقل ، وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهم ، وتنقيحاً للأدب » .

١٢٢ ـ قلوبنا لازمة للحق :

جاء في « مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي رحمهما الله تعالى (ص ٣١١) ما نصه :

« قيل لأحمد بن حنبل أيام المحنة ـ أي أيام ظهور المعتزلة على أهل السنة ودعوتهم الناس بسلطان الدولة إلى القول بخلق القرآن ـ : يا أبا عبد الله : ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل ؟ !

فقال : كلا ! إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة ! وقلوبنا بعدُ لازمةٌ للحق » .

١٢٣ ـ العلم حياة القلوب من الجهل :

جاء في « شرح حديث العلم » لابن رجب الحنبلي (ص ٣٣ و ٣٥) ما نصه :

« قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : **العلم حياة القلوب من الجهل** ، ومصباح الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الأخيار والأبرار ، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والتفكر فيه يعدل الصيام ، ومذاكرته تعدل القيام ، وبه توصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام . وهو إمام والعمل تابعه ، ويُلهَمُهُ السعداء ، ويُحرَمَهُ الأشقياء » .

١٢٤ ـ شرط الجواز عدم قصد التحقير .

جاء في شرح الإحياء للمرتضى الزبيدي المسمى « إتحاف السادة المتقين » (٧/ ٥٦٦) في مبحث جواز غيبة الفاسق :

« إن ذكر الفاسق بما فيه ليحذره الناس مشروط بقصد الاحتساب وإرادة النصيحة دفعاً للاغترار به ، فمن ذكر أحداً من هذا الصنف ، تشفياً لغيظه ، أو انتقاماً لنفسه ، أو لنحو ذلك من الحظوظ النفسية فهو آثم .

صرح بذلك تاج الدين بن السبكي عن والده تقي الدين السبكي .

قال تاج الدين : كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب ، فقلت : اِخسأْ كلب بن كلب .

فزجرني الوالد من داخل البيت ، فقلت : أليس هو كلب بن كلب ؟

قال : شرط الجواز عدم قصد التحقير .

فقلت : هذه فائدة » .

١٢٥ ـ الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك .

جاء في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للإمام ابن القيم (١/ ٦٩) ما نصه :

« قال عمرو بن ميمون الأودي : صبحت معاذاً باليمن ، فما فارقته حتى واريته التراب بالشام ، ثم صبحت بعده أفقه الناس : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فسمعته يقول :

« عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة »

ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول :

سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فصلوا الصلاة لميقاتها ، فهي الفريضة ، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة .

قال : قلت : يا أصحاب محمد ، ما أدري ما تحدثون ؟

قال : وما ذاك ؟

قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ، ثم تقول : صلِّ الصلاة وحدك ، وهي الفريضة ، وصلِّ مع الجماعة وهي نافلة .

قال : يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية ، تدري ما الجماعة ؟

قلت : لا .

قال : **الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك** » .

وفي لفظ آخر :

« فضرب على فخذي وقال : ويحك ! إن جمهور الناس فارقوا الجماعة ، **وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل** » .

١٢٦ ـ فقهاء العزيمة والرخصة :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٢٦٧) في ترجمة أبي الأحوص أحمد بن عبد الله ـ رحمه الله ـ أحد أصحاب سحنون فقيه إفريقية ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أبو الأحوص : سُئل سحنون عما يأتيه به أهل الشام ، من الرخص في الفتيا .

فقال سحنون : يؤخذ العلم من الموثوق بهم في دينهم ، المحسوس بخيرهم ، فإن أخذوا بالتشديد ، فعن علم ، وإن أخذوا بالرخص ، فعن علم » .

١٢٧ ـ جعلت رجائي دون عفوك سلماً .

جاء في مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١١١ ، ٢٩٣) ومعجم الأدباء (١٧/ ٣٠٣) طبقات الشافعية للسبكي (١/ ١٥٦) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٥ ـ ٧٦) في ترجمة الإمام القدوة فقيه السنة محمد بن إدريس الشافعي ما نصه :

« عن المزني قال :

دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه ، فقلت : يا أبا عبد الله كيف أصبحت ؟

فرفع رأسه وقال :

أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقياً ، وعلى الله وارداً ، ما أدري روحي تصير إلى جنةٍ فأهنيها ، أو إلى نارٍ فأغديها ، ثم بكى ، وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلتُ رجائي دون عفوك سُلَّما
تَعَاظَمَني ذَنبي فلما قرنتُهُ ... بعفوكَ ربي كان عفوك أعظما
فما زِلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما
فإن تنتقم مني فلست بآيسٍ ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما
ولولاك لم يغوي بإبليس عابدٌ ... وكيف وقد أغوى صَفِيَّكَ آدما
وإني لآتي الذنب أعرف قَدرَهُ ... وأعلم أنَّ الله يعفو ترحُّما

١٢٨ ـ منعُ الجود ، سوء ظَنٍّ بالمعبود .

جاء في سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٠) والنجوم الزاهرة (٢/ ٢١٧) في ترجمة السيد الجواد حاتم زمانه أمير البصرة محمد بن عباد بن عباد الأزدي المهلبي ما نصه :

« قال أبو العيناء :

قال المأمون لمحمد بن عباد : أردت أن أُولِّيك ، فمنعني إسرافك .

قال : منعُ الجود ، سوء ظَنٍّ بالمعبود .

فقال : لو شئت أبقيت على نفسك ، فإن ما تنفقه ما أبعد رجوعه إليك .

قال : من له مولى غنيٌّ لم يفتقر .

فقال المأمون : من أراد أن يكرمني فليكرم ضيفي محمداً .

فجاءته الأموال ، فما ذخر منها درهماً .

وقال : الكريم لا تُحَنِّكُهُ التجارب » .

١٢٩ ـ يا أبا عثمان ثَبَّتَكَ الله كما ثبَّتَّ الدين :

جاء في تاريخ بغداد (١٢/ ٢٧١ ، ٢٧٢) وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٦٦) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٥) في ترجمة الإمام الحافظ محدث العراق عفان بن مسلم أبو عثمان البصري الصغار ، ما نصه :

« قال القاسم بن أبي صالح : سمعت إبراهيم بن ديزيل يقول :

دُعيَ عفَّان للمِحنة ، كنت آخذاً بلجام حماره ، فلما حضر ، عُرِض عليه القول ، فامتنع أن يجيب .

فقيل له : يُحبَسُ عَطَاؤك ـ وكان يعطى في كل شهر ألف درهم .

قال : وفي السماء رزقكم وما توعدون . فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومن في داره .

قال : وكان في داره نحو أربعين إنساناً .

فدقَّ عليه داقٌ الباب ، فدخل عليه رجل شبَّهتُه بسمَّانٍ أو زيَّات ، ومعه كيس فيه ألف درهم .

فقال : **يا أبا عثمان ثبَّتَك الله كما ثبَّتَّ الدين** ، وهذا في كل شهر » .

١٣٠ ـ الجواب ما ترى لا ما تسمع .

جاء في تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٤) والبداية والنهاية (١٠/ ٢٩٦) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩١) في ترجمة الخليفة المعتصم أبو إسحاق محمد بن الرشيد العباسي ، ما نصه :

« قال الرياشي :

كتب طاغية الروم إلى المعتصم يتهدده ، فأمر بجوابه ، فلما عرض عليه رماه ، وقال للكاتب : اكتب :

أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وسمعت خطابك ، **والجواب ما ترى لا ما تسمع** (وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) » .

١٣١ ـ كنت أؤملك لهذا اليوم ، كنت أرجوك :

جاء في تاريخ بغداد (٧/ ٢٩) وتهذيب الكمال (٢/ ٣٠٥) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٧) في ترجمة الإمام الحافظ القدوة ، شيخ الشام آدم بن أبي إياس أبو الحسن الخراساني العسقلاني محدث عسقلان ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال الحسين الكوكبي : حدثني أبو عبد الله المقدسي قال :

لما حضرت آدم الوفاة ، ختم القرآن وهو مسجى ، ثم قال :

بحبي لك إلا ما رفقت لهذا المصرع ، **كنت أؤملك لهذا اليوم** ، **كنت أرجوك** .

ثم قال : لا إله إلاّ الله ، ثم قضى رحمه الله » .

١٣٢ ـ يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه :

جاء في فوات الوفيات (٤/ ٢٣٠) وتاريخ بغداد (١٤/ ١٩) والكامل لابن الأثير (٧/ ٢٩) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٤٤) في ترجمة الخليفة الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله العباسي الهاشمي ما نصه :

« قال زرقان بن أبي دؤاد : لما احتضر الواثق ، ردد هذين البيتين :

المـوت فيـه جميـع الخلـق مشتركٌ ... لا سـوقَـةٌ منهـم يبقـى ولا مَلِـكُ

مـا ضرَّ أهـلَ قليـلٍ في تفـرقهـم ... وليس يُغني عن الأملاكِ ما ملكوا

ثم أمر بالبسط ، فطويت ، وألصق خده بالتراب ، وجعل يقول :

يا من لا يزول ملكه ، ارحم من قد زال ملكه » .

١٣٣ ـ اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن هذا هاهنا ، لم أتكلم :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧٣) في ترجمة الإمام العالم المحدث الرباني القدوة ، شيخ الإسلام ، بشر بن الحارث أبو نصر المروزي البغدادي المشهور بالحافي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن حمزة بن دهقان ، قال : قلت لبشر بن الحارث : أحب أن أخلو معك .

قال : إذا شئت فيكون يوماً . فرأيته قد دخل قبة ، فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أصلي مثلها ، فسمعته يقول في سجوده :

اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحبُّ إلي من الشرف ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أوثر على حُبّك شيئاً » .

فلما سمعته ، أخذني الشهيق والبكاء ، فقال :

اللهم أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا ها هنا ، لم أتكلم » .

١٣٤ ـ تركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة :

جاء في سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤) في ترجمة الإمام القدوة الزاهد شيخ نيسابور أحمد بن حرب بن فيروز أبو عبد الله النيسابوري من كبار الفقهاء والعباد ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال نصر بن محمود البلخي : قال أحمد بن حرب : عبدت الله خمسين ، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء :

تركت رضى الناس حتى قدرت أن تكلم بالحق .

وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين .

وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة » .

١٣٥ ـ اتق الله واثبت لأمر الله :

جاء في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٤٢) في ترجمة الإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ما نصه :

« قال حنبل : قال أبو عبد الله : ما رأيت أحداً على حداثة سنه ، وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير .

قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يُقتدى بك ، قد مد الخلق أعناقهم إليك ، لما يكون منك ، فاتق الله واثبت لأمر الله ، أو نحو هذا . فمات وصليت عليه ، ودفنته » .

١٣٦ - حقق الله لهم أمنياتهم :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ٣٢٩) والجليس الصالح الكافي (٢/ ١٤١) ما نصه :

« عن الشعبي قال :

لقد رأيت عجباً ، كنا بِفَناء الكعبة أنا ، وعبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، ومصعب بن الزبير ، وعبد الملك بن مروان ، قال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني ويسأل الله حاجته ، فإنه يعطى من سعة .

قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود ولد في الهجرة ، فقام فأخذ بالركن اليماني فقال :

اللهم إنك عظيم ، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك ، وبحرمة نبيك ، ألاَّ تميتني حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة .

وجاء حتى جلس ، فقالوا : قم يا مصعب بن الزبير ، فقام وأخذ بالركن اليماني وقال :

اللهم إنك رب كل شيء ، وإليك يصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء ، ألاَّ تميتني من الدنيا حتى توليني العراقين ، وتزوجني سكينة بنت الحسين بن علي ، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله .

وجاء حتى جلس ، فقالوا : قم يا عبد الملك بن مروان . فقام وأخذ بالركن اليماني ، وقال :

اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع ، ذات النبت بعد القفر ، أسألك بما سألك المطيعون لأمرك ، وأسألك بحرمة وجهك ، وأسألك

بحقك على جميع خلقك ، وبحق الطائفين حول بيتك ، ألاَّ تميتني من الدنيا حتى توليني شرق الأرض وغربها ، ولا ينازعني أحد إلاّ أتيت برأسه .

ثم جاء حتى جلس ، ثم قالوا : قم يا عبد الله بن عمر ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ، ثم قال :

اللهم إنك رحمن رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ، ألاَّ تميتني من الدنيا حتى تُوجب لي الجنة» .

قال الشعبي : فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل رجل منهم قد أعطي ما سأل من الدنيا ، وبشر عبد الله بن عمر بالجنة .

١٣٧ ـ إن من الإحسان أن يضع الإنسان نصف حقه :

جاء في الجليس الصالح الكافي (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣) في مروءة الحسن البصري ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن هشام بن حسان ، قال :

كان الحسن إذا اشتُري له بشيء بكذا وكذا ونصف أتمه به ، فباع الحسنُ بغلاً له بأربع مائة درهم ، فقيل لصاحبه ، لو أتيته فاستَحْطَطْتَه من ثمنه شيئاً ، فأتاه فقال : يا أبا سعيد ! إن رأيت أن تخفف عني من ثمن البغل ؟

فقال له : خمسون درهماً أرضيت ؟ قال : نعم ، يا أبا سعيد .

فلك خمسون أخرى أرضيت ؟

قال : نعم ، رضي الله عنك .

قال : فلما أدبر الرجل ، قال :

هلم فإنه بلغني أن من الإحسان أن يضع الرجل نصف حقه ، اذهب فلك مائتان » .

١٣٨ ـ النعم تزيد من الهموم :

جاء في الجليس الصالح الكافي (٢/ ٣٣٣) ما نصه :

« قال يحيى بن معين :

كنت أنا وأحمد بن حنبل عند عبد الرزاق ، وكنت أكتب الشعر والحديث ، وكان أحمد يكتب الحديث وحده ، فخرج إلينا يوماً عبد الرزاق ، وهو يقول :

كن موسراً إن شئت أو معسراً   لابد في الدنيا من الهم
وكلما زادك من نعمة زا   دك ما زادك من غم

فقال له أحمد : كيف قلت ؟ كيف قلت ؟ فأعادها عليه فكتبها» .

١٣٩ ـ إني أحذرك ليلة تمخض القيامة في صبيحتها تقوم الساعة :

جاء في مناقب عمر بن عبد العزيز للإمام ابن الجوزي (ص ١٤٠) ما نصه :

« عن نوفل بن عمارة قال : قال عمر بن عبد العزيز : إن أول من أيقظني في هذا الشأن مزاحم . حبست رجلاً فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه ، فكلمني في إطلاقه .

فقلت ما أنا بمخرجه حتى أبلغ في الحيطة عليه بما هو أكثر مما هو عليه .

فقال مزاحم : يا عمر بن عبد العزيز ! **إني أحذرك ليلة تمخض القيامة ، في صبيحتها تقوم الساعة** . يا عمر ! ولقد كدت أنسى اسمك مما أسمع ، قال الأمير ، وقال الأمير .

فو الله ما هو إلاّ أن قال ذلك فكأنما كشف عن وجهي غطاء ! فذكروا أنفسكم ـ رحمكم الله ـ فإن الذكرى تنفع المؤمنين ! » .

١٤٠ ـ كونوا من أبناء الآخرة :

جاء في كتاب الزهد لأحمد (١٣٠) والزهد لابن المبارك (٨٦) والحلية لابن نعيم (١/ ٧٦) ما نصه :

« عن مهاجر بن عمير قال : قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه :

إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة .

ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، **فكونوا من أبناء الآخرة** ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا . فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل » .

١٤١ ـ لئن كنا لسنا بصالحين فإنا نحبهم :

جاء في صفوة الصفوة (٢/ ٢٤١) وكتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ص ٢٣٢) ما نصه :

« عن محمد بن حسان السمتي قال :

شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عُيَيْنَة ، فتكلم الفضيل ، فقال :

كنتم معشر العلماء سُرُجَ البلاد يستضاء بكم ، فصرتم ظُلمةً ، وكنتم نجوماً يهتدى بكم ، فصرتم حَيرةً ، لا يستحي أحدٌ منكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة ، ثم يُسند ظهره ويقول : حدثنا فلان عن فلان .

فقال سفيان : **لئن كنا لسنا بصالحين فإنا نحبهم**» .

١٤٢ ـ مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون :

جاء في الحلية (/ ٢١٣) وصفة الصفوة (١/ ٦٢٨) ما نصه :

« عن الضحاك قال : قال أبو الدرداء :

يا أهل دمشق ! أنتم الإخوان في الدين ، والجيران في الدار ، والأنصار

على الأعداء ، ما يمنعكم من مودتي ؟ وإنما مؤونتي على غيركم . مالي أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّل لكم به ، وتركتم ما أُمرتم به .

ألا إن أقواماً بنوا شديداً ، وجمعوا كثيراً ، وأمَّلوا بعيداً ، فأصبح بنيانهم قبوراً ، وأملهم غروراً ، وجمعهم بوراً ، ألا فتعلموا وعلموا ، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ، ولا خير في الناس بعدهما » .

١٤٣ ـ حادثوا القلوب فإنها سريعة الدثور :

جاء في كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/٣٣٦) في ترجمة الحسن البصري ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة ١١٠ هـ ما نصه :

« عن أبي عبيدة الناجي أنه سمع الحسن بن أبي الحسن يقول :

حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور ، واقرعوا هذه النفوس فإنها طُلَعة ، وإنها تنازع إلى شر غاية ، وإنكم إن تقاربوها لم تبق لكم من أعمالكم شيئاً ، فتصبَّروا وتشدَّدوا فإنما هي ليالٍ تعدُّ . وإنما أنتم ركبٌ وقوفٌ يوشك أن يدعى أحدكم ، فيجيب ولا يلتفت ، فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم .

إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ، وإنما صبر على الحق من عرف فضله ، ورجا عاقبته » .

١٤٤ ـ كل الناس خير منك :

جاء في كتاب صفة الصفوة (٣/ ٢٤٨) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٢٢٦) في ترجمة بكر بن عبد الله المزني ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة ١٠٨ هـ ، وقيل سنة ١٠٦ هـ ما نصه :

« عن كنانة بن جبلة : قال : قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت من هو أكبر منك فقل : هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح ، فهو خير مني .

وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل : هذا سبقته إلى الذنوب والمعاصي ، وهو خير مني .

وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل : هذا فضل أحدثوه .

وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل : هذا ذنب أحدثته » .

١٤٥ ـ إن لله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) ما نصه :

« سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرهم ، وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين ، فكانت هممهم من عظيم شأن الملك ، وجلالة قدره ، قصد الشهوات ، وإيثاره اللذات ، والدخول في معاصي الله عز وجل ، ومساخطته جهلاً منهم باستدراج الله وأمناً لمكره ، فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة .

فقال له صالح بن علي : يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هارباً فيمن معه ، سأل ملك النوبة عنهم ، فأخبر ، فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه ، وأزعجه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ، ويسأله عن ذلك .

فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة . فقال : يا أمير المؤمنين ، قدمت أرض النوبة بأثاث سَلِم لي فافترشته بها وأقمت ثلاثاً ، فأتاني ملك النوبة وقد خبر أمرنا فدخل علي رجل طوال أقنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب .

فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟

قال : لأني ملك ، وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه .

ثم قال لي : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ؟

قلت : اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا .

قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟

قلت : يفعل ذلك جهالنا .

قال : فلم تلبسون الديباج والحرير ، وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟

قلت : ذهب الملك منا ، وقلَّ أنصارنا ، فانتصرنا بقوم من العجم ، دخلوا ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا .

قال : فأطرق ملياً ، وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا ، وزال الملك عنا ! ، يردده مراراً ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت ، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم ، وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم ، فسلبكم الله العز ، وألبسكم الذل بذنوبكم ، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها ، وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم في بلدي فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام ، فتزودوا ما احتجتم إليه ، وارتحلوا عن بلدي ففعلت ذلك » .

وقد جاءت القصة بسياق أطول في كتاب الجليس الصالح الكافي لأبي الفرج المعافي بن زكريا النهرواني الجريري المتوفى سنة ٣٩٠ هـ (٢/ ٣٧٩-٣٨٢) فانظرها هناك .

١٤٦ ـ من استحيى من الله بلغه مقام الأولياء من عباده :

جاء في تهذيب الكمال للحافظ المزي (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) في ترجمة أحمد بن عبد الله أبو الحسن بن أبي الحواري الدمشقي الزاهد المتوفى سنة ست وأربعين ومئتين ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن يوسف بن الحسين قال : قال أحمد بن أبي الحواري :

صحبت أبا سليمان طول ما صحبته ، فما انتفعت بكلمة أقوى علي وأهدى لرشدي ، وأدل على الطريق من هذه الكلمة .

قلت له في ابتداء أمري : أوصني .

قال : أمستوصٍ أنت ؟ قلت : نعم إن شاء الله .

قال : خالف نفسك في كل مراداتها ، فإنها الأمّارة بالسوء ، وإياك أن

تحقر أحداً من المسلمين ، واجعل طاعة الله دثاراً ، والخوف منه شعاراً ، والإخلاص زاداً ، والصدق جُنة ، واقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ، ولا تغفل عنها ، **إنه من استحيى من الله عز وجل في كل أوقاته وأحواله وأفعاله ، بلغه إلى مقام الأولياء من عباده** .

فجعلت هذه الكلمات أمامي ، ففي كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها » .

١٤٧ ـ شفقة مني عليك !

جاء في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧٦) في ترجمة أحمد بن محمد الخراساني النوري البغوي الزاهد ، شيخ الطائفة بالعراق المتوفى سنة خمس وتسعين ومئتين ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي بكر الجلاء قال :

كان النوري إذا رأى منكراً غيره ، ولو كان فيه تلفه ، نزل يوماً فرأى زورقاً فيه ثلاثون دناً ، فقال للملاح : ما هذا ؟ قال : ما يلزمك ؟

فألح عليه : فقال : أنت والله صوفي كثير الفضول ، هذا خمر للمعتضد .

قال : أعطني ذلك المذرى . فاغتاظ وقال لأجيره : ناوله حتى أُبصر ما يصنع .

فأخذه ، ونزل فكسرها كلها غيرَ دَنٍّ .

فأُخذ وأُدخلَ إلى المعتضد ، فقال : من أنت ويلك ؟

قال : محتسب ، قال : ومن ولاك الحسبة ؟

قال : الذي ولاّك الإمامة يا أمير المؤمنين !

فأطرق وقال : ما حملك على فعلك ؟

قال : **شفقة مني عليك !**

قال : كيف سلم هذا الدن ؟

فذكر أنه كان يكسر الدنان ونفسه مخلصة خاشعة ، فلما وصل إلى هذا الدن أعجبته نفسه ، فارتاب فيها فتركه .

الدن : جرار يوضع فيها الخمر».

١٤٨ ـ جعلت لك الليل وحدك فتبيت عندي وأسمعك :

جاء في كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الدباغ وأبو الفضل التنوخي (٢/ ٨) في ترجمة أسد بن فرات ـ رحمه الله ـ ما نصه :

عن أسد بن الفرات قال :

«قلت لمحمد بن حسن ـ يعني الشيباني ـ إني غريب قليل النفقة ، والسماع منك نزر ، والطلبة عندك كثير ، فما حيلتي ؟

قال : اسمع مع العراقيين بالنهار ، **وقد جعلت لك الليل وحدك فتبيت عندي ، وأُسمعك** .

فكنت أبيت عنده ، وكنت في بيت سقيفة ـ وكان يسكن العلو ـ فكان ينزل إلي ويجعل بين يديه قدحاً فيه الماء ، ثم يأخذ في القراءة . فإذا طال الليل ورآني نعست ملأ يده ، ونضح به في وجهي ، فأنتبه ، فكان ذلك دأبي ودأبه حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه » .

١٤٩ ـ إن الناس ليغوونا عن ديننا .

جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٥٧) ما نصه :

« دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟

قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعية كتب له الحسنات ، ولم يكتب له السيئات .

قال الزهري : باطل يا أمير المؤمنين ، نبيٌّ خليفة أكرم على الله ، أم خليفة غير نبي ؟

قال الوليد : بل نبيٌّ خليفة .

قال الزهري : فإن الله يقول لنبيه داود : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ٢٦] .

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبي ؟

قال الوليد : إن الناس ليغوونا عن ديننا» .

١٥٠ ـ استحضرت هيبة الله ، فصار السلطان قدامي كالقط :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٨/ ٢١١ ـ ٢١٢) وطبقات المفسرين للداودي (١ / ٣١١) في ترجمة سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ما نصه :

« عن الباجي ـ تلميذ العز ـ قال :

طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان نجم الدين أيوب في يوم عيد إلى القلعة ، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ، ومجلس المملكة ، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة ، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية ، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان .

فالتفت الشيخ إلى السلطان ، وناداه :

يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك :

ألم أبوىء لك مُلك مصر ، ثم تبيح الخمور ؟

فقال : هل جرى هذا ؟

فقال : نعم ، الحانة الفلانية يُباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة .

يناديه كذلك بأعلى صوته ، والعساكر واقفون .

فقال : يا سيدي ، هذا أنا ما عملتُه ، هذا من زمان أبي .

فقال : أنت من الذين يقولون : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ . . ﴾ [الزخرف : ٢٢-٢٣] .

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة .

قال الباجي : سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان ، وقد شاع الخبر : يا سيدي كيف الحال ؟

فقال : يا بني ، رأيته في تلك العظمة ، فأردت أن أهينه لئلاّ تكبر نفسه فتؤذيه .

فقلت : يا سيدي أما خفته ؟

فقال : والله يا بني ، استحضرت هيبة الله تعالى ، **فصار السلطان قدامي كالقط** » .

١٥١ ـ لو نادى منادٍ من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت .

جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٧٩) أ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١٤٩ ـ ١٥٠) في ترجمة محمد بن شهاب الزهري ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن الشافعي قال :

دخل سليمان بن يسار على هشام ـ يعني ابن عبد الملك ـ فقال له :

يا سليمان من ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النور : ١١] ؟

فقال له : عبد الله بن أبي بن سلول . فقال له : كذبت . بل هو علي بن أبي طالب .

قال : أمير المؤمنين أعلم بما يقول .

ودخل ابن شهاب ، فقال : ابن شهاب ، من الذي تولى كبره منهم ؟

فقال : عبد الله بن أُبَيّ .

فقال له : كذبت . هو علي بن أبي طالب .

فقال له : أنا أكذب لا أبالك ! فو الله لو ناداني منادٍ من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت .

حدثني عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعبيد الله بن عبد الله ، وعلقمة بن وقاص كلهم عن عائشة : أن الذي تولى كبره منهم ، عبد الله بن أُبي .

فلم يزل القوم يُغرون به ، فقال له هشام :

ارحل ، فو الله ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك . فقال له ابن شهاب : ولِمَ ذاك ؟ أنا اغتصبتك على نفسي ، أو أنت اغتصبتني على نفسي ؟ فخلِّ عني .

فقال له : لا ، ولكنك استدنت ألفي ألف .

فقال الزهري : قد علمتَ ، وأبوك قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ، ولا على أبيك .

فقال هشام : إن نُهج الشيخ ، يهج الشيخ .

فأمر فقضى من دينه ألف ألف .

فأخبر الزهري بذلك فقال : الحمد لله الذي هذا هو من عنده » .

١٥٢ ـ ما أرضاه أن يقبل يدي :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٥/ ١٠١) وحسن المحاضرة (٢/ ١٦٢) في ترجمة العز بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ حين اعترض على الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق ، الذي عقد حلفاً مع الصليبيين ضد السلطان نجم الدين أيوب ما نصه :

« قال عبد اللطيف بن العز :

وأخرج الشيخ ـ أي من السجن ـ بعد محاورات ومراجعات ، فأقام مدة بدمشق ، ثم انترح عنها إلى بيت المقدس ، فوافاه الملك الناصر داود ـ ابن

الملك المعظم عيسى أخي الملك الصالح إسماعيل ـ في الغور ، فقطع عليه الطريق ، وأخذه ، فأقام عنده بنابلس مدة ، وجرت له معه خطوب ، ثم انتقل إلى بيت المقدس وأقام به مدة .

ثم جاء الصالح إسماعيل ، والملك المنصور صاحب حمص ، وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس ، يقصدون الديار المصرية .

فسير الصالح اسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله ، وقال له : تدفع منديلي إلى الشيخ ، وتتلطف به غاية التلطف ، وتستنزله ، وتعده بالعودة إلى مناصبه على أحسن حال ، فإن وافقك فتدخل به عليّ ، وإن خالفك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتي .

فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع في مسايسته وملاينته ، ثم قال له :

بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان ، وتقبل يده لا غير .

فقال له : يا مسكين ، ما أرضاه أن يقبل يدي، فضلاً أن أقبل يده ، يا قوم ، أنتم في واد ، وأنا في واد، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به .

فقال له : قد رسم لي إن لم تُوافق على ما يُطلب منك وإلاّ اعتقلتك .

فقال : افعلوا ما بدا لكم ، فأخذه ، واعتقله في خيمة إلى جانب خيمة السلطان » .

١٥٣ ـ إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك :

جاء في مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ص ٢١١) وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ١١٨) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٨٠٠) وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٢ ـ ١٢٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق / مخطوط (١٠/ ٤٨ ب ـ ٤٩ أ) في ترجمة الإمام وشيخ الإسلام وعالم أهل الشام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي ـ رحمه الله تعالى ـ حين امتحنه عبد الله بن علي بن العباس حين قدم الشام في حرب الأمويين والعباسيين ما نصه :

« قال الأوزاعي : لما قدم عبد الله بن علي الشام وفرغ من قتل بني أمية ، جلس يوماً على سريره ، ودعا أصحابه أربعة أصناف : معهم السيوف مسللة صنف ، ومعهم الجرزة[1] صنف ، ومعهم الأعمدة[2] صنف ، ومعهم الكافركوب[3] صنف ، ثم بعث إلي ، فلما صرت بالباب أنزلوني عن دابتي ، وأخذ اثنان بعضديّ ثم ادخلوني بين الصفوف وأنا أتخطى القتلى ـ وكان يومئذ قتل نيفاً وسبعين بالكافركوبات ـ حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي ، فسلمت عليه ، فلم يرد ، وأخذ ينكت بخيزرانه كانت في يده ، ثم أشار بيده فأجلست على كرسي .

فقال لي : أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ؟

قلت : نعم أصلح الله الأمير .

قال : يا أوزاعي ، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد ؟ أجهاداً و رباطاً هو ؟ فقلت : أصلح الله الأمير قد كان بيني وبين داود بن علي مودة .

قال : لتخبرني .

ففكرت ثم استسلمت للموت .

فقلت : أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول : سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول : سمعت علقمة بن وقاص يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها وامرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

---

(١) الجزرة: أعمدة من حديد.
(٢) الأعمدة: السيوف التي لها شطيبة في متن واحد.
(٣) الكافركوب: الخشبة الغليظة القصيرة.

فَنَكَتَ بالخيزرانة أكثر مما كان ينكت ، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم .

ثم قال : فما تقول في أموالهم ؟

قلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً ، وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل عليك إلاّ بطريق شرعي .

فَنَكَتَ أشد مما ينكت من قبل .

ثم قال : يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية ؟

فسألني مسألة رجل يريد أن يقتل رجلاً ، فحرت .

فقال : قد علمت من حيث حدث ، أجب إلى ما سألتك عنه .

قلت : قد كان لهم عليك عهد ، وإن كان ينبغي لك أن تفي لهم بالعهد الذي جعلته .

قال : ويحك اجعلني وإياهم لا عهد بيننا .

فأجهشت نفسي وكرهت القتل فذكرت مقامي بين يدي الله فلفظتها .

فقلت : دماؤهم عليك حرام .

فغضب وانتفخت ! أَوْداجُه واحمرت عيناه .

فقال : ويحك ولم ؟

فقلت : حدثني أخوك داود بن علي أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بواحدة من ثلاث : الدم بالدم ، والثيب الزاني ، والمرتد عن الإسلام »

قال : إنك لتقول هذا ؟ !

ونكت بالخيزرانة أشد من ذلك .

قلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله .

قال : ويحك أوليس الأمر لنا ديانة ؟

قلت : كيف ذاك ؟

قال : أليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلي ؟

قلت : لو أوصى إليه لما حكم الحكمين .

فسكت وقد اجتمع غضباً ، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي .

ثم قال : ألا نوليك القضاء ؟

فقلت : إن أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك ، وإني أحب أن يتم ما ابتدأوني به من الإحسان .

فقال : كأنك تحب الانصراف .

فقلت : إن ورائي حرماً وهم محتاجون إلى القيام عليهن وسترهن وقلوبهن مشغولة بسببي .

ونكس ونكست أنتظر ، فأطلت ثم قلت : البول .

فأشار بيده هكذا ـ أي اذهب ـ فقمت فجعلت لا أخطو خطوة إلا ظننت أن رأسي تقع عندها .

فخرجت فركبت وسرت غير بعيد فإذا برسوله ورائي فنزلت وقلت : قد بعث ليأخذ رأسي ، أصلي ركعتين . فكبرت فجاء وأنا قائم أصلي ، وإذا معه مائتا دينار ، فقال : يقول لك الأمير : استنفق هذه .

قال : ففرقتها قبل أن أدخل بيتي وإنما أخذتها خوفاً . ويقال إن الأمير عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده » .

١٥٤ ـ عرفت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا :

جاء في تهذيب التهذيب للإمام ابن الحجر العسقلاني (١٦٦/٧) في ترجمة عدي بن حاتم الطائي ـ رضي الله عنه ـ ما نصه :

« قال الشعبي : عن عدي بن حاتم قال :

أتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أناس من قومي ، فجعل يفرض للرجل من طيء في الفيء ، ويعرض عني فاستقبلته فقلت :

يا أمير المؤمنين ! أتعرفني ؟

قال : فضحك حتى استلقى لقفاه وقال : نعم والله إني لأعرفك . . . آمنت إذ كفروا ، وعرفت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه ، صدقة طيء جئت بها إلى رسول الله ﷺ ، ثم أخذ يعتذر » .

١٥٥ ـ قد وهبت الحائط الذي وهبتني له :

جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي (١/ ١٢٠) ما نصه :

« عن الحسن البصري قال : مررت ببعض حيطان المدينة فرأيت أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة إلى أن شاطره الرغيف .

فقلت له : ما حملك على أن شاطرته ؟ فلم تغابنه فيه بشيء .

فقال : استحت عيناي من عينيه أن أغابنه .

فقال : فقلت له : أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك .

فمر فاشترى الغلام والحائط ، وجاء إلى الغلام فقال : يا غلام ، قد اشتريتك .

فقام قائماً ، فقال : السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي .

قال : وقد اشتريت الحائط ، وأنت حر لوجه الله تعالى ، والحائط هبة مني إليك .

فقال الغلام : يا مولاي ، **قد وهبت الحائط للذي وهبتني له** » .

١٥٦ ـ عسى أن يكون الصواب معه ، وقد خفي علي :

جاء في سيرة أحمد بن طولون ، للبلوي ، تحقيق : محمد كرد علي (ص ٣٥٠) ما نصه :

« أن أحمد بن طولون أراد أن يكتب وثائق أحباسه التي حبسها على المسجد العتيق والبيمارستان ، فتولى كتابة ذلك (أبو خازم قاضي دمشق) فلما جاءت

الوثائق أحضر علماء الشروط لينظروا هل فيها شيء يفسدها ، فنظروا ، فقالوا : ليس فيها شيء .

فنظر (أبو جعفر الطحاوي) الفقيه وهو يومئذٍ شاب ، فقال : فيها غلط .

فطلبوا منه بيانه ، فأبى ، فأحضره أحمد بن طولون ، وقال له : إن كنت لم تذكر الغلط لرسلي ، فاذكره لي .

فقال : ما أفعل ، قال : لم ؟

قال : لأن أبا خازم رجل عالم ، وعسى أن يكون الصواب معه ، وقد خفي عليَّ ، فأعجب ذلك ابن طولون وأجازه ، وقال له : تخرج إلى أبي خازم وتوافقه على ما ينبغي ، فخرج إليه ، فاعترف أبو خازم بالغلط ، فلما رجع الطحاوي إلى مصر وحضر مجلس ابن طولون ، سأله فقال :

« كان الصواب مع أبي خازم ، وقد رجعت إلى قوله »

وستر ما كان بينهما ، فزاد في نفس ابن طولون ، وقربه وشرفه » .

١٥٧ ـ كرم لا حدود له :

جاء في مجالس ثعلب (٢/ ٤١٥) ما نصه :

« قال ابن شُبرمة :

زوجت ابني على ألفي درهم فلم أقدر عليها ، ففكرت فيمن أقصده ، فوقع في قلبي أبو أيوب المورياني ، فدخلت عليه فشرحتُ له خبري .

فقال : فلك ألفان ، فلما نهضت لأقوم قال : فالمهر ألفان فأين الجهاز ؟ فلك ألفان للجهاز ، فذهبت لأقوم فقال : المهر والجهاز فأين الخادم ؟ فلك ألفان للخادم ، فذهبت لأقوم ، قال : فالشيخ لا يصيب شيئاً . قال : فلك ألفان .

فلم أزل أقوم ويقعدني حتى انصرفت من عنده بخمسين ألفاً » .

١٥٨ ـ امرأتك أكرمكم :

جاء في تاريخ بغداد (٣/ ٢١) وثمرات الأحداق (١/ ٢٣١) في ترجمة محمد بن عمر بن واقد الواقدي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي عبد الله الواقدي القاضي قال : جاءتني جاريتي يوم عرفة فقالت لي : ما عندنا من آلة العيد شيء .

فمضيت إلى صديق لي من التجار فعرفته حاجتي إلى القرض ، فأخرج إلي كيساً مختوماً فيه ألف ومائتا درهم ، فانصرفت به إلى المنزل ، فما استقررت جالساً حتى استأذن علي رجل من بني هاشم ، فذكر تخلف غلته واختلال حاله وحاجته إلى القرض ، فدخلت على امرأتي فعجّبتها من ذلك .

فقالت : فما عَزمُك ؟

قلت : أشاطره الكيس .

فقالت : والله ما أنصفت ، لقيت رجل سوقة فأعطاك شيئاً وجاءك رجل له من رسول الله ﷺ رحمٌ فتعطيه نصف ما أعطاك السوقة .

فأخرجت الكيس بخاتمه فدفعته إليه ، ومضى صديقي التاجر يلتمس منه القرض فأخرج إليه الكيس بخاتمه ، فلما رآه عرفه فجاءني به ، ثم وافاني رسول يحيى بن خالد يقول : إن الوزير شغل عنك بحاجات أمير المؤمنين وهو يطلبك ، فركبت إليه وحدثته حديث الكيس وانتقاله .

فقال : يا غلام ! هات تلك الدنانير ، فجاء بعشرة آلاف دينار ، فقال : خذ أنت ألفين ، وأعط الهاشمي ألفين ، وصديقك التاجر ألفين ، وامرأتك أربعة آلاف دينار ، فإنها أكرمكم ».

١٥٩ ـ ما كنت بالذي آخذ ديناً في ذمتي من غير حاجة :

جاء في ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٣/ ١٤٢) في ترجمة سعيد بن عباد ـ رحمه الله ـ أحد أصحاب سحنون الفقيه المشهور ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« ذكر أبو العرب أن سحنون خلا بسعيد بن عباد يوماً ، فقال له : ألستُ بإمامك ؟ قال : نعم . قال : وتقبل قولي ؟ فقال : نعم ، لو لم أقبله لم أختلف إليك ، فقال له : هذا قولي ، ويميني ، فحلف بالله وأراه صرة في يده ، ذكر أن فيها ثلاثين ديناراً ، وقال له :

ماهي من سلطان ولا من تجارة ولا وصية ، وما هي إلا من ثمرة شجرة غرستها بيدي ، فخذها تتقوى بها على أمر دينك ودنياك .

فقال : أنا عنها غني ، وكان مفرط الحاجة إلى ما دونها .

فقال سحنون : خذها سلفاً ، فتتزوج منها وتنفق ، فإن رزقك الله ردها أقبلها منك ، فإن تعذر ردها فأنت منها في حل .

فقال : ما كنت بالذي آخذ ديناً في ذمتي من غير حاجة .

فقال سحنون : فإذا أبيت فلا تذكره لأحد ما دمت حياً ».

١٦٠ ـ حلاوة العلم والمذاكرة خير من حلاوة الوزارة :

جاء في تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي (٣/ ٩١٥) في ترجمة الحافظ الكبير والإمام الثبت أبو القاسم سليمان بن أيوب الطبراني الشامي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن ابن العميد قال :

ما كنت أظن في الدنيا حلاوة كحلاوة الوزارة ، أو الرياسة التي أنا فيها حتى شاهدت مذاكرة الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي .

وكان الطبراني يغلبه بكثرة حفظه ، وكان أبو بكر يغلبه بفطنته حتى ارتفعت أصواتهما إلى أن قال الجعابي : عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي .

فقال : هات . قال : حدثنا أبو خليفة أنا سليمان بن أيوب ، وحدث بحديث .

فقال الطبراني : أنا سليمان بن أيوب ، ومني سمعه أبو خليفة فاسمعه

مني عالياً ، فخجل الجعابي ، فوددت أن الوزارة لم تكن وكنت أنا الطبراني وفرحت كفرحه ».

١٦١ ـ يمشي إلى الخلف كي لا يركع لملك الروم :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) وترتيب المدارك (٤/ ٥٩٦) والبداية والنهاية (١١/ ٣٥٠) في ترجمة القاضي العالم البارع محمد بن الطيب بن محمد ، أبو بكر الباقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن أبي القاسم علي بن الحسن بن علي أبي عثمان الدقاق وغيره :

إن الملك الملقب بعضد الدولة كان قد بعث القاضي أبا بكر بن الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم ، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره ، وبُيِّن له محله من العلم وموضعه . فأفكر الملك في أمره وعلم أنه لا يُكَفِّر له إذا دخل عليه ، كما جرى رسم الرعية أن تُقبل الأرض بين يدي الملوك ، ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحداً أن يدخل منه إلا راكعاً ليدخل القاضي منه على تلك الحال فيكون عوضاً عن تكفيره بين يديه .

فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال القاضي من الباب ، فسار حتى وصل إلى المكان ، فلما رآه تفكر فيه ثم فطن بالقصة فأدار ظهره ، وحنا رأسه راكعاً ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه ، **قد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه ، ثم رفع رأسه ونصب ظهره ، وأدار وجهه حينئذٍ إلى الملك !**

فعجب من فطنته ، ووقعت له الهيبة في نفسه ».

١٦٢ ـ رجل من المسلمين أحب إلي من الروم وما حوت :

جاء في كتاب فض الخواتم فيما قيل في الولائم ، لابن طولون (ص ٧٣) ما نصه :

« كان معاوية بن الحارث عاملاً لعمر بن عبد العزيز على « غزاة » فبعث إليه رسولاً .

فقال له عمر : هل سلم المسلمون ؟

قال : نعم ! .

قال : كلهم ؟

قال : نعم ، إلا رجلاً واحداً عدلت به دابته فساح في الثلج .

قال : فصنع ماذا ؟ قال : فهلك .

فقال عمر بن عبد العزيز : لقد أطلقتها غير مكترث . عليَّ بفلان ، كاتبه .

وكتب إلى عامله ـ معاوية : إياك وغادات الشتاء ، **فو الله لَرَجلٌ من المسلمين أحب إلي من الروم وما حوت** » .

١٦٣ ـ فو الله لا يسلمني الله ما أخذت بحقوقه :

جاء في تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٥٥) ما نصه :

« عن المطلب بن السائب قال :

كنت جالساً مع سعيد بن المسيب فمرّ بريدٌ لبني مروان . فقال له سعيد : من رسل بني مروان أنت ؟

قال : نعم .

قال : كيف تركت بني مروان ؟ قال : بخير .

قال : تركتهم يجيعون الناس ، ويشبعون الكلاب ؟

فاشرأب الرسول ، فقمت إليه ، فلم أزل أجزيه حتى انطلق .

فقلت لسعيد : يغفر الله لك تشيط بدمك ؟

فقال : اسكت يا أحيمق ، **فو الله لا يسلمني الله ما أخذت بحقوقه** » .

١٦٤ ـ كبير فقير مفتون ، أصابتني دعوة سعد :

أخرج البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب القراءة للإمام حديث رقم (٧٥٥) ما نصه :

« من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال :

شكا أهل الكوفة سعداً ـ يعني ابن أبي وقاص ـ إلى عمر رضي الله عنه ، حتى قالوا :

إنه لا يحسن يصلي .

فقال سعد : أما أنا ، فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ، لا أخرم عنها ، أركد في الأولين ، وأحذف الأخريين .

قال عمر : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق .

ثم بعث رجالاً يسألون عنه في مجالس الكوفة ، فكانوا لا يأتون مجلساً إلاّ أثنوا خيراً ، وقالوا معروفاً ، حتى أتوا مسجداً من مساجدهم ، فقام رجل يقال له أبو سعدة فقال :

اللهم إذا سألتمونا ، فإنه كان لا يعدل في القضية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يسير بالسرية .

فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً ، فأعم بصره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن .

قال عبد الملك ـ يعني ابن عمير الراوي عن جابر :

فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك ، فإذا قيل له : كيف أنت يا أبا سعدة ؟

قال : **كبير فقير مفتون ، أصابتني دعوة سعد** » .

١٦٥ ـ اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك ، فأرحنا منه كيف شئت :

جاء في تهذيب الكمال (٥/ ٣٩١ ـ ٣٩٢) وكتاب مجابي الدعوة لأبي بكر محمد بن أبي الدنيا (ص ٨٩) في ترجمة حبيب بن محمد العجمي الإمام القدوة الرباني ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن عبد الواحد بن زيد ، قال :

كنا عند مالك بن دينار ، ومعنا محمد بن واسع ، وحبيب أبو محمد ، فجاء رجل ، فكلم مالكاً وأغلظ له في قسمة قسمها .

وقال : وضعتها في غير حقها ، وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك ، لتكثر غاشيتك ، وتصرف وجوه الناس إليك .

قال : فبكى مالك ، وقال : والله ما أردت هذا .

قال : بلى ، والله ، لقد أردته .

فجعل مالك يبكي ، والرجل يغلظ له ، فلما كثر ذلك عليهم ، رفع حبيب يديه إلى السماء ، ثم قال :

اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك ، فأرحنا منه كيف شئت .

قال : فسقط ـ والله ـ الرجل على وجهه ميتاً ، فحُمل إلى أهله على سرير ، وكان يقال : إن أبا محمد مُستجاب الدعوة » .

١٦٦ ـ جعل يبكي ويستعيدني الحكاية :

جاء في تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣١) في ترجمة الحافظ الإمام ابن أبي حاتم ـ رحمهما الله ـ ما نصه :

قال محمد بن مهروية : سمعت ابن الجنيد ، سمعت يحيى بن معين يقول :

«إنا لنطعن على أقوام لعلهم حطوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة .

قال محمد : فدخلت على ابن أبي حاتم وهو يحدث بكتاب الجرح والتعديل

فحدثته بهذا ، فبكى وارتعدت يداه ، وسقط الكتاب ، **وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية** » .

١٦٧ ـ المؤمن لا يشفي غيظه ، أوقع شهادته يا ابن دينار :

جاء في تاريخ بغداد (٩/ ٦٦) في ترجمة سعيد بن سليمان المديني المساحقي القاضي الإمام ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال نوفل بن ميمون :

جاء سعيد بن سليمان إلى عبد الله بن محمد بن عمران شاهداً ، فرد ابن عمران شهادته .

فلما ولي سعيد القضاء جاء عبد الله بن محمد بن عمران شاهداً فأخذ شهادته فنظر فيها ساعة ثم رفع رأسه ، فقال :

المؤمن لا يشفي غيظه ، أوقع شهادته يا ابن دينار ، **فأوقعها** » .

١٦٨ ـ لنخلص الدعاء للمحق منا :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٤٧٢) في ترجمة الإمام محمد بن عبد الله بن صالح أبو بكر الأبهري الفقيه ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أبو بكر الأبهري :

اجتمعنا في جماعة من العلم والصلاح ، وقد تناظر رجل من أهل السنة مع رجل معتزلي ، فطال بينهما الكلام ، فجاء المساء ، فلم يظهر أحدهما على صاحبه ، فقال السني : هذا مجلس انقضى على غير فلاح ، وقد حضرنا قوم صالحون **فلنخلص الدعاء للمحق منا** ، بأن يثبت الله تعالى القرآن في صدره ، وينسيه المبطل .

فدعونا . قال الأبهري : فأقرّ لي المعتزلي بعد ذلك أنه نسي القرآن ، حتى كأنه ما رآه قط » .

١٦٩ ـ لو لم تكن هكذا لم آتك :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦) في ترجمة أحد أئمة المسلمين ومن كبار أولياء الله تعالى أبو إسحاق الجبنياني ـ رحمه الله تعالى ـ وأحد أعلام مذهب مالك ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« لما ورد أبو حامد الخراساني إفريقية ، وصل إلى الجبنيانة ، فسلم عليه ، وقال له :

جئتك من خراسان زائراً .

فقال الشيخ : إن صدقت فأنت أحمق ، وإن قبلت أنا هذا منك ، فأنا أحمق منك ، كيف تترك العراق ومن بها من العلماء ، ثم حرم الله ، وحرم رسول الله ﷺ ، والشام ، ومصر ، وتأتي إلى المغرب ، إلى شيخ بجبنيانة تقول هذا ؟

فبكى أبو حامد ، وقال له :

لو لم تكن هكذا لم آتك » .

١٧٠ ـ إن المحامد طَوَوا كشحهم جياعاً :

جاء في تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥) وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٥١) ومعجم الأدباء (١٨/ ٤٦) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠) في ترجمة الإمام عالم العصر شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ، ومقدم الفقهاء المحدثين محمد بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي العباس البكري قال :

جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبري ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الرُّوياني ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، بمصر ، وهم المحدثون وعلماء الحديث فيها ، فأرملوا ولم يبق ما يقوتهم ، وأضر بهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن

يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام .

فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة . فاندفع في الصلاة ، فإذا هم بالشموع وخِصي من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا الباب ، فنزل عن دابته ، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟

فقيل : هو هذا ، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ، ثم قال :

أيكم محمد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه .

ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه .

ثم قال : أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقالوا : هو ذا يصلي ، فلما فرغ دفع إليه الصرة ، وفيها خمسون ديناراً .

ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس ـ أي نائماً في الظهيرة ـ فرأى في المنام خيالاً ، قال :

إن المحامد طَوَوا كشحهم جياعاً ، فأنفِذ إليهم هذه الصرار ، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليَّ أحدكم » .

١٧١ ـ هو أعرف الناس إذا أراد ذلك :

جاء في معجم الأدباء (١٨/ ٨٧ ـ ٨٨) في ترجمة الإمام عالم العصر شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« أهدى أبو علي محمد بن عبيد الله الوزير إلى أبي جعفر برمَّانٍ فقبله ، وفرقه في جيرانه ، فلما كان بعد أيام وجه إليه بوعاءٍ فيه بَدرةٌ فيها عشرة آلاف درهم ، وكتب معها رقعة ، وسأله أن يقبلها ، وقال الوزير لمن حملها :

إن قبلها وإلا فاسألوه أن يفرقها في أصحابه ممن يستحق .

فلما دخل عليه وأوصل إليه الرسالة ، قال :

يغفر الله لنا وله ، اقرأ عليه السلام ، وقل له : أرددنا إلى الرمان ، وامتنع من قبول الدراهم ، فقال له الرسول :

فَرِّقها في أصحابك على من يحتاج إليها ولا تردها .

فقال : هو أعرف الناس إذا أراد ذلك .

وأجاب عن الرسالة ، وبعد مدة جاءه مال ضيعته ، فجعله بضاعة ، وأرسله إلى الوزير ، وفيها ما قيمته أربعون ديناراً » .

١٧٢ ـ قل لا أحسن ، تاب الله علينا وعليك :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٥٤٦) في ترجمة الإمام القاضي محمد بن إسحاق بن السليم أبو بكر ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« حضر يوماً مسجداً بأطراف قرطبة ، لانتظار جنازة فحان وقت العصر ، فلم يؤذن لها ، فقال لرجل من العامة : يا هذا اخرج فأذن ، فإذا به جاهل ، فتغير لقوله . وقال : ألم تر في المجلس أنحس مني ؟

فتبسم القاضي واستغفر الله ، وخرج ، وأذّن ، فرجع وصلّى بالناس .

ثم قال للرجل : قد وجدتُ أنحس منك ، فلا تعد إلى مثل قولك ، ولكن قل لا أُحسن ، تاب الله علينا وعليك » .

١٧٣ ـ كنت أتفكر في سؤر السباع ولعابها :

جاء في تاريخ بغداد (٧/ ١٠١ ـ ١٠٢) وحلية الأولياء (١٠/ ٣٢٤) والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٦٩) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٩) في ترجمة الإمام المحدث الزاهد شيخ الإسلام ، أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان الواسطي المعروف بالحمال ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي علي الروذباري قال :

كان سبب دخولي مصر حكاية بنان ، وذاك أنه أمر ابن طولون بالمعروف ، فأمر أن يلقى بين يدي السبع .

فقيل له : ما الذي كان في قلبك حيث شمَّك السبع ؟

قال : كنت أتفكر في سؤر السباع ولعابها . واحتال عليه أبو عبد الله القاضي حتى ضرب سبع درر ، فقال له : حبسك الله بكل درة سنة ، فحبسه ابن طولون سبع سنين » .

١٧٤ ـ ما أراد إلا الخير :

جاء في تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٢) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٦) في ترجمة الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاث مئة ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أبو الفتح يوسف القواس : سمعت أبا بكر النيسابوري يقول :

تعرف من أقام أربعين سنة لم ينم الليل ، ويتقوت كل يوم بخمس حبات ، ويصلي صلاة الغداة على طهارة عشاء الآخرة ؟

ثم قال : أنا هو ، وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، إيش أقول لمن زوَّجني ؟

ثم قال : ما أراد إلا الخير » .

١٧٥ ـ ما أخذ منا صلة ، ولا نقدر على عزله :

جـاء في معـالم الإيمـان (٣/ ٥٦ ـ ٥٧) وسير أعـلام النبـلاء (١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨) في ترجمة المنصور أبو الطاهر إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي الباطني ، صاحب المغرب ما نصه :

« ومن محاسنه أنه ولَّى محمد بن أبي المنظور الأنصاري قضاء القيروان ، وكان من كبار أصحاب الحديث ، قد لقي إسماعيل القاضي ، والحارث بن أبي أسامة ، فقال : بشرط أن لا آخذ رزقاً ، ولا أركب دابة ـ ولا يقبل شهادة

من طاف بهم أو قاربهم ، ولا يركب إليهم مهنياً ولا معزياً[1] ـ فولاه ليتألف الرعية .

فأحضر إليه يهودي قد سب ـ يعني النبي ﷺ ـ فبطحه وضربه إلى أن مات تحت الضرب .

وأتى يوماً إلى بيته فوجد سُلاف داية السلطان ، تشفع في امرأة نائحة فاسقة ليطلقها من حبسه ، فقال : مالكِ ؟

قالت : قضيب[2] ـ محبوبة المنصور تطلب منك أن تُطلِقَها .

فقال : يا منتنة ، لولا شيء لضربتك ، لعنك الله ، ولعن من أرسلكِ .

فولولت ، وشقت ثيابها ، ثم ذكرت أمرها للمنصور .

فقال : ما أصنع به ؟ ما أخذ منا صلة ، ولا نقدر على عزله ، نحن نحب إصلاح البلد » .

١٧٦ ـ ليتني تمنيت المغفرة :

جاء في تاريخ بغداد (١٢/ ١٤ ـ ١٥) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠٠) في ترجمة الإمام ، المحدث الصادق ، الوزير العادل ، أبو الحسن ، علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، البغدادي الكاتب ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال المحدث أبو سهل القطان :

كنت معه لما نفي بمكة [فدخلنا في حر شديد وقد كدنا نتلف] ، فطاف يوماً ، وجاء فرمى بنفسه ، وقال :

أشتهي على الله شربة ماء مثلوج .

قال : فنشأت بعد ساعة سحابة ، ورعدت ، وجاء بَرَدٌ كثير جمع منه الغلمان جراراً ، وكان الوزير صائماً ، فلما كان الإفطار جئته بأقداحٍ من

---

(١) الزيادة من معالم الإيمان: (٣/ ٥٥).
(٢) جارية للسلطان.

أصناف الأسوقة ، فأقبل يسقي المجاورين ، ثم شرب وحمد الله ، وقال : ليتني تمنيت المغفرة » .

١٧٧ ـ هي في ذمتك :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٤٤) وتاريخ بغداد (٥/ ١٥) في ترجمة الحافظ العلامة ، أحد أعلام الحديث ، ونادرة الزمان أحمد بن محمد بن سعيد أبو العباس الكوفي ، المعروف بالحافظ ابن عقدة ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن أبي علي النقار ، قال :

سقطت من ابن عقدة دنانير ، فجاء بنخال ليطلبها ، قال ابن عقدة : فوجدتها ثم فكرت فقلت :

ليس في الدنيا غير دنانيرك ؟

فقلت للنخال : هي في ذمتك ، وذهبتُ وتركته » .

١٧٨ ـ اللهم إنك تعلم أني انقطعت إليك ، فلا تمكنهم مني :

جاء في معالم الإيمان (٣/ ٥٣) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٦) في ترجمة فقيه المغرب ، أبو ميسرة ، أحمد بن نزار ، القيرواني المالكي ، من العلماء العالمين المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« وقع في ذهن المنصور ـ يعني العبيدي ـ أن أبا ميسرة لا يرى الخروج عليه ، فأراده ليوليه القضاء ، فقال :

كيف يلي القضاء رجل أعمى ، يبولُ تحته .

فما علم أحد بضرره إلاّ يومئذٍ .

فقال : **اللهم إنك تعلم أني انقطعت إليك وأنا شاب ، فلا تمكنهم مني** .

فما جاءت العصر إلا وهو من أهل الآخرة » .

١٧٨أ ـ لأن يرزقه الله الشهادة في عز من الإسلام وذل من الشرك خير له :

جاء في تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٥٨ ـ ٨٥٩) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٣ ـ ٤١٤) في ترجمة الإمام الثقة معمر ، محدث الشام ، أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي المتوفى سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال ابن أبي كامل : سمعت خيثمة بن سليمان يقول :

ركبتُ البحر ، وقصدتُ جبلة لأسمع من يوسف بن بحر ، ثم خرجت إلى أنطاكية ، فلقيَنا مركبٌ ـ يعني للعدو ـ قال :

فقاتلناهم ، ثم سلَّم مركبنا قوم من مقدمه ، قال : فأخذ ، ثم ضربوني ، وكتبوا أسماءنا ، فقالوا : ما اسمك ؟ قلت : خيثمة ، فقالوا : اكتب حمار بن حمار . ولما ضُربت سَكِرتُ[1] ونمت .

فرأيت وكأني أنظر إلى الجنة وعلى بابها جماعةٌ من الحور العين . فقالت إحداهن : يا شقي ، إيش فاتك ؟

فقالت أخرى : إيش فاته ؟

قالت : لو قتل لكان في الجنة مع الحور .

قالت لها : **لأن يرزقه الله الشهادة في عزٍ من الإسلام وذلٍ من الشرك خير له .**

ثم انتبهت ، قال : ورأيت كأن من يقول لي : اقرأ براءة ! فقرأت إلى ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [التوبة : ٢] .

قال : فعددت من ليلة الرؤيا أربعة أشهر ففك الله أسري » .

---

(١) أي أصابه الذهول من شدة الضرب الذي نزل به .

١٧٩ ـ يا أبا الحسن قد اشتقنا إليك ، فما اشتقت إلينا :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥١٥) في ترجمة الإمام العلامة ، مفتي دمشق ، وبقية الفقهاء الأوزاعية ، القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيوب بن داود بن عبد الله بن حذلم الأسدي الدمشقي الأوزاعي المتوفى سنة سبع وأربعين وثلاث مئة ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن تمام ، قال :

كان القاضي أبو الحسن بن حذلم له مجلس في الجمعة ، يملي فيه في داره ، فحضرنا ، فقال :

رأيت النبي ﷺ في النوم ، وعن يمينه أبو بكر وعمر ، وعن يساره عثمان وعلي في داري ، فجئت ، فجلست بين يديه ، فقال لي :

يا أبا الحسن قد اشتقنا إليك ، فما اشتقت إلينا .

قال تمام : فلم يمض جمعة حتى توفي في شوال سنة سبع وأربعين وثلاث مئة » .

١٨٠ ـ كنت إذا جعت ، قرأت (يس) على نية الشبع :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٢١) وتذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٢) في ترجمة الإمام الحافظ ، الرباني العابد ، شيخ الصوفية ، أبو بكر ، محمد بن داود بن سليمان النيسابوري الزاهد ، المتوفى سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن عبد الرحمن بن أبي إسحاق المزكي ، سمعتُ أبا بكر بن داود الزاهد ، يقول :

كنت بالبصرة أيام القحط ، فلم آكل في أربعين يوماً إلا رغيفاً واحداً ، **كنت إذا جُعتُ ، قرأت (يس) على نية الشبع** ، فكفاني الله الجوع » .

المظالم إلا ردّها مظلمة مظلمة ، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك ، فكتب إليه :

إنك أزريت على من كان قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسرت بغير سيرتهم، بغضاً لهم ، وشنآناً لمن بعدهم من أولادهم ، قطعتَ ما أمر الله به أن يوصل ، إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً .

يا ابن عبد العزيز ، اتق الله وراقبه إن شططت !! لم تطمئن على منبرك حتى خصصت أول قرابتك بالظلم والجور ، فو الذي خص محمداً ﷺ بما خصه به ، لقد ازددت عن الله بعداً في ولايتك هذه إذ زعمت أنها عليك بلاء ! فاقصر بعض ميلك ، واعلم بأنك بعين جبار وفي قبضته ، ولن تترك على هذا !! .

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه ، كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى عمر بن الوليد ، السلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، أما بعد :

فإنه بلغني كتابك ، وسأجيبك بنحو منه : أما أول شأنك يا ابن الوليد ـ كما زعم ـ فأمك بنانة أمةُ السكون ، كانت تطوف في سوق حمص ، وتدخل في حوانيتها ، ثم الله أعلم بها ، اشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين ، فأهداها لأبيك ، فحملت بك ، فبئس المحمول وبئس المولود ! ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً ، تزعم أني من الظالمين ، لم حرمتك وأهل بيتك فيءَ الله ـ عز وجل ـ الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل !

وإن أظلم مني وأترك لعهد الله، مَن استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم بينهم برأيك، ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لوالده! فويل لك، وويل لأبيك ما أكثرَ خصماء كما يوم القيامة!! وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟!

وإن أَظلمَ مني وأَترَكَ لعهد الله ، من استعمل الحجاج بن يوسف على

١٨١ ـ لم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم :

جاء في تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأندلسي (ص ٧٠ ـ ٧١) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٦) في ترجمة الفقيه المحقق ، الخطيب البارع ، قاضي الجماعة بقرطبة منذر بن سعيد البلوطي ، أبو الحكم الأندلسي المتوفى سنة خمسٍ وخمسين وثلاث مئة ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال الحسن بن محمد :

قحط الناسُ في بعض السنين آخر مدّة الناصر ، فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس ، فصام أياماً وتأهب ، واجتمع الخلق في مصلّى الرّبض ، وصعد الناصر في أعلى قصره ليشاهد الجمع ، فأبطأ منذر ، ثم خرج راجلاً متخشعاً ، وقام ليخطب ، فلما رأى الحال بكى ونشج وافتتح خُطبَتَهُ بأن قال :

سلام عليكم ، ثم سكت شبه الحسير ، ولم يكن من عادته ، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه ، ثم اندفع ، فقال :

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] استغفروا ربكم وتوبوا إليه ، وتقربوا بالأعمال الصالحة لديه ، فَضَجَّ الناس بالبكاء ، وجأروا بالدعاء والتضرع ، وخطب فأبلغ ، **فلم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم** » .

١٨٢ ـ إن لكل فيك حقاً :

جاء في مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ١٣٣ ـ ١٣٦) وحلية الأولياء (٥/ ٢٧٠) في ترجمة الخليفة الراشد ، والإمام العادل ، عمر بن عبد العزيز المرواني ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

«عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال :

لما ولي عمر بن العزيز ، جعل لا يدع شيئاً مما كان في يده ويد أهل بيته من

خمس العرب ، يسفك الدم الحرام ، ويأخذ المال الحرام !

وإن أظلم مني وأترك لعهد الله ، من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر ، أذن له في المعازف واللهو والشرب !

وإن أظلم مني وأترك لعهد الله ، من جعل لعالية البربرية سهماً في خمس العرب !

فرويداً يا ابن بنانة ، فلو التقت حلقتا البطان ، ورد الفيء إلى أهله ، لتفرغتُ لك ولأهل بيتك ، فوضعتهم على المحجة البيضاء ، فطالما تركتم الحق وأخذتم في بينان الطريق . وما وراء هذا من الفضل ، ما أرجو أن أكون رأيته ، بيع رقبتك ، وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل ، **فإن لكل فيك حقاً** ، والسلام علينا ، ولا ينال سلام الله الظالمين » .

١٨٣ ـ هابه وعظمه، ولم يأخذ النفقة :

جاء في طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٢) وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٩) في ترجمة الشيخ الجليل الأمين ، أبو طالب ، محمد بن علي بن الفتح الحربي ، العُشاريُّ ، المتوفى سنة ٤٥١ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال ابن الطيوري :

لما أتى عسكر طُغرلبك لقي بعضهم ابن العشاري . فقال : يا شيخ ! إيش معك ؟

قال : ما معي شيء .

ثم ذكر أن في جيبه نفقةً ، فناداه ، وأخرج ما معه ، وقال : هذا معي .

فهابه الرجل ، وعظمه ، ولم يأخذ النفقة » .

١٨٤ ـ اللهُ بيننا بالمرصاد

جاء في معجم الأدباء (١٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٧٤) في ترجمة الإمام العلامة ، المفسر الأوحد ، أبو الحسن ، علي بن أبي الطيب ،

عبد الله بن أحمد النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« حُمل إلى السلطان محمود بن سُبُكتِكين ليسمع وعظه ، فلما دخل جلس بلا إذن ، وأخذ في رواية حديث بلا أمر ، فتنمر له السلطان ، وأمر غلاماً ، فلكمه لكمةً أطرشته ، فعرفه بعض الحاضرين منزلته في الدين والعلم ، فاعتذر إليه ، وأمر له بمال ، فامتنع .

فقال : يا شيخ : إن للمُلكِ صولةً ، وهو محتاج إلى السياسة ، ورأيتُ أنك تعديت الواجب ، فاجعلني في حل .

قال : الله بيننا بالمرصاد ، وإنما أحضرتني للوعظ ، وسماع أحاديث الرسول ﷺ ، وللخشوع لا لإقامة قوانين الرئاسة .

فخجل الملك واعتنقه » .

١٨٥ ـ بقي أربعين سنة لا يأكل لحماً :

جاء في طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٥٢٥) وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٤٤) في ترجمة الإمام العلامة ، الورع ، القدوة ، جمال الإسلام ، مسند الوقت ، أبو الحسن ، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ الداوودي ، البوشنجي ، المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن أسعد بن زياد قال :

كان شيخنا الداوودي بقي أربعين سنة لا يأكل لحماً ، وقت تشويش التركمان ، واختلاط النهب ، فأضر به ، فكان يأكل السمك ، ويُصطاد له من نهر كبير ، فحُكي له أن أحد الأمراء أكل على حافة ذلك النهر ونفضت سفرته وما فضل في النهر ، فما أكل السمك بعد » .

١٨٦ ـ شهادة في تزوير اليهود للتاريخ :

جاء في تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤١) ومعجم الأدباء (٤/ ١٨) والوافي بالوفيات (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣) والمنتظم (٨/ ٢٦٥) وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨٠) في ترجمة الإمام الأوحد ، العلامة المفتي ، الحافظ الناقد ، محدث الوقت ، أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي ، المعروف بالخطيب ، صاحب التصانيف ، وخاتمة الحفاظ ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قد كان رئيس الرؤساء تقدم إلى الخطباء والوعاظ أن لا يرووا حديثاً حتى يعرضوه عليه ـ يعني على الخطيب ـ فما صححه أوردوه ، وما رده لم يذكروه .

وأظهر بعض اليهود كتاباً ادعىٰ أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة ، وذكروا أن خط علي ـ رضي الله عنه ـ فيه .

وحُمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء ، فعرضه على الخطيب ، فتأمله ، وقال : هذا مُزوَّر .

قيل : من أين قلت ؟

قال : فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح ، وفُتحت خيبر سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين ، فاستحسن ذلك منه » .

١٨٧ ـ ما أعظم حرصكم يا أهل الحديث :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٦٧) في ترجمة الإمام الحافظ ، الجوال الرحال ، ذو التصانيف محمد بن طاهر بن أبي الحسين بن القيسراني ، أبو الفضل المقدسي الأثري ، الظاهري ، الصوفي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال ابن طاهر :

كنت يوماً أقرأ على أبي إسحاق الحبّال جزءاً ، فجاءني رجل من أهل بلدي ، وأسر إلي كلاماً قال فيه :

إن أخاك قد وصل من الشام ـ وذلك بعد دخول الترك بيت المقدس ، وقتل الناس بها ، فأخذت في القراءة ، فاختلطت علي السطور ، ولم يمكني أن أقرأ .

فقال أبو إسحاق : ما لك ؟

قلت : خير ، قال : لابد أن تخبرني ، فأخبرته .

فقال : وكم لك لم تر أخاك ؟ قلت : سنين .

قال: ولم لا تذهب إليه؟

قلت : حتى أتم الجزء .

قال : ما أعظم حرصكم يا أهل الحديث ، قد تم المجلس ، وصلى الله على محمد ، وانصرف ».

١٨٨ ـ اللهم ارزق بنتي مثل الذي رد العقد علي :

جاء في مرآة الزمان (٨/ ٥٢ ، ٣٥) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) في ترجمة الإمام العلامة البحر ، شيخ الحنابلة ، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري ، الحنبلي المتكلم ، صاحب التصانيف ، ما نصه :

« قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي :

حكى ابن عقيل عن نفسه قال :

حججت ، فالتقطتُ عقد لؤلؤ في خيط أحمر ، فإذا شيخ أعمى ينشده ، ويبذل لملتقطه مئة دينار ، فرددته عليه ، فقال : خذ الدنانير ، فامتنعت .

وخرجت إلى الشام ، وزرت القدس ، وقصدت بغداد ، فأويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع ، فقدموني فصليت بهم ، فأطعموني .

وكان أول رمضان ، فقالوا : إمامنا تُوفِّيَ فصلِّ بنا هذا الشهر ، ففعلتُ ، فقالوا : لإمامنا بنت ، فزُوِّجتُ بها ، فأقمت معها سنة ، وأولدته ـ ولداً ذكراً ـ ، فمرضت في نفاسها ، فتأملتها يوماً فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر ، فقلت لها : لهذا قصة وحكيتُ لها ، فبكت .

وقالت : أنت هو والله ، لقد كان أبي يبكي ، ويقول :

اللهم ارزق بنتي مثل الذي رد العقد علي ، وقد استجاب الله منه ، ثم ماتت ، فأخذت العقد والميراث ، وعُدت إلى بغداد » .

١٨٩ ـ طاعة الله أحق ما اتبعت :

جاء في كتاب عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين للأستاذ عبد الستار الشيخ (ص ٣٤٣) ما نصه :

« عن ابن عبد الحكم قال :

دخل رجلان من الخوارج على عمر بن عبد العزيز ، فقالا : السلام عليك يا إنسان . قال : والسلام عليكما يا إنسانان .

قالا : **طاعة الله أحق ما اتبعت** .

قال : من جهل ذلك ضل .

قالا : الأموال لا تكون دُولة بين الأغنياء .

قال : قد حُرموها .

قالا : مال الله يُقسم على أهله .

قال : الله بين في كتابه تفصيل ذلك .

قالا : تقام الصلاة في وقتها .

قال : هو من حقها .

قالا : إقامة الصفوف في الصلوات .

قال : هو من تمام السنة .

قالا : إنا بُعثنا إليك .

قال : بلغا ولا تهابا .

قالا : ضع الحق بين الناس .

قال : الله أمر به قبلكما .

قالا : لا حكم إلا لله .

قال : كلمة حق إن لم تبتغوا بها باطلاً .

قالا : ائتمن الأمناء .

قال : هم الموالي .

قالا : احذر الخيانة .

قال : السارق محدود .

قالا : فالخمر ولحم الخنزير ؟

قال : أهل الشرك أحق به .

قالا : فمن دخل الإسلام فقد أمن .

قال : لولا الإسلام ما أمِنّا .

قالا : أهل عهود رسول الله ﷺ ؟

قال : لهم عهودهم .

قالا : لا تكلفهم فوق طاقتهم .

قال : لا يكلف الله نفساً إلاّ وُسعها .

قالا : خرِّب الكنائس .

قال : هي من صلاح رعيتي .

قالا : ذكِّرنا بالقرآن .

قال : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

« عن عبد الملك بن قريب الأصمعي قال :

كنت عند الرشيد يوماً فرُفع إليه في قاضٍ كان استقضاه هو ، يقال له عافية ، فكثر عليه فأمر بإحضاره فأُحضر ، وكان في مجلسه جمعٌ كثير ، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه ويوقفُه على ما رُفع فيه ، وطال المجلس ، ثم إن أمير المؤمنين عطس فشمَّتَهُ مَنْ كان بالحضرة مَنْ قَرُبَ منه سواه فإنه لم يشمته .

فقال له الرشيد : ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم ؟

فقال له عافية : لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله عز وجل فلذلك لم أشمتك ـ هذا النبي ﷺ عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر .

فقال : يا رسول ما بالك شمَّتَّ ذاك ولم تشمتني ؟

فقال : إن هذا حمد الله تعالى فشمتناه ، وأنت لم تحمده فلم أشمتك ؟

فقال له الرشيد : ارجع إلى عملك ، أنت لم تسامح في عطسة ، تسامح في غيرها ؟

وصرفه منصرفاً جميلاً » .

١٩٢ ـ لأي علة خَلَقَ الله تعالى الذباب :

جاء في مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧) ما نصه :

« عن معمر بن شبيب بن شيبة قال :

سمعت المأمون يقول لمحمد بن إدريس : يا محمد لأيِّ علةٍ خَلَقَ الله تعالى الذباب ؟

فسكت ، ثم قال : مذلةً للملوك .

فضحك المأمون ثم قال له : يا محمد رأيتَ الذبابة وقد سقطت على خدِّي ؟

قال : نعم ، ولقد سألت عنها وما عندي فيها جواب . فأخذني من ذلك

قالا : تردنا إلى من أرسلنا .

قال : ما أحبسكما .

قالا : فما نقول لإخواننا ؟

قال : ما رأيتما وسمعتما .

قالا : تردنا على دواب البريد .

قال : لا ، هو مال الله لا نطيبه لكما .

قالا : فليس معنا نفقة .

قال : أنتما إذن أبناء سبيل ، عليَّ نفقتكما » .

١٩٠ ـ العلم حسنٌ لمن رزق خيره :

جاء في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٠ ، ٣٢٤) في ترجمة الإمام القدوة شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي المدني إمام دار الهجرة ـ رحمه الله تعالى ـ المتوفى سنة ١٧٩ هـ ما نصه في نصحه لطلبة العلم :

« قال مالك :

أُراهم صدر هذه الأمة ، وحقٌ على من طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينةٌ وخشيةٌ ، والعلمُ حسنٌ لمن رزق خيره ، وهو قَسْمٌ من الله ، فلا تمكّن الناس من نفسك ، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير ، وإن من شقوة المرء ألاّ يزال يخطىء ، وذُلٌ وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه » .

١٩١ ـ أنت لم تسامح في عطسة ، تسامح في غيرها ؟ :

جاء في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٠٧ ـ ٣١٠) ووفيات الأعيان (٨/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨) وأخبار القضاة لوكيع (٣/ ٢٥١) في ترجمة عافية بن يزيد الأودي الكوفي القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

الرَّمَع ، فلما رأيت الذبابة قد سقطت منك بموضع لا ينالُهُ من معه عشرة آلاف سيف ، وعشرة آلاف رمح انفتح لي فيها الجواب .

فقال : لله درُّكَ يا محمد » .

١٩٣ ـ لا تغرق في شتمنا :

جاء في كتاب الجليس الصالح الكافي (٣/ ١٤٥) ما نصه :

« عن سفيان بن عُيَيْنة قال :

كان بين عمر بن ذر وبين رجلٍ يقال له ابن عياش شحناء ، وكان يبلغ عمر بن ذر أن ابن عياش يتكلم فيه .

قال : فخرج عمر ذات يوم فلقي ابن عياش فوقف معه ، فقال له :

لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعاً فإنا لا نكافىء أحداً عصى الله تعالى فينا بأكثر من أن نطيع الله تعالى فيه » .

١٩٤ ـ قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٢٦٤) والوافي بالوفيات (١٤/ ١٠٣) ما نصه :

« عن بعض السلف أنه قال لابن عمر بن عبد العزيز :

ما رأيت رجلاً أكرم من أبيك ، سمرت معه ذات ليلة فخَفَتَ المصباح ، فقام إليه فأصلحه .

فقلت له : يا أمير المؤمنين هلا أمرت بإصلاحه .

قال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز » .

١٩٥ ـ الثياب لا ترفع مكانة لأبيها :

جاء في الجليس الصالح الكافي (٤/ ٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٣١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦١) ما نصه :

« عن العتبي عن أبيه قال :

دخل سالم بن عبد الله بن عمر على سليمان بن عبد الملك وعلى سالمٍ ثيابٌ غليظة رثة ، فلم يزل سليمان يرحِّبُ به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره ، وعمر بن عبد العزيز في المجلس ، فقال له رجل من أخريات الناس :

أما استطاع خالك أن يلبس ثياباً فاخرة أحسن من هذه ويدخل فيها على أمير المؤمنين ؟

وعلى المتكلم ثيابٌ سَرِيَّةٌ لها قيمة ، فقال له عمر :

ما رأيتُ هذه الثياب التي على خالي وَضَعَتْهُ في مكانك هذا ، ولا رأيتُ ثيابكَ هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك » .

١٩٦ ـ لا تجعل للهوى على عقلي سبيلاً :

جاء في الأمالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (١/ ١١) ما نصه :

« عن عبد الملك بن قريب ـ يعني الأصمعي ـ قال :

سمعت أعرابياً يدعو الله وهو يقول :

هربت إليك بنفسي يا ملجأ الهاربين ، بأثقال الذنوب أحملها على ظهري ، لا أجد شافعاً إليك إلا معرفتي بأنك أكرم من قصد إليه المضطرون ، وأَمَّل فيما لديه الراغبون ، يا من فتق العقول بمعرفته ، وأطلق الألسن بحمده ، وجعل ما امتن به من ذلك على خلقه كفاءً لتأدية حقه ، **لا تجعل للهوى على عقلي سبيلاً ، ولا للباطل على عملي دليلاً** » .

١٩٧ ـ عند لقاء الله أحتاج أن أدري ما وجهه :

جاء في طبقات الحنابلة للقاضي ابن أبي يعلى الحنبلي (٢/ ١٧٧) في ترجمة الإمام الزاهد عبد الله بن الحسن بن حامد الورّاق البغدادي ما نصه :

« قال : وخرج إلى الحج في سنة ٤٠٢ هـ ، فناله في بعض طريقه عطش شديد فجاءه إنسان من الحاج بقليل ماء وهو مستند إلى حجر وقد أشرف على التلف .

فأومأ ابنُ حامد إلى الجائي له بالماء : من أين هو ؟ وأي شيء وجهه ؟

فقال له الجائي بالماء : أهذا وقت هذا السؤال ؟ !

فأومأ : أن نعم ، هذا وقته ، عند لقاء الله عز وجل أحتاج أن أدري **ما وجهه** . وتوفي في طريقه راجعاً من مكة سنة ٤٠٣ هـ ـ رحمه الله تعالى » .

١٩٨ ـ إن شئتما فأدليا بحجتكما ، وإن شئتما فأصلحا ذات بينكما :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ما نصه :

« قال المدائني :

كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مدارأة في واد بالمدينة . قال : فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص ، فأتياه فقال لهما : أنتما في فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تختلفان ! وقد سمعتما من رسول الله ﷺ مثل ما سمعت ، وحضرتما من قوله مثل الذي حضرتُ : فيمن اقتطع شبراً من أرض أخيه بغير حق أنه يُطَوَّقه من سبع أرضين ! والحكم أحوج إلى العدل من المحكوم عليه ، وذلك لأن الحكم إذا جار رُزِىء دينه ، والمحكوم عليه إذا جير عليه رُزِىء عرض الدنيا ، **إن شئتما فأدليا بحجتكما ، وإن شئتما فأصلحا ذات بينكما** .

فأصلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا » .

مدارأة : مخالفة . يطوقه : يجعل كالطوق في عنقه .

١٩٩ ـ ليس الثواب مما يباع :

جاء في رسالة المسترشدين (ص ١٧٤) نقلاً عن « رسالة في الصيد والرماية والخيل » لإبراهيم بن ولي الحنفي السباهي ما نصه :

« وحكى الصُّولي قال : حدثنا العلاء ، قال : حدثني يعقوب بن جعفر بن سليمان قال :

غزوتُ مع المعتصم عَمورية ، فاحتاج الناسُ إلى الماء ، فمدَّ لهم المعتصم حياضاً من أُدُم ـ أي جلود ـ عشرة أميال ، وساق منها الماء إلى سور عمورية . ويقال : كان في خيله ثمانون ألف أبلق وثمانون ألف أدهم .

وكان رجل من الروم يقوم كل يوم على السور ، ويشتم النبيَّ ﷺ بالعربية باسمه ونسبه ! فاشتدَّ ذلك على المسلمين ، ولم يكن يصل إليه النشاب . قال يعقوب : وكنت أرمي رمياً جيداً ، فاعتمدته بنشابة فأصبتُ نحره ، فهوى وكبر المسلمون ، وسُرَّ المعتصم وقال : عليَّ بالذي رماه ، فأُدخلتُ عليه فقال : من أنت ؟

فانتسبتُ ، فقال : الحمد لله الذي جعل ثواب هذا السهم لرجل من أهلي ـ يعني من بني عباس .

ثم قال : بعني هذا الثواب .

فقلت : يا أمير المؤمنين ليس الثواب مما يُباع .

فقال : إني أُرَغِّبك ، فأعطاني مئة ألف درهم .

فقلت : ما أبيع ثوابي ، فبلغها إلى خمس مئة ألف درهم .

فقلت : لا أبيع ثوابي بالدنيا وما فيها ، ولكن قد جعلتُ لك ـ أي وهبتُ لك ـ نصف ثوابه ـ أي ثواب هذا السهم ـ والله يشهد عليَّ بذلك .

قال : جزاك الله خيراً . قد رضيتُ .

ثم قال : فأين تعلمت الرمي ؟

قلت : بالبصرة في داري ، فقال : بعنيها ، فقلت : وهي وقف على من يتعلم الرمي ، فوصلني بمئة ألف درهم » .

٢٠٠ ـ أبيتُ كما أبت السموات والأرض :

جاء في تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ص ١٣) في ترجمة الإمام محمد بن عبد السلام الخشنيُّ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« وممن جاهر بالإصرار على الإباية من القضاء ، محمد بن عبد السلام الخشَنيُّ ، أراده الأمير محمد لتقليد القضاء بجَيّان ، وأمر الوزراء أن يُجلسوه ويلزموه ذلك ، ففعلوا وأدوا إليه رسالة الأمير .

فأبى عليهم ونفر نفوراً شديداً ، فلاطفوه وخوفوه بادرةَ السلطان ، فلم يزد إلا إباءً ونفوراً .

فكتبوا إلى الأمير محمد بلجاجة وإعياء الحيلة عليهم في إجابته . فوقع الأمير توقيعاً غليظاً معناه : إن من عصانا ، فقد أحل بنفسه ودمه .

فلما قرأوه على الخشَني ، نزع قلنسوته من رأسه ومد عنقه وجعل يقول :

أبيت كما أبت السموات والأرض ، إباية إشفاقٍ ، لا إباية نفاق !

فكتبوا إلى الأمير بلفظه ، فكتب إليهم أن سلموا أمره وأخرجوه عن أنفسكم !

فقالوا له : انصرف !

فانطلق عنهم ولم يهيجوه بعد » .

٢٠١ ـ لعل لها مستحقين لا نعرفهم :

جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (٥/ ٤٠٦) في ترجمة الإمام الفقيه الزاهد العابد شمس الدين محمد بن عبد الرحيم المقدسي الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال الذهبي : كان إماماً فقيهاً محدثاً زاهداً عابداً ، كثير الخير ، له قدم راسخة في التقوى ، وكان متقللاً من الدنيا . حُكي لي عنه أنه كان يحفر مكاناً

في جبل الصالحية لبعض شأنه ، فوجد جَرَّةً مملوءة دنانير ، وكانت زوجته معه تعينه على الحفر ، فاسترجع - أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ عد ذلك فتنة له ومحنة أي اختباراً - وطمَّ المكان كما كان أولاً ، وقال لزوجته :

هذه فتنة ، **ولعل لها مستحقين لا نعرفهم** ، وعاهدها على أنها لا تُشعر بذلك أحداً ، ولا تتعرض إليه ، وكانت صالحة مثله ، فتركا ذلك تورعاً مع فقرهما وحاجتهما ، وهذا غاية الورع والزهد» .

٢٠٢ ـ إن كنت صادقة فأنت حرة :

جاء في كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وإتحاف السادة المتقين للزبيدي (٦/ ٢٠٥) ما نصه :

« عن رباح بن الجراح العبدي ، قال :

جاء فتح موصلي إلى صديق له ـ يقال له عيسى التمار ـ فلم يجده في المنزل ، فقال للخادم :

أخرجي إليَّ كيس أخي ، فأخرجته له فأخذ درهمين ، وجاء عيسى إلى منزله فأخبرته الخادم بمجيء فتح وأخذه الدرهمين فقال :

« **إن كنت صادقة فأنت حرة** »

فنظر فإذا هي صادقة فعتقت » .

٢٠٣ ـ أكره أن يتمعر وجه أحدكم إذا نظر إلى رسولي :

جاء في كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (ص ٢١٠) وكتاب صفة الصفوة (٢/ ١٣١) ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (ص ٣٩) ما نصه :

« عن أبي مودود قال :

كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحين العبّاد وهم سجود ـ أبا حازم ، وصفوان بن سليم ، وسليمان بن سحيم ، وأشباههم ـ فيأتيهم بالصُرر فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم ، حيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه .

فيقال : ما يمنعك أن ترسل بها إليهم ؟

فيقول : أكره أن يتمعر وجه أحدكم إذا نظر إلى رسولي ، أو إذا لقيني » .

٢٠٤ ـ أخرجوه فقد استقتل :

جاء في تهذيب الكمال (٢/٣٦) في ترجمة الإمام الزاهد القدوة العابد إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي أبو إسحاق البلخي المتوفى سنة ١٦٢ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن شعيب بن حرب :

دخل إبراهيم بن أدهم على بعض هؤلاء الولاة ،

فقال له : من أين معيشتك ؟

قال إبراهيم :

نُرَقِّعُ دنيانا بتمزيق ديننا فلا دِينُنا يبقى ولا ما نرقع

قال : فقال الوالي :

أخرجوه فقد استقتل ! » .

٢٠٥ ـ إن الصدق أحياناً معجزة :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ١٤١) ما نصه :

« عن الأصمعي قال :

جاءوا زياداً بلص وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فانتهروه وقالوا :

اصدق الأمير .

فقال الأحنف :

إن الصدق أحياناً معجزة .

فأعجب ذلك زياداً وقال : جزاك الله خيراً » .

٢٠٦ ـ اسكت ، فما كنتَ عنده هامان حتى أكون عنده فرعون :

جاء في سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣١ ـ ٥٣٢) في ترجمة أحد مشاهير الأعلام ، الحافظ العالم ، محدث مصر ، بقية بن الوليد بن صائد أبو يحمد الحميري ، الكلاعي ، ثم الميتمي الحمصي المتوفى سنة ١٩٧ ـ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« حدثنا عطية بن بقية قال : قال أبي :

دخلت على هارون الرشيد ، فقال لي : يا بقية ، إني أُحبُّك ، فقلتُ : ولأهل بلدي يا أمير المؤمنين ؟

قال : إنهم جُندُ سوء لهم كذا وكذا غَدْرة .

ثم قال : حدثني .

فقلت : حدثنا محمد بن زياد ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سابق العرب » وذكر الحديث .

فقال : زدني ، فقلت : حدثني محمد بن زياد ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً ، وثلاث حثيات من حثيات ربي »

قال : فامتلأ من ذلك فرحاً وقال : يا غلام ، الدواة .

وكان القيم بأمره الفضل بن الربيع ، ومرتبته بعيدة ، فناداني : يا بقية ، ناول أمير المؤمنين الدواة بجنبك .

قلت : ناوله أنت يا هامان .

فقال : أسمعت ما قال يا أمير المؤمنين ؟

قال : **اسكُتْ . فما كنتَ عنده هامان حتى أكون أنا عنده فرعون** » .

٢٠٧ ـ لئن عاودتني أنت وغيرك لأخرجن من الأندلس :

جاء في تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن النباهي المالقي (ص ١٩) في ترجمة أبي غالب عبد الرؤوف بن الفرج بن أبي كِنانة ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« كان الأمير عبد الله بن محمد به معجباً ، وله مفضلاً ، وكان قد اشتهى رؤيته من غير أن يستدعيه ، فتعرض لذلك يوم الجمعة من طاقة الساباط ، فرآه عند رواحه إلى المسجد الجامع ، وأعجبه سمته ، وأحب اجتذابه إليه ، وقال : لابد أن أضعه إلى الوزارة أو القضاء . فذاكر بشأنه الوزير ابن أبي عبدة ، وكان صديقاً لأبي غالب ؛ فقال : « ينبغي للأمير أن لا يهجم على الرجل بالاستدعاء ، حتى يعرف ما عنده في ذلك » .

فقال له : « فكن أنت الذي يتعرف ذلك » .

قال الكاتب المدعو بسكن بن إبراهيم : فأرسلني الوزير إليه ؛ فعرضت عليه مُراد الأمير ، فتلقَّى ذلك مني بالنطق والتضاحك ، حتى أطمعني في نفسه ؟ وجعل يقول : « كيف كان تنبهكم لنا بعد طول الغفلة ؟ وما نرى هذا منكم عن صحة نية : فأنتم أشح بدنياكم من أن تعطوا منها أحداً شيئاً ، تشركوا فيها صديقاً ! »

قال سَكَن : « فلما صرتُ به إلى الجد ، تنمَّر لي ، وقال آخر قولة : « بالله الذي لا إله إلا هو ! **لئن عاودتني أو غيرُك ، أو بلغتني فيه عن الأمير عزيمة ، لأخرجن عن الأندلس ! فلا أعودنَّ إليها آخر الدهر !** » .

«فترك عن ذلك » .

٢٠٨ ـ ليس عندي ما أخافك عليه :

جاء في تاريخ بغداد (٦/ ١١٢) وتهذيب الكمال (٢/ ١٥٠) في ترجمة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم ، أبو شيبة الكوفي ، قاضي واسط المتوفى سنة ١٦٩ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن العتبي عن أبيه ، قال :

قال موسى بن عيسى ـ وهو يومئذٍ أمير الكوفة ـ لأبي شيبة : مالك لا تأتيني ؟

قال : أصلحك الله إن أتيتك فقربتني فتنتني ، وإن باعدتني أحزنتني ، وليس عندي ما أخافك عليه ، ولا عندك ما أرجو .

فما ردَّ عليه شيئاً » .

٢٠٩ ـ قد يعثر الجواد :

جاء في تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) ، وغاية النهاية (١/ ٥٣٨) ، وإنباء الرواة (٢/ ٢٦٣) وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٣) في ترجمة الإمام شيخ القراءة والعربية ، أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي ، مولاهم الكوفي ، الملقب بالكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال الكسائي :

صليت بهارون الرشيد ، فأعجبتني قراءتي ، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط ، أردت أن أقول « لعلهم يرجعون » فقلت « لعلهم يرجعين » .

قال : فو الله ما اجترأ هارون أن يقول لي : أخطأت ، ولكنه لما سلمت ، قال لي :

يا كسائي أي لغة هذه ؟

قلت : يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد .

قال : أما هذا فنعم » .

٢١٠ ـ ما كنت لأصيب طعاماً قل شكر الله عليه :

جاء في مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ص ٢١٠) في ترجمة الإمام وشيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن العباس بن الوليد بن مزيد قال :

سمعت إبراهيم بن أيوب يقول : « أقبل الأوزاعي من دمشق يريد الساحل أو أقبل من الساحل يريد دمشق ، فنزل بأخ له في القرية التي نشأ فيها وهي الكرك ، فقدم الرجل عشاءه ، فلما وضع المائدة بين يديه ومد الأوزاعي يده ليتناول منه ، قال الرجل :

كل يا أبا عمرو واعذرنا فإنك أتيتنا في وقت ضيق .

فرد يده في كمه ، وأقبل عليه الرجل يسأله أن يأكل من طعامه فأبى ، فلما طال على الرجل رفع المائدة وبات ، فلما أصبح غدا ، وتبعه الرجل فقال :

يا أبا عمرو ما حملك على ما صنعت ؟ والله ما أفدت بعدك مالاً ، وما هو المال الذي تعرف فلما أكثر عليه قال :

ما كنت لأصيب طعاماً قل شكر الله عليه ، أو كفرت نعمة الله عنده ».
وكان تلك الليلة صائماً » .

٢١١ ـ قل له يموت بدَيْنِهِ ولا يعمل معهم :

جاء في كتاب المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (١/ ٣١٣) في ترجمة علي بن الحسن بن زياد ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال : كان أبي صديقاً لأحمد بن حنبل ، فركبه الدَّيْن ، فوجه بي إلى أحمد بن حنبل ، فقال له :

يا أبا عبد الله قد ركبني الدين ، فترى لي أن أعمل مع هؤلاء بقدر ما أقضي دَيْني ؟

فقال لي : قل له يموت بدَيْنِهِ ولا يعمل معهم .
قل له : يلقى الله بدينه ولا يعمل معهم » .

٢١٢ ـ أخلصت لله الدعاء فحمل عني المؤونة :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٩٦) في ترجمة الإمام الزاهد العابد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي أبو محمد المالكي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال المالكي في كتابه :

إن سحنون بلغه أن عبد الرحيم أقام ستة أشهر ، لم يشرب ماءاً ، فأنكر ذلك سحنون ، وركب مع جماعته من الشيوخ إليه ، فبات عنده وسأله عما بلغه ، واستشفع عليه ، فقال : ومن يأكل ولا يشرب ، فلما انصرف عنه سحنون ، رجعه ، وقال له : سألتني عن شيء ، فكتمته ، ثم حاسبت نفسي ، والذي قيل لك صحيح ، ولي ستة أشهر لم أشرب ماءاً ، وذلك أني كنت أصلي ، فأصابني عطش شديد ، فقلت : افرغ من حزبك وأشرب ، فلما فرغت مددت يدي إلى القسط فانقلب ، وذهب ما فيه من ماء ، وكانت ليلة كثيرة الريح والبرد ، والماجل أسفل القصر ، فكبر علي النزول .

وقلت : يا رب إن هذا شغلني عن حزبي ، فاحمل عني المؤونة .

فأجابني من زاوية البيت ، ولا أحد فيه ، يقول : أنا من مؤمني الجن ، أصلي بصلاتك مدة ، فمر هذه الليلة شيطان مارد ، وهم علينا أضر مما هم عليكم ، فحسدك ورمى لك في القسط شيئاً ، فلو شربته لعرض في جسمك ما لاطاقة لك به ، فلما مددت يدك إلى القسط ، سبقتك إليه وأهرقته .

قال عبد الرحيم : **فأخلصت لله الدعاء ، فحمل عني المؤونة** ، وإن احتجت الماء بَعْدُ شربته .

فنزل سحنون إلى الناس وقال : عبد الرحيم سأل مولاه حاجته فقضاها له» .

٢١٣ ـ وافق دعاءها الإجابة :

جاء في المنتظم (٥/ ١٠٠ ـ ١٠١) ومعجم الأدباء (٧/ ٨٤ ـ ٨٥) والبداية والنهاية (١١/ ٥٦ ـ ٥٧) في ترجمة الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، الحافظ بَقِيُّ بن مَخْلَد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« ذكر ابن عبد البر في كتابه عن أخبار علماء قرطبة بقي بن مخلد فقال :

كان فاضلاً تقياً ، صواماً ، قواماً ، متبتلاً ، منقطع القرين في عصره ، منفرداً عن النظير في مصره ، كان أول طلبه عند محمد بن عيسى الأعشى ، ثم رحل ، فحمل عن أهل الحرمين . . . ، حتى قال : وذكر عبد الرحمن بن أحمد ، عن أبيه :

أن امرأة جاءت إلى بَقي ، فقالت : إن ابني في الأسر ، ولا حيلة لي ، فلو أشرت إلى من يفديه ، فإني والهة .

قال : نعم ، انصرفي حتى أنظر في أمره .

ثم أطرق وحرك شفتيه ، ثم بعد مدة جاءت المرأة بابنها ، فقال :

كنتُ في يد مَلِكٍ ، فبينا أنا في العمل ، سقط قيدي ، قال : فذكر اليوم والساعة ، فوافق وقت دعاء الشيخ .

قال : فصاح على المُرَسِّم بنا ، ثم نظر وتحير ، ثم أَحضر الحدّاد وقيَّدني ، فلما فرغه ومشيت سقط القيد ، فبُهتوا ، ودَعَوا رهبانهم ، فقالوا : ألك والدة ؟

قلت : نعم . قالوا : وافق دعاؤها الإجابة .

وفي لفظ آخر : قالوا : قد أطلقك الله ، فلا يمكننا أن نقيدك ، فزودوني ، وبعثوا بي » .

٢١٤ ـ قد وفينا بما ضمنت ، ولا تعد لمثل هذا :

جاء في تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣١) وطبقات السبكي (٣/ ٣٢٦) في ترجمة العلامة الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

عن ابن أبي حاتم قال :

«وقع عندنا الغلاء ، فأخذ بعض أصدقائي حبوباً من أصبهان ، فبعثه بعشرين ألفاً ، وسألني أن أشتري له داراً عندنا ، فإذا جاء ينزل فيها ، فأنفقتها في الفقراء ، وكتب إليه :

اشتريت لك بها قصراً في الجنة .

فبعث يقول : رضيتُ ، فاكتب على نفسك صكاً ، ففعلت .

فأُريتُ في المنام : قد وفينا بما ضمنت ، ولا تعد لمثل هذا » .

٢١٥ ـ أما هذه فلا سبيل إليها ، لأن الناس في العلم سواء :

جاء في طبقات السبكي (٢/٤٩) وتاريخ ابن عساكر (٧/ ٢٧٣ ب ـ ٢٧٤ أ) مخطوط في ترجمة الإمام شيخ السنة ، مقدم الحفاظ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي بكر بن جابر خادم أبي داود ـ رحمه الله ـ قال :

كنت مع أبي داود ببغداد ، فصلينا المغرب فجاءه الأمير أبو أحمد الموفق ـ يعني ولي العهد ـ فدخل ، ثم أقبل عليه أبو داود ، فقال : ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت ؟

قال : خلال ثلاث . قال : وما هي ؟

قال : تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً ، ليرحل إليك طلبة العلم ، فتعمر بك ، فإنها قد خرجت ، وانقطع عنها الناس ، لما جرى عليها من محنة الزنج .

قال : هذه واحدة .

قال : وتروي لأولادي « السنن » .

قال : نعم ، هات الثالثة .

قال : وتفرد لهم مجلساً ، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة .

قال : **أما هذه فلا سبيل إليها ، لأن الناس في العلم سواء** .

قال ابن جابر : فكانوا يحضرون ويقعدون في كم حيري ، عليه ستر ، ويستمعون مع العامة » .

٢١٦ ـ قد قضيتها مع الإمكان :

جاء في كتاب وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) في ترجمة الإمام شيخ السنة ، مقدم الحفاظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ـ رحمه الله ـ ما نصه :

عن أحمد بن محمد بن الليث قال :

جاء سهل بن عبد الله التُسْتَرَي إلى أبي داود السجستاني ، فقيل : يا أبا داود : هذا سهل بن عبد الله جاءك زائراً فرحب به ، وأجلَسَهُ .

فقال سهل : يا أبا داود ! لي إليك حاجة .

قال : وما هي ؟

قال : حتى تقول : **قد قضيتها مع الإمكان** .

قال : نعم .

قال : أخرج إلي لسانك الذي تحدث به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبِّله .

فأخرج إليه لسانه فقبله » .

٢١٧ ـ ليس كل غيبة جفوة ، ولا كل لقاء مودة :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٨) في ترجمة الشيخ الإمام الحافظ ، العلامة شيخ الإسلام ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسحاق البغدادي الحربي ، صاحب التصانيف ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي الحسن بن قريش قال :

حضرت إبراهيم الحربي ـ وجاءه يوسف القاضي ومعه ابنه أبو عمر ـ فقال له : يا أبا إسحاق ! لو جئناك على مقدار واجب حقك ، لكانت أوقاتنا كلها عندك .

فقال : ليس كل غيبة جفوة ، ولا كل لقاء مودة ، وإنما هو تقارب القلوب .

٢١٨ ـ استظهرت قبل أن تجيء :

جاء في تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٥) وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) في ترجمة الحافظ ، العلَم ، الإمام البارع ، محمد بن عيسى السلمي الترمذي الضرير ، مصنف « الجامع » ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« نقل أبو سعد الإدريسي بإسناد له :

أن أبا عيسى قال : كنت في طريق مكة ، فكتبت جزأين من حديث شيخ ، فوجدته فسألته ، وأنا أظن أن الجزأين معي ، فسألته ، فأجابني ، فإذا معي جزآن بياض فبقي يقرأ علي من لفظه ، فنظر ، فرأى في يدي ورقاً بياضاً .

فقال : أما تستحي مني ؟ فأعلمته بأمري .

وقلت : أحفظه كله . قال : اقرأ .

فقرأته عليه ، فلم يصدقني ، وقال :

استظهرت قبل أن تجيء ؟ فقال : حدثني بغيره .

قال : فحدثني بأربعين حديثاً ، ثم قال : هات .

فأعدتها عليه ، ما أخطأت في حرف» .

٢١٩ ـ الملتقى قريب ، والقاضي الله عز وجل :

جاء في وفيات الأعيان (١/ ٢٩١) والنجوم الزاهرة (٣/ ١٨) في ترجمة القاضي الكبير ، العلامة المحدث بكار بن قتيبة أبو بكرة الثقفي البكراوي البصري ، الفقيه الحنفي ، قاضي القضاة بمصر ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال الحسن بن زولاق في ترجمة بكار :

لما اعتل أحمد بن طولون ، راسل بكاراً ، وقال :

إنا رادُّوك إلى منزلك ، فأجبني ، فقال : قل له : شيخ فانٍ وعليل مُدنفٌ ، والملتقى قريب ، والقاضي الله عز وجل .

فأبلغها الرسول أحمد ، فأطرق ، ثم أقبل يكرر ذلك على نفسه ، ثم أمر بنقله من السجن إلى دار اكتريت له ، وفيها كان يحدث ، فلما مات الملك قيل لأبي بكرة : انصرف إلى منزلك ، فقال : هذه الدار بأجرة ، وقد صلحت لي ، فأقام بها » .

٢٢٠ ـ عصى الله وأطاعني ، فسلطني الله عليه :

جاء في وفيات الأعيان (٤/٤٦) في ترجمة الوزير الكبير الفضل بن مروان ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال ابن النجار : هو الفضل بن مروان بن ماسرحبس . كان بديع الخط ، مُنشئاً ، لم يزل في ارتقاء ، والناس يحسدونه حتى نُكب ، وأدى أربعين ألف ألف درهم ، فكان المعتصم يقول : **عصى الله ، وأطاعني فسلطني الله عليه** .

قلت : ثم أطلقه ، وألزمه بيته ، واستوزر أحمد بن عمار . وقيل أُلقيت رقعة إليه فيها :

تفرعنت يا فضل بن مروان فاعتبر ... فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلاثة أملاكٍ مضوا لسبيلهم ... أبادتهم الأقياد والذل والقتل

٢٢١ ـ هيهات ! إن بيننا وبينها عقاباً :

جاء في حلية الأولياء (١٠/١١) في ترجمة العلم الزاهد العابد الإمام القدوة الحافظ ، شيخ أهل الشام ، أحمد بن أبي الحواري أبو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن عمر بن بحر ، سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : بينا أنا في قبة بالمقابر بلا باب إلا كساء أسبلته ، فإذا أنا بامرأة تدق على الحائط .

فقلت : من هذا ؟ قال : ضالةٌ ، فدلني على الطريق .

فقلت : رحمك الله ، أي الطرق تسلكين .

فبكت، ثم قالت : على طريق النجاة يا أحمد .

قلت : هيهات ! إن بيننا وبينها عقاباً ، وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث ، وتصحيح المعاملة ، وحذف العلائق الشاغلة .

فبكت ، ثم قالت : سبحان من أمسك عليك جوارحك ، فلم تتقطع ، وفؤادك فلم ينصدع .

ثم خرت مغشياً عليها .

فقلت لبعض النساء : أي شيء حالها ؟ فقمنَ ، فَفَتَشْنَها ، فإذا وصيتها في جيبها : كفنوني في أثوابي هذه ، فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي ، وإن كان غير ذلك فبعداً لنفسي .

قلتُ : ما هي ؟ فحركوها ، فإذا هي ميتة .

فقلت : لمن هذه الجارية ؟ قالوا : جارية قرشية مصابة ، وكان قرينها يمنعها من الطعام ، وكانت تشكو إليه وجعاً بجوفها ، فكنا نصفها للأطباء ، فتقول : خَلُّو بيني وبين الطبيب الراهب ، تعني : أحمد بن أبي الحواري ، أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي ، لعله أن يكون عنده شفائي » .

٢٢٢ ـ لئن أدخلت عليه لأصدقنه :

جاء في تاريخ بغداد (١٤/ ٣٠٢) ، ووفيات الأعيان (٧/ ٦٢) وطبقات الشافعية للسبكي (٢/ ١٦٤) في ترجمة الإمام العلامة سيد الفقهاء ، يوسف بن يحيى أبو يعقوب المصري البويطي صاحب الإمام الشافعي ـ رحمهما الله ـ ما نصه :

« قال الربيع بن سليمان : كان البويطي أبداً يحرك شفتيه بذكر الله ، وما أبصرت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله من البويطي ، ولقد رأيته على بغلٍ في عنقه غلٌّ ، وفي رجليه قيد ، وبينه وبين الغُلّ سلسلة فيها لبنة وزنها أربعون رطلاً ، وهو يقول :

إنما خلق الله الخلْق بـ « كن » ، فإذا كانت مخلوقة ، فكأن مخلوقاً خلق

بمخلوق ، ولئن أدخلت عليه لأَصْدُقَنَّه ، يعني : الواثق ، ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم » .

٢٢٣ ـ والله ما أخذت ، ولا لبست لهم ثوباً :

جاء في ترتيب المدارك (٢/ ٥٩١) والديباج المذهب (٢/ ٣٨) في ترجمة الإمام العلامة ، فقيه المغرب ، أبو سعيد ، عبد السلام بن حبيب التنوخي ، الحمصي الأصل ، المغربي القيرواني المالكي ، قاضي القيروانة ، وصاحب « المدونة » والملقب بسحنون ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن سحنون قال : أَكْلٌ بالمسكنة ، ولا أكل بالعلم ، محب الدنيا أعمى ، لم يُنَوِّرْهُ العلم ، ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء . والله ما دخلت على السلطان إلا وإذا خرجت حاسبت نفسي ، فوجدتُ عليها الدَّرك ، وأنتم ترون مخالفتي لهواه ، وما ألقاه من الغلظة ، والله ما أخذتُ ، ولا لبست لهم ثوباً » .

٢٢٤ ـ النظر في وجوهكم معصية :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٠٢) في ترجمة الإمام الحافظ الرباني ، شيخ الإسلام ، أبو الحسن محمد بن أسلم بن سالم الكندي مولاهم الخراساني الطوسي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أحمد بن سلمة ، حدثنا محمد بن أسلم ، قال : لما أُدخلت على عبد الله بن طاهر ، ولم أسلم عليه بالإمرة ، غضب وقال :

عمدتم إلى رجل من أهل القبلة فكفرتموه ، فقيل : قد كان ما أُنهي إلى الأمير .

فقال ابن طاهر : شراك نَعْلَيَ عمر بن الخطاب خير منك ، وكان يرفع رأسه إلى السماء ، وقد بلغني أنك لا ترفع رأسك إلى السماء .

فقلت برأسي هكذا إلى السماء ساعة ، ثم قلت : ولِمَ لا أرفع رأسي إلى السماء ؟ وهل أرجو الخير إلا ممن في السماء ؟ ! ولكني سمعت مؤمل بن إسماعيل يقول : سمعت سفيان يقول : **النظر في وجوهكم معصية** .

فقال بيده هكذا ، أي يُجَبِّس » .

٢٢٥ ـ إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك :

جاء في المنهج الأحمد (١/١٩٨) في ترجمة الشيخ الإمام الحافظ العلامة ، شيخ الإسلام ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسحاق البغدادي الحربي صاحب التصانيف ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أبو عثمان الرازي : جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين تفرقة ذلك ، فرده ، فانصرف الرسول ثم عاد فقال : إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك ، فقال : عافاك الله ، هذا مالٌ لم نشغل أنفسنا بجمعه ، فلا نشغلها بتفرقته . قل لأمير المؤمنين : **إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك** » .

٢٢٦ ـ ما الحيلة حتى أنبُلَ في عين هذا السيد الجليل :

جاء في تاريخ بغداد (١٠/١٨٩) وفوات الوفيات (٢/٢٣٦) وتاريخ الخلفاء (ص ٣٢٠) في ترجمة الخليفة المأمون أبو العباس ، عبد الله بن هارون الرشيد العباسي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن يحيى بن أكثم : كان المأمون يحلُمُ حتى يغيظنا ، قيل : مر ملاح ، فقال : أتظنون أن هذا ينبُلُ عندي وقد قتل أخاه الأمين ؟ !

فسمعها المأمون ، فتبسم ، وقال :

ما الحيلة حتى أنبُلَ في عين هذا السيد الجليل ؟ » .

٢٢٧ ـ إن كانت مسألتك لا تضحك الجليس :

جاء في تاريخ بغداد (٩/ ٣٥ ـ ٦٣) وتهذيب الكمال (/) ووفيات الأعيان (٢/ ٤١٩) في ترجمة الإمام الثقة الحافظ شيخ الإسلام ، سليمان بن حرب أبو أيوب الواشحي ، الأزدي ، البصري قاضي مكة ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن يحيى بن أكثم قال :

قال لي المأمون : من تركت بالبصرة ؟

فوصفتُ له مشايخ منهم سليمان بن حرب ، وقلت : هو ثقة حافظ للحديث ، عاقل ، في نهاية الستر والصيانة ، فأمرني بحمله إليه ، فكتبت إليه في ذلك ، فقدم فاتفق وفي المجلس ابن أبي دؤاد ، وثمامة ، وأشباه لهما ، فكرهت أن يدخُلَ مثله بحضرتهم ، فلما دخَلَ ، سلَّم ، فأجابه المأمون ، ورفع ، ودعا له سليمان بالعزّ والتوفيق .

فقال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، نسأل الشيخ عن مسألة ؟

فنظر المأمون إليه نظرَ تخيير له ، فقال سُليمانُ : يا أمير المؤمنين ، حدثنا حمّادُ بنُ يزيد قال : قال رجل لابن شُبرُمة : أسألك ؟

قال : **إن كانت مسألتك لا تضحك الجليس ، ولا تزري بالمسؤول ،** فسل ، وحدثنا وهيب قال : قال إياس بن معاوية : من المسائل ما لا ينبغي للسائل أن يسأل عنها ، ولا للمجيب أن يجيب فيها ، فإن كانت مسألته من غير هذا ، فليسأل ، وإن كانت من هذا فليمسك . قال : فهابوه فما نطق أحدٌ منهم حتى قام ، وولاه قضاء مكة ، فخرج إليها » .

٢٢٨ ـ إنك إن شاء الله مشرف على الجنة :

جاء في تاريخ بغداد (٧/ ٢٧ ـ ٨٢) وتهذيب الكمال (/) في ترجمة الإمام الحافظ القدوة ، شيخ الشام ، آدم بن أبي إياس أبو الحسن الخراساني المروذي ، ثم البغدادي ، ثم العسقلاني ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أبو بكر الأعين : أتيت آدم العسقلاني ، فقلت له : عبد الله بن صالح كاتب الليث يُقرئك السلام ، فقال : لا تقرئه مني السلام ، قلت : ولَمَ ؟

قال : لأنه قال : القرآن مخلوق .

فأخبرته بعذره : وأنه أظهر الندامة ، وأخبر الناس بالرجوع . قال : فأقرئه السلام ، وإذا أتيت أحمد بن حنبل ، فأقرِه السلام ، وقل له :

يا هذا ، اتق الله ، وتقرب إلى الله تعالى بما أنت فيه ، ولا يستفزنك أحد ، فإنك - إن شاء الله - مشرف على الجنة ، وقل له : أخبرنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من أرادكم على معصية الله ، فلا تطيعوه »

قال : فأبلغتُ ذلك أبا عبد الله ، فقال : رحمه الله حياً وميتاً ، فلقد أحسن النصيحة » .

٢٢٩ - لا يُشترى إلا من هذا :

جاء في تاريخ بغداد (١١/٣٦١) وتهذيب الكمال ( ) في ترجمة الإمام الحافظ الحجة مسند بغداد ، علي بن الجعد أبو الحسن البغدادي الجوهري - رحمه الله - ما نصه :

« عن سليمان بن علي بن الجعد قال :

أحضر المأمون أصحاب الجوهر ، فناظرهم على متاع كان معهم ، ثم نهض لبعض حاجته ، ثم خرج فقام له كلُّ من في المجلس إلا علي بن الجعد ، فنظر إليه كالمُغضب ، ثم استخلاه ، فقال : يا شيخ ، ما منعك أن تقوم ؟

قال : أحللتُ أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي ﷺ ،

قال : وما هو ؟ قال : سمعتُ مبارك بن فضالة ، سمعت الحسن يقول : قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعده من النار » .

فأطرق المأمون ، ثم رفع رأسه فقال :

لا يشترى إلا من هذا . فاشتروا منه يومئذٍ بثلاثين ألف دينار » .

٢٣٠ ـ ما عُرف له غيبة لمسلم :

جاء في تاريخ بغداد (٧/ ٧٣) في ترجمة الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة ، شيخ الإسلام بشر بن الحارث أبو نصر المروزي ، ثم البغدادي ، المشهور بالحافي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال إبراهيم الحربي :

ما أخرَجَتْ بغدادُ أَتمُ عقلاً من بشر ، ولا أحفظ للسانه ، كأن في كل شعرة منه عقل ، وطىءَ الناس عقبه خمسين سنة ، **ما عُرِف له غيبةٌ لمسلم** ، ما رأيت أفضل منه » .

٢٣١ ـ حملته على أصعب الأمور لئلا يعود :

جاء في وفيات الأعيان (٦/ ١٤٥) وترتيب المدارك (٢/ ٥٤٢) ونفح الطيب (٢/ ١٠ ـ ١١) في ترجمة الإمام الكبير ، فقيه الأندلس ، يحيى بن يحيى بن كثير أبو محمد الليثي البربري المصمودي الأندلسي القرطبي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« إن عبد الرحمن بن الحكم المرواني صاحب الأندلس نظر إلى جارية له في رمضان نهاراً ، فلم يملك نفسه أن واقعها ، ثم ندم ، وطلب الفقهاء وسألهم عن توبته ، فقال يحيى بن يحيى : صُم شهرين متتابعين ، فسكت العلماء . فلما خرجوا ، قال ليحيى : مالَكَ لم تُفْتِهِ بمذهبنا عن مالك أنه مُخَيَّرٌ بين العتق والصوم والإطعام ؟

قال : لو فتحنا له هذا الباب ، لسهل عليه أن يطأ كل يوم ، ويعتق رقبة ، **فحملته على أصعب الأمور لئلا يعود »** .

٢٣٢ - إنما نهينا أقواماً يجعلون المعروف منكراً :

جاء في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٥٠) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٥٠) في ترجمة الحافظ الكبير ، شيخ الإسلام ، الفضل بن دكين أبو نعيم التيمي الطلحي القرشي مولاهم الكوفي الملائي الأحول - رحمه الله - ما نصه :

« قال أبو المظفر في كتاب مرآة الزمان : قال عبد الصمد بن المهتدي :

لما دخل المأمون بغداد ، نادى بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك لأن الشيوخ بقوا يضربون ويحبسون ، فنهاهم المأمون ، وقال : قد اجتمع الناس على إمام ، فمرّ أبو نعيم ، فرأى جندياً وقد أدخل يديه بين فخذي امرأة ، فنهاه بعنف ، فحمله إلى الوالي ، فيحمله الوالي إلى المأمون .

قال : فأُدخلت عليه بكرة وهو يسبح ، فقال : توضأ . فتوضأت ثلاثاً ثلاثاً على ما رواه عبدُ خيرٍ ، عن علي ، فصليت ركعتين .

فقال : ما تقول في رجلٍ مات عن أبوين ؟

فقلت : للأمِّ الثلث ، وما بقي للأب .

قال : فإن خلف أبويه وأخاه ؟

قلت : المسألة بحالها ، وسقط الأخ .

قال : فإن خلف أبوين وأخين ؟

قلت : للأمِّ السدس وما بقي للأب .

قال : في قول الناس كُلِّهم ؟

قلت : لا ، إن جَدّكَ ابن عباس يا أمير المؤمنين ما حجب الأم عن الثلث إلا بثلاثة أخوة .

فقال : يا هذا من نهى مثلك عن الأمر بالمعروف ؟ !

إنما نهينا أقواماً يجعلون المعروف منكراً .

ثم خرجت » .

٢٣٣ ـ إني إذاً لسعيد :

جاء في تهذيب تاريخ ابن عساكر (٢/ ٤١) وتهذيب الكمال (٣/ ١٦٠ ـ ١٦١) في ترجمة الإمام الزاهد العابد إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأموي ، أبو محمد الكوفي المعروف أبوه بالأشدق ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن عبيد الله العتبي قال :

قال داود بن علي لإسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص بعد قتله من قتل من بني أمية :

أساءَكَ ما فعلت بأصحابك ؟

فقال : كانوا يداً قطعتها ، وعضداً فتَّتها ، ومرّة نقضتها ، وركناً هدمته ، وجناحاً نتفتَه .

قال : فإني خَليق أن ألحق بهم .

قال : إني إذاً لسعيد » .

المِرّة : القوة وشدة العقل .

٢٣٤ ـ ما نمت الليلة غماً لفقر أمة محمد ﷺ :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ١٢٢) في ترجمة الإمام الفقيه محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير المالكي القيرواني أحد كبار أصحاب سحنون ـ رحمهم الله ـ ما نصه :

« قال محمد بن بسطام :

كنت في بيتي ليلة شاتية ، إذ دق علي الباب ، فخرجت ، فإذا محمد بن عبدوس ، وعليه جبة صوف وقلنسوة صوف .

فقال لي : يا محمد **ما نمت الليلة غمّاً لفقر أمة محمد ﷺ** . وهذه مائة دينار ذهباً ، غلة ضيعتي هذا العام ، احذر أن يمسي الليل وعندك منها شيء .

وانصرف » .

٢٣٥ ـ ألا خرجت مع الخاطر الأول :

جاء في طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٩) في ترجمة الإمام القدم علم الأولياء في زمانه الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم النهاوندي الأصل البغدادي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال علي بن محمد الحلواني : حدثني خير قال :

كنت جالساً يوماً في بيتي ، فخطر لي خاطر أن أبا القاسم الجنيد بالباب ، اخرج إليه ، فنفيت ذلك عن قلبي ، وقلت : وسوسة .

فوقع لي خاطر ثان فنفيته ، فوقع خاطر ثالث ، فعلمت أنه حق وليس بوسوسة ، ففتحت الباب ، فإذا أنا بالجنيد قائم فسلم عليَّ وقال :

يا خير ألا خرجت مع الخاطر الأول » .

٢٣٦ ـ خذ إليك يا أبا عبيدة فائدة :

جاء في المنهج الأحمد (/ ٨١) وطبقات الحنابلة (١/ ٢٥٩) في ترجمة الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاّم ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ما نصه :

« عن ابن أبي الدنيا قال :

قال أبو عُبَيْد القاسم بن سَلاّم : زرتُ أحمد بن حنبل ، فلما دخلت بيته قام فاعتنقني وأجلسني في صدر مجلسه ، فقلت : يا أبا عبد الله أليس يقال : صاحب البيت ـ أو المجلس ـ أحقُّ بصدر بيته أو مجلسه ؟

قال : نعم ، يَقْعُد ويُقعِد من يريد .

قال : قلت في نفسي : خذ إليك يا أبا عبيد فائدة .

ثم قلت : يا أبا عبد الله لو كنت آتيك على قدر ما تستحق لأتيتك كل يوم .

فقال : لا تقل ذلك ، فإن لي إخواناً ما ألقاهم في كل سنة مرة أنا أوثق في مودتهم ممن ألقى كل يوم .

قلت : هذه أخرى يا أبا عبيد .

فلما أردت القيام قام معي ، قلت : لا تفعل يا أبا عبد الله .

فقال : قال الشعبي : من تمام إكرام الزائر يُمشى معه إلى باب الدار ويؤخذ بركابه .

قال : قلت : يا أبا عبد الله مَنْ عن الشعبي ؟ قال : ابن أبي زائدة عن مخلد عن الشعبي .

قال : قلت : يا أبا عبيد الله هذه ثالثة » .

٢٣٧ ـ تفرقوا لا ينالكم من السلطان مكروه :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١) في ترجمة الإمام الصالح إبراهيم بن المضاء بن طارق الأسدي أبو إسحق المالكي أحد أصحاب سحنون ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« كنت في مسجد إبراهيم بن المضاء والقراء والناس مجتمعون ، إذ أتى رجل ، فقال :

يا معشر المسلمين ـ أنا رجل فقير ، ذو بنات ، ولي دار جوار عامر بن عمرون بن زرازة ، من أصحاب السلطان ، وإنه بنى عليه ، وفتح أبواباً مطلة على داري ، وبناتي منكشفات منها ، ما عليهن كبير كسوة ، وهو وخدمه مطلون عليهن ، فادعوا الله لي أن يكفيني مؤنته .

فدعا إبراهيم ودعا الناس ، فما بحت حتى أتى رجل فقال : **تفرقوا لا ينالكم من السلطان مكروه** ، أو نحو هذا ، هدمت عُلّية عامر ، وضربته سارية ، طيرت دماغه ، فافترق الناس » .

٢٣٨ ـ ثمرَّ الله المال في يدي ، فاكتم عليَّ ما عشت :

جاء في تاريخ بغداد (٨/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢) في ترجمة المحدث الحجة ، الفقيه الإمام ، دَعْلَج بن أحمد بن دعلج أبو محمد السجستاني ، ثم البغدادي

التاجر ، ذو الأموال العظيمة ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن أحمد بن الحسين الواعظ ؛ قال :

أُودعَ أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي عشرة آلاف دينار ليتيم ، فضاقت يده ، فأنفقها ، وكَبِرَ الصبي ، وأُذنَ له في قبض ماله .

قال ابن أبي موسى : فضاقت عليَّ الأرض ، وتَحَيَّرْتُ ، فبكرتُ على بغلتي ، وقصدتُ الكرخ ، فانتهت بي البغلة إلى درب السلولي ووقفت بي على باب مسجد دعلج ، فدخلتُ فصليتُ خلفه الفجر ، فلما انفتل رحب بي ، وقمنا فدخلنا داره ، فقُدمت لنا هريسة ، فأكلتُ وقصرتُ .

قال : أراك منقبضاً ، فأخبرته .

فقال : كل فإن حاجتك تقضى ، فلما فرغنا ، استدعى بالذهب والميزان ، فوزن لي عشرة آلاف دينار ، وقمتُ أطير فرحاً ، فوضعتُ المال على القربوس ، وغطيته بطيلساني ، ثم سلمت المال إلى الصبي بحضرة قاضي القضاة ، وعظم الثناء علي ، فلما عُدت إلى منزلي استدعاني أميرٌ من أولاد الخليفة ، فقال :

قد رغبتُ في معاملتك ، وتضمينك أملاكي ، فضمنتها ، فربحتُ في سنتي ربحاً عظيماً ، وكسبتُ في ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار ، وحملت لدعلج المال ، فقال :

سبحان الله ، والله ما نويت أخذها ، حلٌ بها الصبيان .

فقلت : أيها الشيخ ، إيش أصل هذا المال حتى تهب لي عشرة آلاف دينار ؟

فقال : نشأتُ ، وحفظتُ القرآن ، وطلبتُ الحديث ، وكنت أتبزز ، فوافاني تاجر من البحر ، فقال : أنت دعلج ؟

قلت : نعم . قال : قد رغبت في تسليم مالي إليك مضاربةً ، فسلَّم إليَّ برنامجات بألف ألف درهم .

وقال لي : ابسط يدك فيه ولا تعلم مكاناً ينفق فيه المتاع إلا حملته إليه ، ولم

يزل يتردد إلي سنة بعد سنة يحمل إلي مثل هذا ، والبضاعة تنمي .

ثم قال : أنا كثير الأسفار في البحر ، فإن هلكتُ ، فهذا المالُ لك على أن تصدق منه ، وتبني المساجد ، فأنا أفعل مثل هذا ، وقد ثمر الله المال في يدي ، فاكتم عليَّ ما عشت » .

وذكر شبيهاً بهذا السبكي في طبقات الشافعية (٢/ ٢٢٣)

٢٣٩ ـ استصلحوا إخاءنا بإصلاح إخائكم :

جاء في نفح الطيب بغصن الأندلس الرطيب (٤/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦) ما نصه :

« أرسل المعتمد بن عباد مع الوفد الذي بعث به إلى ابن تاشفين رسالة جاء فيها :

أما بعد ، فإنك إن أعرضت عنا نُسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز ، وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهن ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا ، فاختر لنفسك أكرم نسبتيك ، فإنك بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمة ، وإني في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت ، والسلام » .

وكان في رد ابن تاشفين :

« بسم الله الرحمن الرحيم، من يوسف بن تاشفين، سلام عليكم ورحمة الله تعالىٰ وبركاته

تحية من سالمكم وسلم عليكم، وإنكم بما في أيديكم من الملك في أوسع إباحة، مخصوصين منا بأكرم إيثار وسماحة، فاستديموا وفاءنا بوفائكم، واستصلحوا إخاءنا بإصلاح إخائكم، والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام».

٢٤٠ ـ ما ههنا سلطان يأمر وينهي :

جاء في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٨/ ١١٠) في أحداث سنة ٤٦٣ هـ وهو يصف ما سبق معركة ملاذ كرد وحالة السلطان ألب أرسلان ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال ابن الأثير :

لما كانت تلك الساعة من يوم الجمعة ، صلى ألب أرسلان وبكى ، فبكى الناس لبكائه ، ودعا ودعوا معه ، وقال لهم : من أراد الانصراف فلينصرف ، **فما ههنا سلطان يأمر وينهى** .

وألقى القوس والنشاب ، وأخذ السيف والدبوس ـ الرمح ـ وعقد ذنب فرسه بيده ، وفعل عسكره مثله ، ولبس البياض وتحنط ، وقال :

إن قتلت فهذا كفني ، وزحف إلى الروم وزحفوا إليه . فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه بالتراب ، وبكى وأكثر الدعاء ، ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه ، فحصل المسلمون في وسطهم ، وأنزل الله نصره عليهم ، فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يُحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأُسر ملك الروم » .

٢٤١ ـ الحمد لله الذي سلمه منا ، وسلمنا منه :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٦/٥٠٩ ـ ٥١٠) في ترجمة الشيخ الإمام ، الواعظ الكبير المحدث ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عَنْبَس البغدادي ، شيخ زمانه ببغداد المعروف بابن سمعون ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي الثناء شكر العضدي قال :

لما دخل عضد الدولة بغداد وقد هلك أهلها قتلاً وخوفاً وجوعاً للفتن التي اتصلت بين السنة والشيعة فقال : آفة هؤلاء القصاص ، فمنعهم ، وقال : من خالف أباح دمه ، فعرف ابن سمعون ، فجلس على كرسيه ، فأمرني مولاي ، فأحضرته . فدخل رجل عليه نور .

قال شكر : فجلس إلى جنبي غير مكترث فقلتُ : إن هذا الملك جبارٌ عظيم ، ما أوثر لك مخافته ، وإني موصلك إليه ، فقبل الأرض وتلطف له واستعن بالله عليه ، فقال : الخلق والأمر لله .

فمضيتُ به إلى حجرة قد جلس فيها الملك وحده ، فأوقفته ثم دخلت

أستأذن ، فإذا هو إلى جانبي ، وحول وجهه إلى دار عز الدولة ثم تلا .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢] ثم حول وجهه وقرأ : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤] ثم أخذ في وعظه ، فأتى بالعجب ، فدمعت عين الملك ، وما رأيتُه ذلك منه قط ، وشرك كمه على وجهه ، فلمّا خرج أبو الحسين ـ رحمه الله ، قال الملك : اذهب إليه بثلاثة آلاف درهم وعشرة أثواب من الخزانة فإن امتنع فقل له : فرِّقها في أصحابك ، وإن قَبِلَها فجئني برأسه ، ففعلت .

فقال : إن ثيابي هذه قد فُصِّلت من نحو أربعين سنة ألبسها يومَ خروجي وأطويها عند رجوعي ، وفيها متعةٌ وبقيةٌ ، ونفقتي من أجرة دارٍ خلفها أبي ، فما أصنع بهذا ؟

قلت : فرِّقها على أصحابك . قال : ما في أصحابي فقير . فعدتُ فأخبرته ، فقال : الحمدُ لله الذي سلَّمه منّا وسلمنا منه » .

٢٤٢ ـ بيني وبين الله علامة :

جاء في طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٣٨) في ترجمة الإمام العابد القدوة أستاذ العارفين في زمانه الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله البغدادي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن الجنيد رحمه الله قال :

كان الحارث كثير الضر ، فاجتاز بي يوماً وأنا جالس على بابنا ، فرأيت على وجهه زيادة الضر من الجوع .

فقلت له : يا عم ، لو دخلتَ إلينا نلت من شيء من عندنا ، وعمدت إلى بيت عمي ، وكان أوسع من بيتنا لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا سريعاً ، فجئت بأنواع كثيرة من الطعام ، فوضعته بين يديه ، فمد يده فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه ، فرأيته يعلكها ولا يزدردها ، ثم وثب وخرج

وما كلمني ، فلما كان الغد لقيته فقلت له :

يا عم سررتني ثم نغَّصت عليَّ !

قال : يا بني أما الفاقة فكانت شديدة ، وقد اجتهدت في أن أنال من الطعام الذي قدمته إليَّ ، ولكن بيني وبين الله علامة ، إذا لم تكن الطعام مرضياً ارتفع إلى أنفي منه زفرة فلم تقبله نفسي ، فقد رميت بتلك اللقمة في دهليزكم » .

٢٤٣ ـ هذا رجل يحاربنا بالله ، لا حاجة لنا بهم :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٢١٨) في ترجمة الإمام الفقيه عيسى بن مسكين بن منصور الإفريقي ـ رحمه الله ـ أحد أصحاب سحنون ما نصه :

« بينما عيسى يوماً بجامع رقادة ، إذ سمع صياح قوم ، بالله ثم به .

فقال لمن حوله : انظروا من هؤلاء ؟

قالوا : نهب تونس ، فأمر بإمساكهم ، فشكاه الذي نهبهم إلى الأمير ، ابراهيم ـ يعني ابن الأغلب ـ فأرسل إليه في إطلاقهم .

فقال لكاتبه : اكتب إليه : « ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار » إلى قوله « بصير بالعباد »

فلما قرأها ، قال :

هذا رجل يحاربنا بالله ، لا حاجة لنا بهم ، اتركوهم » .

٢٤٤ ـ تركتك لتكون أفضل ثواباً :

جاء في المنهج الأحمد (١/ ٧٩) في ترجمة الإمام خالد بن خداش بن عجلان ، أبو الهيثم المهلبي المتوفى سنة ٢٢٣ هـ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ما نصه :

« قال محمد بن المثنى :

انصرفت مع بشر بن الحارث في يوم أضحى من المصلى ، فلقي خالد بن خداش المحدث ، فسلَّم عليه ، فقصر بشر في ردِّ السلام ،

فقال خالد : بيني وبينك مودة من أكثر من ستين سنة ما تغيرت عليك ، فما هذا التغيير ؟

فقال بشر : ما هنا تغيير ولا تقصير ، ولكن هذا يوم تستحبُّ فيه الهدايا . وما عندي من عرض الدنيا شيء أهدي لك ، وقد روي في الحديث أن المسلِمَيْن إذا التقيا كان أكثرهما ثواباً أبشهما لصاحبه ، فتركتك لتكون أفضل ثواباً » .

٢٤٥ ـ ما أوثر على ثواب طلب العلم شيئاً :

جاء في تذكرة الحفاظ (٣/ ١١١٩) في ترجمة الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة ، أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد ، الوائلي البكري السجستاني شيخ الحرم ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ما نصه :

« قال محمد بن طاهر :

سألت الحافظ أبا إسحاق الحبال عن أبي نصر السجزي ، وأبي عبد الله الصوري ، أيهما أحفظ ؟

فقال : كان السجزي أحفظ من خمسين مثل الصوري . ثم قال : كنت يوماً عند أبي نصر السجزي ، فدُقَّ الباب ، فقمت ففتحت ، فدخلت امرأة ، وأخرجت كيساً فيه ألف دينار ، فوضعته بيت يدي الشيخ ، وقالت : أنفقها كما ترى !

قال : ما المقصود ؟

قالت : تتزوجني ولا حاجة لي في الزوج ، ولكن لأخدمك ، فأمرها بأخذ الكيس ، وأن تنصرف ، فلما انصرفت ، قال : خرجتُ من سجستان بنية طلب العلم ، ومتى تزوجت ، سقط عني هذا الاسم ، **وما أوثر على ثواب طلب العلم شيئاً** » .

٢٤٦ ـ أمنت بفضلِ اللهِ من نُوبِ الدهر :

جاء في تاريخ قضاة الأندلس (١٦٤ـ١٦٥) في ترجمة القاضي أبي البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خَلَف السُّلميُّ ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« ومن كلامه ـ رحمه الله :

من اقتصر على التعييش من مرافق الملوك ، ضاع هو ومن له ، وشمله القلُّ ، وخامره الذلُّ ، اللهم ! إلاَّ من القوة بالله قد بلغ من الزهد إلى الحدِّ الذي يكسبه الراحة بالخروج عن متاعها ، وترك شهوتها ، قليلها وكثيرها ، مالِها وجاهِها ، بأمرٍ آخر ! ومن لنا بالعون على تحصيل هذا المقام ، ولاسيما في هذا الزمان ، ولم نسمع ممن قاربه من الولاة المتقدمين بالأندلس إلا ما حُكِيَ عن إبراهيم بن أسلم ، وقد أراد الحكم المستنصر بالله رياضته ، فقطع عنه جرايته ؛ فكتب إليه عند ذلك :

تَـزيـدُ على الإقـلالِ نفْسي نَـزَاهـةً   وتأنَسُ بالبَلْوى وتَقوى مع الفَقْرِ
فَمَنْ كانَ يخشى صرفَ دَهرٍ فإنني   أَمِنتُ بِفَضلِ اللهِ مِنْ نُوبِ الدَّهرِ

فلما قرأ الحكم بيتيه ، أمر بردِّ الجراية ، وحملها إليه ، فأعرض عنها ، وتمنَّع من قبولها ، وقال :

« إني ، والحمد لله ! تحت جراية من إذا أعصيته ، لم يقطع عني جرايته ! فليفعل الأمير ما أحبَّ ! »

فكان الحكم بعد ذلك يقول :

لقد أكسبنا ابن أسلم بمقالته مخزاةً عظم منَّا موقعها ، ولم تسهل علينا المقارضة بها ! » .

٢٤٧ ـ قبحك الله من مال :

جاء في تهذيب الكمال (٣/ ٢٨٩) في ترجمة الصحابي الجليل الأشعث بن قيس أبو محمد الكندي ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن عامر الشعبي :

كان الأشعث بن قيس ، حَلف على يمينٍ ، فأخذ بها مالاً ، فصلى الغداة ، وقد وضع المال في ناحية المسجد .

فقال : قبحك الله من مال ، أما والله ما حلفتُ إلا على حق ، ولكنه رَدّ على صاحبه ، وهو ثلاثون ألفاً ، صدقة مقامي الذي قمتُ » .

٢٤٨ ـ اللهم إني بذلت مجهودي والمنع من غيري :

جاء في طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٥٣ ـ ٥٤) في ترجمة الإمام الحافظ عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني أبو سعيد الدارمي محدث هراة وأحد الأعلام الثقات ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« إن الأمير محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر حبسه بنيسابور مدة ، قال الحاكم أبو عبد الله :

فكان يغتسل كل يوم جمعة ، ويتأهب للخروج إلى الجامع ، ثم يقول للسجان : أتأذن لي في الخروج ؟

فيقول : لا .

فيقول : اللهم إني بذلت مجهودي والمنع من غيري » .

٢٤٩ ـ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٢٢٤) في ترجمة الإمام الفقيه ، عيسى بن مسكين بن منصور الإفريقي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أبو العرب :

حضرت بالساحل ، وقد كلَّفَ إنساناً شراءَ زيت ، فاشترى له من نصراني زيتاً طيب الأصل ، وأخبره أنه زاده فيما اشتراه عشرة أقفزة ، حين علم أنه له ، وذلك بعد صرفه عن القضاء .

فأطرق ملياً ثم رفع رأسه إليه ، فقال : شكر الله سعيه ! لعلك تتم أجمالك بصرف زيته إليه ، وتأتيني بديناري بعينه . وإلا فاترك الزيت له ، وخذ منه ديناراً ، وتصدق به . ففعل ذلك ، ثم اعتذر له عيسى ، لئلا يقع في نفسه شيء ، وقال : خفت حكم الآية قوله تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . . ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

٢٥٠ ـ يا أبا حمزة عطشت أرضنا :

جاء في طبقات ابن سعد (٧/ ١/ ١٣) وابن عساكر في تاريخه (٣/ الورقة ٨٥) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠١) في ترجمة صاحب رسول الله ﷺ وخادمه الإمام القدوة أنس بن مالك الأنصاري البخاري أبو حمزة المدني ـ رضي الله عنه ـ ما نصه :

« عن ثابت البناني :

كنت مع أنس ، فجاء قهرمانُهُ ، فقال : **يا أبا حمزة عطشت أرضُنا** . قال : فقام أنس ، فتوضأ ، وخرج إلى البرية ، فصلى ركعتين ، ثم دعا ، فرأيتُ السَّحاب يلتئم ، قال : ثم مطرت حتى ملأَتْ كل شيء ، فلما سكن المطر ، بعث أنس بعض أهله ، فقال :

انظر أين بلغت السماء ؟

فنظر ، فلم تعد أرضه إلا يسيراً ، وذلك في الصيف » .

٢٥١ ـ لا تقربني يا خائن :

جاء في وفيات الأعيان (١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) في ترجمة القاضي الألمعي الفقيه إياس بن معاوية بن مرة المزني أبو واثلة البصري ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن روح أبي الحسن القيسي ، قال :

استودع رجلٌ رجلاً من أفناء الناس مالاً ، وكان أميناً لإياس ، وخرج المُستودِع إلى مكة ، فلما رجع طلبه ، فجحده ، فأتى إياساً ، وأخبره .

فقال له إياس : أَعلِم أنك أتيتني ؟ قال : لا .

قال : فنازعته عند أحد ؟ قال : لا ، لم يعلم أحد بهذا .

قال : فانصرف واكتم أمرك ، ثم عُد إلي بعد يومين ، فمضى الرجلُ فدعا إياس أمينه ذلك ، فقال :

قد حضر مالٌ كثير أريد أن أُصيرِّه إليك ، أَفَحَصينٌ منزلك ؟ قال : نعم .

قال : فأعِدَّ موضعاً للمال وقوماً يحملونه .

وعاد الرجل إلى إياس فقال له : انطلق إلى صاحبك ، فاطلب مالك ، فإن أعطاك فذاك ، وإن جحدك ، فقل له : إني أخبر القاضي ، فأتى الرجل صاحبه فقال : مالي وإلا أتيت القاضي ، فشكوت إليه ، وأخبرته بأمري ، فدفع إليه ماله ، فرجع الرجل إلى إياس .

فقال : قد أعطاني المال ، وجاء الأمين إلى إياس لموعده ، فزبره وانتهره ، وقال :

لا تقربني يا خائن » . .

٢٥٢ ـ لو صبرت لجاءك إلى الباب :

جاء في المنهج الأحمد (٢/ ٩) في ترجمة الإمام الزاهد العارف علي بن محمد بن بشار أبو الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال ابن عليك الزيات :

أضقت في بعض الأوقات ضيقة شديدة ، جلست في غرفتي مغموماً مفكراً ، فإذا الشيخ ينادي :

يا عبد الله ، وكان من غرفة ابن بشار إلى غرفتي طريق ، قال : فأجبته ، قال : تعالَ ، فمضيت إليه ، فقال : أي شيء هذا الغم الشديد على الدنيا ! أنت مضيق وليس معك شيء ؟ فقلت : نعم .

قال : فمن لم يكن معه شيء يغتم هذا الغم ؟

فقال لي : خذ عليك ما تحتاج إليه ، والبس نعلك ، وامش على الشط إلى أن يلقاك رزقك فخذه ، واذكر الله تعالى .

قال : فبقيت متفكراً في قوله إلا أني لم يمكني مخالفته ، فخرجت أذكر الله ، ولزمت الشط إلى أن وصلت الجسر الفوقاني ، فإذا برجل ينادي : يا عبد الله ، فأجبته ، قال : فدفع لي أربعين درهماً وورقاً .

وقال : انسخ لي كتاباً سماه ، فرجعت ، فلما صعدت ناداني ابن بشار : يا عبد الله ، قلت : لبيك ، قال : أخذت الأربعين درهماً ومن الورق كذاوكذا ، وقال لك : انسخ لي الكتاب الفلاني ؟ قلت : نعم . قال : **لو صبرت لجاءك إلى الباب** » .

٢٥٣ ـ إن كنت صادقاً فأرني فيه آية :

جاء في تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي (٤/ ٧٤ ـ ٧٥) في ترجمة الإمام العابد القدوة بسر بن سعيد المدني الحضرمي ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن الحجاج بن صفوان بن أبي يزيد :

وشى رجلٌ ببسر بن سعيد إلى الوليد بن عبد الملك أنه يطعن على الأمراء ، ويعيب بني مروان ، فأرسل إليه والرجل عنده .

قال : فجيء به والرجلُ تَرْعُدُ فرائصُه ، فأُدخلَ عليه ، فسأله عن ذلك ، فأنكره وقال : ما فعلتُ .

قال : فالتفت إلى الرجل فقال : يا بسر هذا يشهد عليك فنظر إليه بسر وقال : هكذا ؟ فقال : نعم .

فنكس رأسه ، وجعل ينكت في الأرض ، ثم رفع رأسه فقال :

اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله ، **فإن كنت صادقاً ، فأرني به آيةً** .

قال : فانكب الرجل على وجهه ، فلم يزل يضطرب حتى مات » .

٢٥٤ ـ إنما تنقلون من دار إلى دار :

جاء في تهذيب الكمال (٤/ ٢٩٤) في ترجمة الإمام العابد القدوة بلال بن سعد بن تميم الأشعري أبو زرعة ، ويُقال : أبو عمرو الدمشقي القاص ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، سمعت بلال بن سعد يقول : يا أهل الخلود ، يا أهل البقاء ، إنكم لم تخلقوا للفناء ، **وإنما تنقلون من دار إلى دار** ، كما نُقلتم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى الموقف ، ومن الموقف إلى الخلود في الجنة أو النار » .

٢٥٥ ـ إن المُزَينَ ما أخذها فخذها أنت :

جاء في طبقات الشافعية (٢/ ٥٦) في ترجمة الإمام العالم الزاهد عسكر بن الحصين أبو تراب النخشبي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي علي الحسين بن خيران الفقيه قال :

مر أبو تراب النخشبي بمُزَين ، فقال له : تحلق رأسي لله عز وجل .

فقال له : اجلس ، فجلس فبينا هو يحلق رأسه ، مر به أمير من أهل بلده ، فسأل حاشيته فقال لهم : أليس هذا أبا تراب ؟ فقالوا : نعم .

فقال : إيش معكم من الدنانير ؟

فقال له رجل من خاصته : معي خريطة فيها ألف دينار .

فقال : إذا قام فأعطه إياها ، واعتذر إليه وقل له : لم يكن معنا غير هذه . فجاء الغلام إليه وقال له : إن الأمير يقرأ عليك السلام ، وقال لك : ما حضر معنا غير هذه .

فال له : ادفعها إلى المزين .

فقال المزين : إيش أعمل بها ؟

فقال : خذها ، فقال : والله لو أنها ألفا دينار ما أخذتها .

فقال له أبو تراب : سر إليه فقل له :

إن المزين ما أخذها ، فخذها أنت فاصرفها في مهماتك » .

٢٥٦ ـ الرجل منهم يُحيي اللهُ بكلامه الفئام من الناس :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/٣٥٨ ـ ٣٥٩) في ترجمة العارف العابد القدوة أبو يحيى مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول : إن الصدق يبدو في القلب ضعيفاً ، كما يبدو نبات النخلة يبدو غصناً واحداً ، فإذا نتفها صبي ذهب أصلها ، وإن أكلتها عنز ذهب أصلها ، فتسقى فتنتشر ، وتسقى فتنتشر حتى يكون لها أصل أصيل يوطأ ، وظل يستظل به ، وثمرة يؤكل منها ، كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفاً ، فيتفقده صاحبه ويزيده الله تعالى ، ويتفقده صاحبه فيزيده الله حتى يجعله الله بركة على نفسه ، ويكون كلامه دواءاً للخاطئين .

قال : ثم يقول مالك : أما رأيتموهم ؟

ثم يرجع إلى نفسه ، فيقول : بلى ! والله لقد رأيناهم ؛ الحسن وسعيد بن جبير وأشباههم الرجل منهم يحيى الله بكلامه الفئام من الناس » .

٢٥٧ ـ تسألني عن خبر الأرض أو خبر السماء :

جاء في كتاب معرفة القراء الكبار (١/٣٣٧ ـ ٣٣٨) في ترجمة الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو الفضل ، عبد الرحمن بن المحدث أحمد بن الحسن بن بُندار العجليّ ، الرازي ، المكي المولد ، المقرىء ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال الخلاَّل : كان أبو الفضل في طريق ، ومعه خبز وفانيذ ، فأراد قُطَّاع الطرق أخذه منه ، فدفعهم بعصاه ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأنه كان حلالاً ، وربما كنت لا أجد مثله ، ودخل كَرْمان في هيئةٍ رثَّةٍ وعليه أخلاقٌ

وأسمال ، فحمِلَ إلى الملك ، وقالوا : جاسوس . فقال الملكُ : ما الخبر ؟

قال : تسألني عن خبر الأرض أو خبر السماء ؟ فإن كنت تسألني عن خبر السماء فـ ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] ، وإن كنت تسألني عن خبر الأرض فـ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦] .

فتعجب المَلِكُ من كلامِهِ ، وأكرمَهُ ، وعرض عليه مالاً ، فلم يقبله » .

٢٥٨ ـ لا آتيه البتة :

جاء في سير أعلام النبلاء (٢٤٨/١٧ ـ ٢٤٩) في ترجمة الإمام الحافظ المحدث ، شيخ خراسان محمد بن الحسين الأزدي السلمي ، أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي ، صاحب التصانيف ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

قال السلمي : ورأينا في طريق همذان أميراً ، فاجتمعتُ به ، فقال : لا بدَّ من كتابة « حقائق التفسير » فنسخ له في يوم ، فُرِّقَ على خمسةٍ وثمانين ناسخاً ، ففرغوه إلى العصر ، وأمر لي بفرس جواد ومئة دينار وثياب كثيرة .

فقلت : قد نغَّصتَ عليَّ وأفزعتني وأفزعتَ الحاجَّ ، وقد نهى النبي ﷺ عن ترويع المسلم ، فإن أردتَ أن يبارك الله لك في الكتاب ، فاقض لي حاجتي .

قال : وما هي ؟ قلت : أن تعفيني من هذه الصلة ، فإني لا أقبل ذلك .

فَفَرَّقها في نُقَباء الرفقة ، وبعث من خفَّرنا ، وكان الأمير نصر بن سُبُكْتِكِين صاحب الجيش عالماً ، فلما رأى ذلك التفسير ، أعجبه ، وأمر بنسخه في عشر مجلدات ، وكِتْبةِ الآيات بماء الذهب ، ثم قالوا : تأتي حتى يسمع الأمير الكتاب .

فقلت : لا آتيه البتة ، ثم جاؤوا خلفي إلى الخانقاه ، فاختفيت ، ثم بعث بالمجلد الأول ، وكتبت له بالإجازة » .

٢٥٩ ـ سلطان جائر سبعين سنة ، خير من أمة سائبة ساعة من نهار :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤٩٣) في ترجمة الإمام الفقيه قرعوس بن العباس بن قوعوس بن حميد الثقفي أبو الفضل القرطبي الأندلسي المتوفى سنة ٢٢٠ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« كان ممن اتُهم بالهيج والقيام بالربض على السلطان ، فسيق فيمن سيق ملبباً ، ووقف به تحت النطع ، وكلمه فتى على لسان الأمير ، وقال له :

مثلك من أهل الديانة والأمانة في العلم ، يتابع السفلة . فلو نفذ لهم أمركم كان يهتك من الستور ويستحل من الفروج ، إلى أن يقوم إمام يريح الناس .

فقال : معاذ الله أن أفعل وأن أقع في مثل هذا ، بيدٍ أو لسانٍ ، فقد سمعت مالكاً والثوري يقولان :

سلطان جائر سبعين سنة ، خير من أمة سائبة ساعة من نهار .

فقال له الحكم : أنت سمعت هذا منهما ؟

قال : لقد سمعته منهما ، فخلى سبيله » .

٢٦٠ ـ لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب (١٤/ ١٥) والوفيات لابن خلكان (٢/ ٢٢٨) في ترجمة الإمام الأديب النحوي إمام الكوفيين في النحو يحيى بن زياد الفرَّاء الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« كان الخليفة المأمون قد وكَّل الفَرَّاء يُلَقِّنُ ابنيه النحو ، فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه ، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانها له ، فتنازعا أيهما يقدمها ، ثم اصطلحا على أن يقدم كلٌّ واحد منهما فردة ، فقدماها .

وكان المأمون له على كل شيء صاحبُ خبر ـ أي رجل يأتيه بالأخبار ـ فرفع إليه ذلك الخبر ، فوجَّه إلى الفراء فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال له :

من أعز الناس ؟ قال : ما أعرف أحداً أعز من أمير المؤمنين .

قال : بلى ، مَنْ إذا نهض تقاتَلَ على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى رضي كل منهما أن يقدم له فردة .

قال : يا أمير المؤمنين ، لقد أردت منعهما من ذلك ، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مَكْرُمَةٍ سُبقا إليها ، وأكسر نفوسهما عن شريفةٍ حرصا عليها ، وقد رُوِيَ عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهما ركابيهما حتى خرجا من عنده ، فقال له بعضُ من حضر : أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسنُّ منهما ؟ فقال له : اسكت يا جاهل ، **لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل** .

فقال له المأمون : لو منعتهما عن ذلك لأوجعتُكَ لوماً وعتباً ، وألزمتُك ذنباً ، وما وَضَع ما فعلاه من شرفهما ، بل رفع من قدرهما ، وبين عن جوهرهما ، ولقد ثَبَتَتْ لي مخيلة الفراسة بفعلهما ، فليس يكبرُ الرجل ـ وإن كان كبيراً ـ عن ثلاث : عن تواضعه لسلطانه ، ووالده ، ومُعلِّمه العلم ، وقد عوَّضتُهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حُسنِ أدبك لهما» .

٢٦١ ـ لا تسألوا عما جرى عليَّ اليوم :

جاء في معجم الأدباء لياقوت (٤/ ٥١) في ترجمة القاضي أحمد بن علي بن إبراهيم الغَسَّاني ، الأُسواني المصري ، أبي الحُسين أو أبي الحسن الملقب بالرشيد ، المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ـ رحمه الله ـ الذي كان على جلالته وفضله ومنزلته من العلم قبيح المنظر ، أسود الجلدة ، جهم الوجه ، سميح الخِلقة ـ أي بشعها ـ ، ذا شفة غليظة وأنفٍ مبسوطٍ كخلقة الزنوج ، قصيراً ، ما نصه :

« قال ياقوت : حدثني الشريف أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العزيز الإدريسي الحَسَنيُّ الصعيديُّ ، عن أبيه ، قال :

كنت أنا والرشيد بن الزُّبَيْر والفقيه سُليمان الدَّيلمي نجتمع بالقاهرة في منزلٍ واحدٍ ، فغاب عنا الرشيدُ ، وطال انتظارنا له ، وكان ذلك في عنفوان شبابه ، وإبان صباه ، وهُبوب صباه ، فجاءنا وقد مضى معظمُ النهار ، فقلنا له : ما أبطأ بك عنا ؟ فتبسَّم وقال : **لا تسألوا عما جرى عليَّ اليوم** .

فقلنا : لابد من ذلك ، فتمنَّع ، وألححنا عليه فقال : مررت اليوم بالموضع الفلاني ، وإذا امرأة شابة صبيحةُ الوجه ، وضيئة المنظر ، حُسَّانَةُ الخَلْق - أي بالغة الحسن جداً - ظريفة الشمائل ، فلما رأتني ، نظرت إلي نظَرَ مُطمعٍ لي في نفسه ، فتوهَّمتُ أنني وقعت منها بموقع ، ونسيت نفسي !!

وأشارت إلي بطرفها ، فتبعتها وهي تدخل في سكة وتخرج من أخرى ، حتى دخلت داراً ، وأشارت إلي فدخلت ، ورفَعت النِّقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه ، ثم صفَّقت بيدها مناديةً : يا ست الدار ، فنزلت إليها طفلة كأنها فِلقة قمر ، وقالت لها :

إن رجعت تبولين في الفراش ، تركت سيدنا القاضي يأكُلك .

ثم التفتت إلي وقالت : لا أعدمني الله فضل سيدنا القاضي ، أدام الله عزَّهُ ، فخرجتُ وأنا خَزْيانُ خَجِلٌ لا أهتدي إلى الطريق ! » .

٢٦٢٠ - استحييت من الله أن أسأل أمر الدنيا وأدع أمر الدين :

جاء في طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ١٣٠) في ترجمة الإمام الحافظ المحدث ، محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو العباس السراج الثقفي ، مولاهم النيسابوري ، محدث خراسان ومسندها ، المتوفى سنة ٣١٣ هـ - رحمه الله تعالى - ما نصه :

« قال أبو زكريا العنبري ، سمعت أبا عمرو الخفاف يقول للسراج لو دخلتَ على الأمير ونصحته .

قال : فجاء وعنده أبو عمرو فقال : هذا شيخنا وأكبرنا ، وقد حضر لينتفع الأمير بكلامه .

فقال السراج : أيها الأمير إن الإقامة كانت فرادى ، وهي كذا بالحرمين ، وأما في جامعنا فصارت مثنى مثنى ، وإن الدين خرج من الحرمين ، فإن رأيت أن تأمر بالإفراد .

قال : فخجل الأمير وأبو عمرو والجماعة ، إذ كانوا قصدوه في أمر البلد ، فلما خرج عاتبوه ، فقال :

استحييت من الله أن أسأل أمر الدنيا وأدع أمر الدين » .

٢٦٣ ـ اصدق والق من شئت :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣١٦ ـ ٣١٧) في ترجمة علي بن هلال ابن البواب البغدادي أبو الحسن ، مولى معاوية بن أبي سفيان ، وكان دهاناً يجيد التزويق ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال أبو علي ابنُ البناء : حكى لي أبو طاهر بن الغباري أن أبا الحسن بن البواب أخبره :

أن ابن سهلان استدعاه ، فأبى ، وتكرر ذلك ، قال : فمضيت إلى أبي الحسن ابن القزويني ، وقلت : ما ينطقه الله به أفعله .

فلما دخلت ، قال : يا أبا الحسن : اصدُق والقَ من شِئْتَ .

فعدتُ ، فإذا على بابي رُسُل الوزير ، فمضيتُ معهم ، فلما دخلتُ ، قال : ما أخَّرك عنا ؟ فاعتذرت ، ثم قال : رأيتُ مناماً ، فقلت ، مذهبي تعبير المنام من القرآن . فقال : رضيتُ . قال : رأيت كأن الشمس والقمر قد اجتمعا وسقطا في حَجْري .

قال : وعنده فرح بذلك : كيف يجتمع له المُلْكُ والوزارة ؟

قلت : قال الله تعالى ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ٩ـ١١] وكررت عليه هذا ثلاثاً .

قال : فدخل إلى حُجرة النساء ، وذهبتُ ، فلما كان بعد ثلاث ، انحدر إلى واسط على أقبحِ حالٍ ، وكان قتله هناك » .

ابن سهلان : هو الحسن بن الفضل بن سهلان ، أبو محمد ، وزير سلطان الدولة ، مات في الحبس سنة ٤١٤ هـ .

٢٦٤ ـ اللهم عافني لأغزوَهم، ثم توفني إن شئت :

جاء في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٩/ ٢٩٧) وتاريخ ابن خلدون (٤/ ٣٩١ ـ ٣٩٢) في ترجمة طغان خان التركي ، صاحب تركستان ، كان ديناً عادلاً ، بطلاً شجاعاً المتوفى سنة ثمان وأربع مئة ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قصدته جيوش الصين والخطا ، في جمعٍ ما سمع بمثله حتى قيل : كانوا ثلاث مئة ألف .

وكان مريضاً فقال : **اللهم عافِني لأَغزُوهم ، ثم تَوَفَّني إن شئت** .

فعوفي ، وجمع عساكره ، وساق ، فبيتهم ، وقتل منهم نحو مئتي ألف ، وأسر مئة ألف ، وكانت ملحمة مشهودة في سنة ثمان وأربع مئة ، ورجع بغنائم لا تحصى إلى بلاساغون ، فتوفاه الله عقيب وصوله » .

الخطا : يطلق على بلاد متاخمة للصين يسكنها جنس من الترك ، أسسوا دولتهم في القرن السادس الهجري ، وكانت بينهم وبين المسلمين حروب طويلة .

بلاساغون : قال ياقوت : بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر .

٢٦٥ ـ كرهت أن أخالفكما فندخل إخواناً ونخرج أعداءً :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٦١٤) في ترجمة الإمام العلامة ، فقيه المغرب ، أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخي ، الحمصي الأصل ، المغربي القيرواني المالكي ، قاضي القيروان والملقب بسحنون ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« أرسل أسد بن الفرات وهو قاض إلى سحنون ، وعون وابن رشيد ،

وموسى الصمادحي ، فسألهم عن مسألة في الأحكام ، فأجاب فيها ابن رشيد وعون ، وأبى فيها سحنون عن الجواب .

فلما أخرجوا عَذَلاه في تركه . فقال لهما : منعني أنكما بدرتما بالجواب فأخطأتما ، **وكرهت أن أخالفكما فندخل عليه إخواناً ونخرج أعداءً** ، وبين لهما وجه خطئهما ، فجزياه خيراً ، واعترفا ، ورجعا إلى أسد ، فأخبراه برجوعهما » .

٢٦٦ ـ هل ترك لأحدٍ موضعاً يقعُدُ فيه :

جاء في كتاب تاريخ بغداد (٧/ ٧٢ ـ ٧٣) في ترجمة الإمام الزاهد العابد ، المحدث الفقيه ، الجبل الثقة الرضا ، عديم النظير في عصره ، أبو نصر بشْر بن الحارث بن عبد الرحمن المَرْوَزي ثم البغدادي المشهور باسم (بشر الحافي) ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال محمد بن المثنى : قلت لأحمد بن حنبل :

ما تقول في هذا الرجل ؟ فقال لي : أي الرجال ؟ فقلت له : بشر ، فقال لي : سألتني عن رابع سبعة من الأبدال ، أو عامر بن عبد قيس ، ما مثله عندي إلاّ مثل رجل ركز رمحاً في الأرض ، ثم قعد منه على السنان ، **فهل ترك لأحد موضعاً يقعُدُ فيه** » .

٢٦٧ ـ مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري :

جاء في طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٠٣) في ترجمة حجة الإسلام الإمام العلامة الفقيه محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال الإمام أسعد المِيهَني : سمعت الغزالي يقول :

قُطعَتْ علينا الطريقُ ، وأخذ العَيَّارون جميع ما معي ومضوا ، فتبعتهم فالتفت إليَّ مُقَدِّمهم وقال : ارجع ويحك ، وإلا هلكت .

فقلتُ له : أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن تَرُدَّ عليَّ تعليقتي فقط ، فما هي بشيء تنتفعون به .

فقال لي : وما هي تعليقتك ؟ فقلت : كُتُبٌ في تلك المخلاة ، هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها .

فضحك وقال : كيف تدَّعي أنك عرفت علمها ؟ وقد أخذناها منك فتجرَّدت من معرفتها وبقيت بلا علم ! ثم أمر بعضَ أصحابه فسلَّمَ إلي المخلاة .

قال الغزالي : هذا مُستنطقٌ أنطقه الله ليرشدني به في أمري ، فلما وافيت طُوسَ أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين ، حتى حفظتُ جميع ما علَّقته ، وصرتُ بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرَّد من علمي » .

العيارون : جمع عيار وهو النشيط في المعاصي وقاطع الطريق .

٢٦٨ ـ خير خصال الرجال :

جاء في تهذيب الكمال (٣/ ٤١٣) في ترجمة الإمام الفقيه البارع القاضي إياسُ بن معاوية بن قرة المزني ، أبو وائلة البصري ـ رحمه الله تعالى ـ المتوفى سنة ١٢٢ هـ ما نصه :

« عن الأصمعي : قال إياس بن معاوية :

امتحنت خصال الرجال ، فوجدت أشرفها صدق اللسان ، ومن عُدم فضيلة الصدق ، فقد فُجع بأكرم أخلاقه » .

٢٦٩ ـ لا يُفتي الناس إلا عطاء :

جاء في تهذيب التهذيب (٧/ ٢٠٠) في ترجمة الإمام شيخ الإسلام ، القدوة ، العَلَم ، مفتي الحرم ، عطاء بن أبي رباح أبو محمد المكي مولاهم القرشي المتوفى سنة ١١٥ هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال ابن سعد :

كان من مولَّدي الجَنَد ـ بلدة باليمن ـ ونشأ بمكة ، سمعت بعض أهل العلم يقول :

كان عطاءُ أسود ، أعوَدَ ، أفطسَ ، أَشَلَّ ، أعرجَ ، ثم عميَ بعدُ ـ ستة عيوب فقط ! ـ وكان ثقةً ، فقيهاً ، عالماً ، كثير الحديث ، وقُطعتْ يده مع ابن الزبير في حرب الحجاج ، وكان في زمن بني أمية يصيحُ المنادي في مكة أيام الحج :

لا يُفتي الناس إلا عطاء ، وكان المسجد فراش عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس صلاةً » .

٢٧٠ ـ لا تلمني ، فان هذه لي ثلاثة أيام لم أذُق فيها ذواقاً :

جاء في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧٢) في ترجمة إمام أهل الفقه والحديث ، وسيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، الإمام القدوة العابد الزاهد سفيان بن سعيد الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أبو شهاب الحناط : بعثت أخت سفيان الثوري معي بجراب إلى سفيان وهو بمكة ، فيه كعك وخشكنانج فقدمتُ مكة ، فسألت عن سفيان ، فقيل لي : إنه ربما يقعد دُبُرَ الكعبة مما يلي باب الحناطين .

قال أبو شهاب : فأتيته هناك ـ وكان لي صديقاً ـ فوجدته مستلقياً ، فسلمت عليه ، فلم يسائلني تلك المساءلة ولم يُسلم عليَّ كما كنت أعرف منه ، فقلت له : إن أختك بعثت إليك معي بجراب فيه كعك وخشكناج .

قال : فعجِّل به عليَّ ، واستوى جالساً !

فقلت : يا أبا عبد الله ، أتيتك وأنا صديقك ، فسلمتُ عليك فلم تردَّ عليَّ ذلك الرد ، فلما أخبرتك أني أتيتك بجراب كعك ، لا يساوي شيئاً جلست وكلمتني ؟ !

فقال : يا أبا شهاب ، **لا تلمني ، فإن هذه لي ثلاثة أيام لم أذق فيها ذواقاً !**

قال أبو شهاب : فعذرته » .

خشكنانج : الأرغفة الصغيرة اليابسة .

٢٧١ ـ خذ خذ ، لا أحتاج إليه :

جاء في تذكرة الحفاظ (٢/ ٥١٠) وتهذيب التهذيب (٩/ ١٦١) وتهذيب الكمال (/) في ترجمة الحافظ القدوة محمد بن رافع النيسابوري المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال زكريا بن دلُوية : بعث الأمير طاهر بن عبد الله الخزاعي إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسولٍ له ، فدخل عليه بعد صلاة العصر ، وهو يأكل الخبز مع الفِجل ! فوضع الكيس بين يديه ، وقال : بعثَ الأمير طاهر بهذا المال لتنفقه على أهلك .

فقال له محمد بن رافع : خُذْ خُذْ ، لا أحتاج إليه ، فإن الشمس قد بلغت رأس الحيطان ، إنما تغرب بعد ساعة ، قد جاوزت الثمانين ، إلى متى أعيش ؟

فرد المال ولم يقبله ، فأخذ الرسول المالَ وذهب ، فدخل على محمد بن رافع ابنهُ فقال له :

يا أبه ليس لنا خبزٌ الليلة ! وكان محمد بن رافع يخرجُ إلينا في الشتاء الشاتي ، وقد لبس لحافه الذي يلبسه بالليل ! » .

٢٧٢ ـ رجعت إلى نفسي فإذا هي ساكنة :

جاء في طبقات الشافعية (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) في ترجمة الإمام الجليل شيخ المشايخ ذو القدم الراسخ في العلم والدين محمد بن خفيف بن اسفكشاد أبو عبد الله الشيرازي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن ابن خفيف :

تهت في البادية حتى سقط لي ثمانية أسنان وانتثر شعري ، ثم وقعت إلى

فيد ، وأقمت بها حتى تماثلت ، وحججت ، ثم زرت القدس، فنمت إلى جانب دكان صباغ ، وبات معي في المسجد رجل ، فنام فكان يدخل ويخرج إلى الصباح .

فلما أصبحنا ، صاح الناس وقالوا : نُقب دكان الصباغ وسرقت ، فجروني وضربوني .

وقالوا : تكلم ، فاعتقدت التسليم فكانوا يغتاظون من سكوتي فحملوني إلى دكان الصباغ ، وكان أثر رجل اللص في الرماد .

فقالوا : ضع رجلك فيه ، فوضعت فكان على قدر رجلي ، فزادهم غيظاً ، وجاء الأمير ونُصب القدر ، وفيها الزيت يغلي ، وأُحضرت السكين ومن يقطع اليد .

فرجعت إلى نفسي فإذا هي ساكنة ، فقلت : إن أرادوا قطع يدي سألتهم أن يعفوا يميني لأكتب بها .

فبقي الأمير يهددني ويصول ، فنظرت إليه فعرفته وكان مملوكاً لوالدي ، فكلمني بالعربية وكلمته بالفارسية ، فنظر إلي وقال : أبو الحسين ، وكنت أُكنى بها في صباي .

فضحكت ، فعرفني ، فأخذ يلطم رأسه ووجهه ، واشتغل الناس به ، وإذا بضجة عظيمة وأن اللص قد مسك ، ثم أخذ الأمير يبالغ في الاعتذار ، وجهدني أن أقبل شيئاً فأبيت وهربت » .

٢٧٣ ـ اللهم إن كنت استجبت لنا فعرفنا بركة ذلك :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٢٦٦) في ترجمة الإمام الفقيه أبي الأحوص أحمد بن عبد الله المالكي أحد أصحاب سحنون ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« قال ابن اللباد : ذكر أبو العدل ، قال :

كنت بمدينة سوسة مرابطاً ، فبلغني أن سعيداً الضرير قدم ، فتوجهت إليه مع أبي الأحوص ، أُسلِّم عليه ، فوجدنا عنده ناساً ، وذلك بعد العصر ،

فدعا وقرأ ، ثم افترقنا بعد المغرب ، وكان وقت قحط ومصيف ، وحاجة الناس إلى الماء ، وقد فرغت مواجلهم .

فوقف أبو الأحوص في بعض الطريق ، فوقفنا لوقوفه . فقال :

اللهم إن كنت استجبت لنا في مجلسنا ، فعرفنا بركة ذلك ، بأن تسقينا الغيث .

فما دخلنا المسجد إلا ونحن نخوض الماء من المطر » .

٢٧٤ ـ يا مسعود ، اعدل ، وادع لي :

جاء في سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٦٢) ومرآة الزمان لسبط الجوزي (٨/ ١٣٢) في ترجمة الشيخ الصادق الزاهد القدوة ، بركة المسلمين ، أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن أحمد ، المعروف بابن الطلاية ، الكاغدي البغدادي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أبو المظفر ابن الجوزي : سمعت مشايخ الحربية يحكون عن آبائهم وأجدادهم أن السلطان مسعوداً لما أتى بغداد ، كان يحب زيارة العلماء والصالحين ، فالتمس حضور ابن الطلاية ، فقال للرسول : أنا في هذا المسجد أنتظر داعي الله في النهار خمس مرات .

فذهب الرسول ، فقال السلطان : أنا أولى بالمشي إليه ، فزاره ، فرآه يصلي الضُحى ، وكان يطولها يصليها بثمانية أجزاء ، فصلى معه بعضها .

فقال له الخادم : السلطان قائم على رأسك .

فقال : أين مسعود ؟ قال : ها أنا .

قال : **يا مسعود ، اعدل ، وادع لي** ، الله أكبر . ثم دخل في الصلاة .

فبكى السلطان ، وكتب ورقة بخطه بإزالة المكوس والضرائب ، وتاب توبة صادقة » .

٢٧٥ ـ هو ذا يوم عزاء ، لا يوم هناء :

جاء في كتاب المنتظم لابن الجوزي (١٠/١٩٨) في ترجمة الإمام القدوة العابد الواعظ ، أبو عبد الله ، محمد بن يحيى بن علي القرشي اليمني الزُبيدي ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة ٥٥٥ هـ ما نصه :

« قال ابن الجوزي : كان يقول الحق وإن كان مُرّاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

قيل : دخل على الوزير الزَّينبي وعليه خِلعةُ الوزارة ، وهم يهنئونه ، فقال :

هو ذا يوم عزاء لا يوم هناء .

فقيل : ولم ؟ قال : أهنىءُ على لبس الحرير ؟ ! » .

٢٧٦ ـ الدين دينك ، والجند جندك :

جاء في مرآة الزمان لسبط الجوزي (٨/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) في ترجمة صاحب الشام ، الملك العادل ، نور الدين ، ناصر أمير المؤمنين ، تقي الملوك ، ليث الإسلام ، أبو القاسم محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد زنكي التركي السلطاني الملكشاهي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال سبط الجوزي : حكى لي نجم الدين بنُ سلام عن والده : أن الفرنج لما نزلت على دمياط ، ما زال نور الدين عشرين يوماً يصوم ، ولا يفطر إلا على الماء ، فضعف وكاد يتلف ، وكان مهيباً ، ما يجسر أحدٌ يخاطبه في ذلك .

فقال إمامه يحيى : إنه رأى النبي ﷺ في النوم يقول : يا يحيى ، بشِّرْ نور الدِّين برحيل الفرنج عن دمياط . فقلتُ : يا رسول الله ، ربما لا يصدقني .

فقال : قُل له : بعلامة يوم حارم . وانتبه يحيى ، فلما صلَّى نور الدين الصبح ، وشرع يدعو ، هابه يحيى .

فقال له : يا يحيى ، تحدثني أو أحدثك ؟ فارتعد يحيى ، وخرس ،

فقال : أنا أحدثك ، رأيت النبي ﷺ هذه الليلة ، وقال لك كذا وكذا .

قال : نعم ، فبالله يا مولانا ، ما معنى قوله : بعلامة يوم حارم ؟

فقال : يوم التقينا العدو ، خفت على الإسلام ، فانفردت ونزلت ، ومرّغتُ وجهي على التراب .

وقلت : يا سيدي مَنْ محمود في البين ، الدِّيْنُ دينُك ، والجند جندك ، وهذا اليوم افعلْ ما يليقُ بكرمك .

قال : فنصرنا الله عليهم » .

٢٧٧ ـ كل من عندك :

جاء في تهذيب الكمال للحافظ المزي (٥/ ٣٩٠) في ترجمة الإمام العابد الزاهد حبيب بن محمد العجمي أبو محمد البصري أحد الزهاد المشهورين الموصوفين بالزهد والورع والكرامات واستجابة الدعاء ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي جعفر السائح ، قال :

كان حبيب رجلاً تاجراً يعير الدراهم ، فمر ذات يوم بصبيان يلعبون ، فقال بعضهم :

قد جاء آكل الربا ! فنكس رأسه ، وقال :

يا رب أفشيت سري إلى الصبيان ، فرجع فلبس مدرعة من شَعرٍ وغلَّ يده ، ووضع ماله بين يديه ، وجعل يقول :

يا رب إني اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني .

فلما أصبح تصدق بالمال كله ، وأخذ في العبادة فلم يُرَ إلا صائماً ، أو قائماً ، أو ذاكراً ، أو مصلياً .

فمر ذات يوم بأولئك الصبيان الذين كانوا عيرّوه بأكل الربا ، فلما نظروا إليه ، قال بعضهم :

اسكتوا ، فقد جاء حبيب العابد .

فبكى وقال : يا رب أنت تذم مرة وتحمد مرة فكلٌّ من عندك » .

٢٧٨ ـ ما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أظهرناه :

جاء في حلية الأولياء (٣/ ١٩٣) وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) وتهذيب الكمال (٤/ ٨٦) في ترجمة الإمام الصادق القدوة أحد الأعلام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو عبد الله المدني الصادق ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن سفيان الثوري قال :

دخلت على جعفر بن محمد وعليه جُبَّة خز دكناء وكساء خز أندجاني ، فجعلت أنظر إليه تعجباً .

فقال لي : يا ثوري ، مالك تنظر إلينا لعلك تعجب مما ترى .

قال : قلت : يا ابن رسول الله ، ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك .

فقال لي : يا ثوري ، كان ذلك زماناً مُقتراً مُقفراً ، وكانوا يعملون على قدر إقتاره وإقفاره ، وهذا زمان قد أسبل كل شيء فيه عزاليه، ثم حَسَرَ عن رُدن جُبَّته ، فإذا فيها جُبة صوف بيضاء ، يقصر الذيل عن الذيل ، الرُّدن عن الرُّدن .

فقال لي : يا ثوري لبسنا هذا لله ، وهذا لكم ، **فما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه** » .

٢٧٩ ـ إن أكرَهني خرجت على وجهي حتى لا يعلم بي أحد :

جاء في طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ١٦٦) في ترجمة الإمام رئيس هراة محمد بن العباس بن أحمد أبو عبد الله الضبي الهروي العصمي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« أن أبا جعفر العتبي وزير السلطان ، ألزم أبا عبد الله عن أمر السلطان أن يتقلد ديوان الرسائل .

فقال له : هذا قضاء القضاة بكور خراسان ، ولا يخرج عن حد العلم ، ولو عرفت اليوم في مشايخ خراسان من يدانيك بشمائلك لأعفيتك .

فبكى أبو عبد الله وقال له : **إن أعفاني السلطان عن هذا العمل فبفضله عليَّ وعلى أصحابي بهراة ، وإن أكرهني عليه ، لبست مرقعة ، وخرجت على وجهي حتى لا يعلم بمكاني أحد .**

فأُعفي » .

٢٨٠ ـ الصراط أحد من السيف :

جاء في ترتيب المدارك (٤/ ٧١٣) في ترجمة الإمام العابد محرز بن خلف بن أبي رزين أبو محمد التونسي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« كان بتونس صقلّي أمر الناس ألاّ يكبروا على الميت ، إلاّ خمس تكبيرات . فقال له المشارقة :

أبو كسية يكبر أربعاً ، ولا يؤذن حَيَّ على خير العمل ، ولا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ، ولا يسلم تسليمتين ، ولا يؤذن الصلاة خير من النوم .

فأرسل وراءه ، فدخل عليه محرز ، وحول الصقلي المشارقة ، فلم يسلِّم .

فقال له الصقلي : السلطان يأمر بكذا ، وأنت لا تفعل أمر السلطان ، احذر من السيف .

فقال له : **الصراط أحد من السيف ، ومن السلطان وأمره !**

ثم انصرف ، فبُهت الصقلي ولم يتكلم بكلمة وغشي عليه ، فلما أفاق من غشيته ، قال : تقولون أبو كسية ؟ لما أشار بيده إليَّ حسبت كأن من ضربني برمح في القلب ، فغشي عليَّ » .

٢٨١ ـ تسألين عما لا يعنيك :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١١٥) في ترجمة الإمام العابد الورع حسان بن أبي سنان البصري ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن عبد الجبار بن النضر السلمي قال :

مرَّ حسان بن أبي سنان بغرفة ، فقال : مُذ كم بنيَتْ هذه ؟ قال : ثم رجع إلى نفسه ، فقال : وما عليك مُذ كم بُنيت ، تسألين عما لا يعنيكِ ؟ فعاقبها بصوم سنة » .

٢٨٢ ـ إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين :

جاء في طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) الإمام وأحد الأعلام الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي ، المدني ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن الفضيل بن مرزوق ، قال :

سمعت الحسن بن الحسن وهو يقول لرجل ممن يغلو فيهم : ويحكم أحبونا لله ، فإن أطعنا الله فأحبونا ، وإن عصينا الله فأبغضونا .

قال : فقال له الرجل : إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته .

فقال : ويحكم لو كان الله نافعاً بقرابة من رسول الله ﷺ ، بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا ، أباه وأمه ، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين ، والله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين .

قال : ثم قال : لقد أساء بنا آباؤنا وأمهاتنا إن كان ما يقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به ، ولم يطلعونا عليه ، ولم يرغِّبونا فيه ، فنحن والله كنا أقرب منهم قرابةً منكم ، وأوجب عليهم حقاً ، وأحق بأن يرغبونا فيه منكم ، ولو كان الأمر كما تقولون : إن الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ، وللقيام على الناس بعده ، إن كان علي لأعظم الناس في ذلك خطيئة وجرماً إذ ترك أمر رسول الله ﷺ ، أن يقوم فيه كما أمره ، أو تعذَّر فيه إلى الناس .

قال : فقال له الرافضي : ألم يقل رسول الله ﷺ لعلي : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » قال : أما والله ، إن لو يعني رسول الله ﷺ بذلك الإمرة والسلطان والقيام على الناس لأفصَحَ لهم بذلك ، كما أفصح لهم بالصلاة

والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ، ولقال لهم : أيها الناس إن هذا وليُّ أمركم من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوه ، فما كان من وراء هذا شيء ، فإنَّ أنصَحَ الناس كان للمسلمين رسول الله ﷺ » .

٢٨٣ ـ بِعْ دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً :

جاء في تهذيب الكمال (٦/ ١١٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٤٣) في ترجمة الإمام القدوة سيد التابعين وأحد الزهاد المعروفين الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصري ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« حدثنا عبد المؤمن بن عبيد الله ، عن الحسن قال :

يا ابن آدم ، عَمَلَكَ ، عَمَلَكَ ، فإنما هو لحمك ودمك ، فانظر على أي حال تلقى عملك ، إن لأهل التقوى علامات ، يُعرفون بها : صدق الحديث ، ووفاء بالعهد ، وصلة الرحم ، ورحمة الضعفاء ، وقلة الفخر والخيلاء ، وبذل المعروف ، وقلة المباهاة للناس ، وحسن الخلق ، وسعة الخلق فيما يقرب إلى الله .

يا ابن آدم إنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره ، فلا تحقرن من الشر شيئاً ، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه ، رحم الله رجلاً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقته ، هيهات ، هيهات ، ذهبت الدنيا بحال بالها ، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم ، أنت تسوقون الناس ، والساعة تسوقكم ، وقد أسرع بخياركم ، فماذا تنتظرون ، المعاينة فكأن قد ، إنه لا كتاب بعد كتابكم ، ولا نبي بعد نبيكم .

يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً » .

٢٨٤ ـ رفيقان شتى ألف الدهر بيننا :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٤٩٣) في ترجمة إمام العربية في عصره ، اللغوي ، النحوي ، الأديب البارع ، محمد بن زياد أبي عبد الله

الكوفي المعروف بابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« رأى في مجلسه يوماً رجلين يتحادثان ، فقال لأحدهما : من أين أنت ؟ فقال : من أسبيجاب ـ مدينة في أقصى بلاد المشرق ـ وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال : من الأندلس ـ أقصى بلاد المغرب ، فعجب من ذلك وأنشد :

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا ... وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

ثم أملى على من حضر مجلسه بقية الأبيات وهي :

نزلنا على قَيْسِيَّةٍ يمنيةٍ ... لها نسبٌ في الصالحين هِجان

فقالت وأرخت جانب الستر بيننا ... لأية أرض أم من الرجلان

فقلت لها : أما رفيقي فقومه ... تميم وأما أسرتي فيماني

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا ... وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

٢٨٥ ـ زد من الضرب وزد من الحديث :

جاء في سير أعلام النبلاء (٤٢٩/١١) في ترجمة الإمام الحافظ العلامة المقرىء ، عالم أهل الشام ، هشام بن عمار بن نصير ، أبو الوليد السلمي ، ويقال : الظفري ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن صالح بن محمد الحافظ :

سمعت هشام بن عمار ، يقول: دخلت على مالك ـ يعني ابن أنس ـ فقلت له : حدثني ، فقال : اقرأ ، فقلت : لا ، بل حدثني ، فقال : اقرأ ، فلما أكثرت عليه ، قال : يا غلام ، تعال ، اذهب بهذا ، فاضربه خمسة عشر ، فذهب بي فضربني خمس عشرة درة ، ثم جاء بي إليه ، فقال : قد ضربته ، فقلت له : لم ظلمتني ؟ ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم ، لا أجعلك في حل ، فقال مالك : فما كفارته ؟

قلت : كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثاً .

قال : فحدثني بخمسة عشر حديثاً .

فقلت له : **زد من الضرب ، وزد من الحديث . فضحك مالك وقال : اذهب** » .

٢٨٦ ـ إن كنت صادقاً فما هذا الهم :

جاء في طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٥٦) في ترجمة الإمام الفقيه عسكر بن الحصين أبو تراب الخشني ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن يوسف بن الحسين :

صحبت أبا تراب النخشبي خمس سنين ، وحججت معه على غير طريق الجادة ، ورأيت منه في السفر عجائب يقصر لساني عن شرح جميعها ، غير أنا كنا مارين فنظر إليَّ يوماً وأنا جائع ، وقد تورَّمت رجلاي وأنا أمشي بجهد ، فقال لي : مالكِ لعلك جعت ؟

قلت : نعم .

قال : ولعلك أسأت الظن بربك ؟

قلت : نعم .

قال : ارجع إلى ربك . قلت : وأين هو ؟

قال : حيث خلفته . فقلت : هو معي .

فقال : **إن كنت صادقاً ، فما هذا الهم الذي أرى عليك** .

قال : فرأيت الورم قد سكن ، والجوع قد ذهب ، ونشطت حتى كدت أسبقه .

قال أبو تراب : اللهم إنَّ عبدك قد أقرَّ لك بالآفة فأطعمه ، ونحن بين جبال ليس فيها مخلوق . فانتهينا إلى رابية ، فإذا كوز ماء ورغيف موضوع .

فقال لي أبو تراب : دونك ، دونك ، فجلستُ وأكلت ، وقلت له : ليش ما تأكل أنت .

قال : يأكل من اشتهاه » .

٢٨٧ ـ قطعوها قطعهم الله :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٢٥٢) في ترجمة الإمام الفقيه جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة أبو يوسف الصدفي أحد أصحاب سحنون ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال الفقيه ابن سعدون القروي : لما دخل عبيد الله الشيعي ، القيروان ، وخطب أول جمعة ، وجبلة حاضر ، فلما سمع كفرهم قام قائماً وكشف عن رأسه حتى رآه الناس وخرج يمشي إلى آخر الجامع ، ويقول :

قطعوها قطعهم الله .

فما حضرها أحد من أهل العلم بعد هذا » .

٢٨٨ ـ إنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم :

جاء في تهذيب الكمال للمزي (٦/ ٤٠٤) في ترجمة الصحابي الجليل سبط رسول الله وريحانته ، الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ، أبو عبد الله المدني أحد سيدي شباب أهل الجنة ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن عبيد بن حنين ، قال : حدثني الحسين بن علي ، قال :

أتيت على عمر بن الخطاب وهو على المنبر ، فصعدت إليه ، فقلت له انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك .

فقال عمر : لم يكن لأبي منبر ، وأخذني فأجلسني معه فجعلت أقلب حصىً بيدي ، فلما نزل انطلق بي إلى منزله ، فقال لي : من علَّمك ؟ فقلت : والله ما علمنيه أحد .

قال : يا بني لو جعلت تغشانا .

قال : فأتيته يوماً وهو خالٍ بمعاوية وابن عمر بالباب ، فرجع ابن عمر ورجعت معه ، فلقيني بعد فقال : لم أرك .

فقلت : يا أمير المؤمنين إني جئت وأنت خالٍ بمعاوية وابن عمر بالباب ، فرجع ابن عمر ورجعت معه .

فقال : أنت أحق بالإذن من ابن عمر ، وإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم » .

٢٨٩ ـ ما أصنع بابن ملك الجبل :

جاء في « الأنساب » للسمعاني (٧/ ٢٨٩) في ترجمة الرجل الصالح المحدّث ابن عامر قبيصة بن عقبة السوائي الكوفي شيخ الإمام أحمد والبخاري المتوفى سنة ٢١٥ هـ ـ رحمه الله ـ ما يلي :

« حُكي أن دلف بن أبي دلف العجلي ـ وهو ابن ملك سيأتي في هذا الخبر ـ جاء إلى باب قبيصة بن عقبة ، ومعه الخدم والغلمان لكتابة الحديث .

فدُقَّ عليه الباب ، فأبطأ قبيصة بالخروج ، فعاوده الخدم ـ بالدق ـ وقيل له : إن ابن ملك الجبل على الباب وأنت لا تخرج إليه . فخرج وفي طرف إزاره كسر من الخبز ، فقال لهم : رجل قد رضي من الدنيا بهذا ما يصنع بابن ملك الجبل ! والله لا أحدثه » .

٢٩٠ ـ أمنُ الغيبِ بالغيبِ :

جاء في حلية الأولياء (٥/ ٢١٢) في ترجمة شيخ أهل الشام خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي ، أبو عبد الله الشامي الحمصي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن عمرو الأيامي ، عن خالد بن معدان ، قال :

ما من آدمي إلاّ وله أربعة أعين ، عينان في رأسه يبصر بهما أمر الدنيا ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وُعد بالغيب فأمن الغيب بالغيبِ » .

٢٩١ ـ إذا كان ثمناً لدينك فدعه :

جاء في صحيح مسلم برقم (٩٩٢) في الزكاة باب الكنازين للأموال والتغليظ عليهم ما نصه :

« عن خليد العصري ، عن الأحنف بن قيس ، قال :

كنت في نفرٍ من قريش ، فمرَّ أبو ذر وهو يقول :

بشِّر الكنازين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم ، وبكي من قبل أقفائهم يخرج من جباههم .

ثم تنحى وقعد . فقلتُ : من هذا ؟ قالوا : هذا أبو ذر ، فقمت إليه ، فقلت : ما شيء سمعتك تقول قبل ؟

قال : ما قلت إلاّ شيئاً سمعته من نبيكم ﷺ .

قلت : ما تقول في هذا العطاء ؟

قال : خذه فإن فيه اليوم معونةً ، فإذا كان ثمناً لدينك فدعه » .

٢٩٢ ـ الناس أربعة :

جاء في تهذيب الكمال (٨/ ٣٢٨) في ترجمة الإمام العلامة الأديب النحوي البارع الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن البصري ، صاحب العروض وصاحب كتاب « العين » في اللغة ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن يعقوب بن إسحاق الأصبهاني ، قال الخليل بن أحمد :

الناس أربعة : فرجل يدري وهو يدري أنه يدري فذاك عالمٌ فخذوا عنه .

ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري فذاك ناسٍ فذكِّروه .

ورجلٌ لا يدري وهو يدري أنه لا يدري فذاك مسترشدٌ فعلموه .

ورجلٌ لا يدري وهو لا يدري أنه لا يدري فذاك جاهل فارفضوه » .

٢٩٣ ـ اللهم اغفر له برحمتك ، ولا تَكِلْهُ إلى عمله :

جاء في حلية الأولياء (٧/ ٣٣٩) في ترجمة الإمام العابد الفقيه القدوة ، داود بن نصير الطائي ، أبو سليمان الكوفي الفقيه الزاهد ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال إسحاق بن منصور السلولي :

لما مات داود الطائي شيَّع جنازته الناس ، فلما دُفن قام ابن السماك على قبره ، فقال : ياداود كنتَ تسهر ليلك إذ الناس ينامون .

فقال الناس جميعاً : صدقت .

وكنتَ تربح إذ الناس يخسرون .

فقال الناس جميعاً : صدقت .

وكنت تسلم إذ الناس يخوضون .

فقال الناس جميعاً : صدقت .

حتى عدَّد فضائله كلها ، فلما فرغ قام أبو بكر النهشلي ، فحمد الله ، ثم قال : يا ربِّ إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما عَلِموا ، **اللهم فاغفر له برحمتك ، ولا تكله إلى عمله** » .

٢٩٤ ـ لسان سؤول ، وقلب عقول :

جاء في المعجم الكبير للطبراني (٤٢٠١) وجامع بيان فضل العلم (١/ ١٠٦) ما نصه :

« قال أبو هلال ، عن عبد الله بن بريدة :

أرسل معاوية إلى دغفل ـ يعني ابن حنظلة السدوسي ـ فسأله عن أنساب العرب ، وعن النجوم ، والعربية ، وعن أنساب قريش . فأخبره . فإذا رجلٌ عالمٌ ، فقال : من أين حفظت هذا يا دغفل ؟

قال : **بلسانٍ سؤول ، وقلبٍ عقول ، وإن آفة العلم النسيان** .

قال : فأمَره أن يذهب إلى يزيد بن معاوية ، فيعلمه العربية ، وأنساب قريش ، وأنساب العرب » .

٢٩٥ ـ قد عفونا عنك بصدقك :

جاء في الثقات للعجلي (الورقة ١٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٣٦٩) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦/ ١٠١ ب) في ترجمة الإمام القدوة الولي الحافظ الحجة ، ربعي بن حراش الغطفاني ثم العبسي ، أبو مريم الكوفي المعمر ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« قال أحمد بن عبد الله العجلي :

تابعي ثقة ، من خيار الناس ، لم يكذب كذبةً قط ، كان له ابنان عاصيان على الحجاج ، فقيل للحجاج : إن أباهما لم يكذب كذبةً قط ، لو أرسلتَ إليه فسألته عنهما .

فأرسل إليه ، فقال : أين ابناك ؟

فقال : هما في البيت .

قال : **قد عفونا عنهما بصدقك !** » .

٢٩٦ ـ إن النار لا تدع أباك ينام :

جاء في تهذيب الكمال (٩/ ٧٥ ـ ٧٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٦) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٧٠) في ترجمة الإمام القدوة العابد الربيع بن خيثم أبو يزيد الثوري الكوفي ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن مالك بن دينار قال :

قالت ابنة الربيع للربيع : يا أبتِ ، مالك لا تنام والناس ينامون ؟

فقال : **إن النار لا تدع أباك ينام** » .

٢٩٧ ـ إن هذا العلم يزيد الشريف شرفاً :

جاء في سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٨) وتاريخ ابن عساكر (٦/ ١٣٥ ب) وتهذيب الكمال (٩/ ٢١٧) في ترجمة الإمام المقرىء الحافظ المفسر ، أحد الأعلام رُفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي خلدة ، عن أبي العالية :

كنت آتي ابن عباس فيرفعني على السرير ، وقريش أسفل من السرير ، فتغامز بي قريش ، قالوا : يرفع هذا العبد على السرير ؟ !

ففطن بهم ابن عباس ، فقال :

إن هذا العلم يزيد الشريف شرفاً ، ويجلس المملوك على الأسرة » .

٢٩٨ ـ إن حفظت الوصية عشت سعيداً وتموت حميداً .

جاء في تهذيب الكمال (٤/ ٨٩) وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٣) في ترجمة الإمام الصادق القدوة أحد الأعلام ، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله المدني ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن الهيثم ، قال : حدثني بعض أصحاب جعفر بن محمد الصادق ، قال :

دخلتُ على جعفر ، وموسى بين يديه ، وهو يوصيه بهذه الوصية ، فكان مما حفظت منها ، أن قال : يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي ، **فإنك إن حفظتها ، تعيش سعيداً ، وتموت حميداً** ، يا بني : من قنِعَ بما قُسم له استغنى ، ومن مدَّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرضَ بما قسم الله له أتم الله في قضائه ، ومن استصغر زلَّةَ غيره استعظم زلَّة نفسه .

يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به ، ومن احتفر بئراً لأخيه سقط فيه ، ومن داخل السفهاء حُقِّر ، ومن خالط العلماء وُقِّر ، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم .

يا بني : إياك أن تُزري بالرجال فيُزرى بك ، وإياك والدخول فيما

لا يعنيك فتذِلَّ لذلك ، يا بني : قل الحق لك وعليك ، تستشار من بين أقربائك ، يا بني ، كُن لكتاب الله تالياً ، وللسلام فاشياً ، وللمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلاً ، ولمن سكت عنك مبتدئاً ، ولمن سألك معطياً ، وإياك والنميمة ، فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، وإياك والتعرف لعيوب الناس ، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف .

يا بني إذا طلبتَ الجود فعليك بمعادنه ، فإن للجود معادن ، وللمعادن أصولاً ، وللأصول فروعاً ، وللفروع ثمراً ، ولا يطيب ثمرٌ إلاّ بفَرْع ، ولا فرعٌ إلا بأصل ، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب .

يابني : إذا زرت فزُرِ الأخيار ، ولا تزُر الفجار ، فإنهم صخرة لا ينفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضر ورقها ، وأرض لا يظهر عشبها .

قال علي بن موسى : فما تركتُ هذه الوصية إلى أن توفي » .

٢٩٩ ـ خوف يدركك معه الأمن :

جاء في حلية الأولياء (٢/ ١٥٠) وتهذيب الكمال (٦/ ١١٤/ ١١٥) في ترجمة الإمام القدوة العابد سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله ما نصه :

« عن علقمة بن مرثد :

قام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال : كيف نصنع بأقوامٍ يخوّفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟

فقال الحسن : **والله لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن ، خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يلحقك الخوف** .

فقال له بعض القوم أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : فبكى ، وقال :

ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدي ، والصدق

وخشونة ملابسهم بالاقتصاد ، ومشاهم بالتواضع ، ومنطقهم بالعمل ، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق ، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى ، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا ، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم ، ظمئت هواجرهم ، ونحلت أجسامهم ، واستخفوا بسخط المخلوقين لرضى الخالق ، لم يفرطوا في غضب ، ولم يحيفوا في جود ، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن ، شغلوا الألسن بالذكر ، بذلوا لله دماءهم حين استنصرهم ، وبذلوا لله أموالهم حين استقرضهم ، ولم يكن خوفهم من المخلوقين ، حسُنَت أخلاقهم ، وهانت مؤنتهم ، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم » .

٣٠٠ ـ عليك بهذه الخصال :

جـاء في سير أعـلام النبـلاء (١١/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦) وحليـة الأوليـاء (٨/ ٧٩ ـ ٨٠) في ترجمة الزاهد القدوة الرباني ، حاتم بن عنوان بن يوسف أبو عبد الرحمن البلخي ، الواعظ ، المعروف بالأصم ـ رحمه الله ـ ما نصه :

« عن أبي تراب قال : قال شقيق ـ يعني البلخي ـ لحاتم الأصم :

مذ أنت صحبتني أي شيء تعلمت ؟ قال : ست كلمات ، قال : أولهن ؟

قال : رأيت كل الناس في شك من أمر الرزق ، وإني توكلت على الله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ، فعلمتُ أني من هذه الدواب واحدها ، فلم أشغل نفسي بشيء قد تكفَّلَ لي به ربي .

قال : أحسنت فما الثانية ؟

قال : رأيت لكل إنسانٍ صديقاً يفشي إليه سره ، ويشكو إليه أمره ، فقلت : أنظر من صديقي ، فكل صديق وأخ رأيته قبل الموت ، فأردت أن أتخذ صديقاً ، يكون لي بعد الموت ، فصادقت الخير ليكون معي إلى الحساب ، ويجوز معي إلى الصراط ، ويثبتني بين يدي الله عز وجل .

قال : أصبتَ فما الثالثة ؟

قال : رأيت كل الناس لهم عدو ، فقلت : انظر من عدوي ، فأما من اغتابني فليس عدوي ، وأما من أخذ مني شيئاً فليس هو عدوي ، ولكن عدوي الذي إذا كنت في طاعة الله أمرني بمعصية الله ، فرأيت ذلك إبليس وجنوده فاتخذتهم عدواً ، فوضعت الحرب بيني وبينهم ، ووترت قوسي ، ووصلت سهمي فلا أدعه يقربني .

قال : أحسنت ، فما الرابعة؟

قال : رأيت الناس لهم طالب كل واحد منهم يوماً احداً ، فرأيت ذلك ملك الموت ففرغت له نفسي حتى إذا جاء لا ينبغي أن أمسكه فأمضي معه .

قال : أحسنت ، فما الخامسة ؟

قال : نظرت في هذا الخلق ، فأحببت واحداً ، وأبغضت واحداً ، فالذي أحببته لم يعطني ، والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئاً ، فقلت : من أين أتيت هذا ؟ فرأيت أني أتيت هذا من قلبي فأحببت الناس كلهم ، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم .

قال : أحسنت فما السادسة ؟

قال : رأيت الناس كلهم لهم بيت ومأوى ، ورأيت مأواي القبر ، فكل شيء قدرت عليه من الخير قدمته لنفسي حتى أعمر قبري ، فإن القبر إذا لم يكن عامراً لم يستطع القيام فيه .

فقال شقيق : عليك بهذه الخصال الستة فإنك لا تحتاج إلى علم غيره .

* * *

٣٠١ـ مهما سبقت به فلا تُسبقَنَّ بتقوى الله عز وجل :

جاء في تاريخ بغداد (١٢/٤٠٨) في ترجمة الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ما نصه :

« قال رحمه الله :

دخلت البصرة لأسمع من حَمَّاد بن زيد ، فقدمت فإذا هو قد مات ، فشكوت ذلك إلى عبد الرحمن بن مهدي فقال :

مهما سُبِقْتَ فلا تُسْبَقَنَّ بتقوى الله عز وجل » .

وقد جاء أيضاً في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٩) عنه ما يلي :

« قال رحمه الله :

سمعني عبد الله بن إدريس أتلهف على بعض الشيوخ فقال لي :

يا أبا عبيد مهما فاتك من العلم ، فلا يفوتنك العمل » .

وفي هذه التفاتة عظيمة ، ينبه إليها أبو عبيد من قبل مشايخه أن القصد الأول من العلم هو العمل ، وتقوى الله عز وجل . وقد بلغ منهما أبو عبيد مبلغاً عظيماً ، شهد له بذلك كبار العلماء .

٣٠٢ـ سيد الناس سفيان بن عيينة :

جاء في تاريخ بغداد (٩/ ١٧٩) في ترجمة الإمام شيخ شيوخ مكة في عصره الحافظ سفيان بن عيينة رحمه الله ما نصه :

« عن الربيع النحاس قال :

تلقيتُ هارون أمير المؤمنين ، فسألني عن عِلْية الهاشميين ثم قال :

ما فعل سيِّدُ الناس ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، ومن سيد الناس غيرك ؟

قال : **سيد الناس سفيان بن عيينة** »!!

٣٠٣-إن الله لا يقدس أمة لا يؤخذ الحق لضعيفها من قويها :

جاء في كتاب العقد الفريد للملك السعيد للوزير ابن طلحة النصيبي ص (٥٨ ، ٥٩) ما نصه :

« قال الوزير :

ولقد بلغني عن أحمد بن طولون قضية يؤثر في النفس الزكية سماعها . . .

وكان يجلس للمظالم ، ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة ، وجماعة من الفقهاء وأهل العلم ، مثل الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعي ، وكان ابن طولون إذا جلس للمظالم يمكِّن المظلوم من الكلام ، ويسمع كلامه إلى آخره ، ويكشف ظلامته ، ويجلسه بين يديه مقرَّباً إليه .

قال أحمد بن محمد بن سلامة ، الطحاوي الفقيه :

اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدي (سلامة) فاحتجتُ إلى الدخول إليه والتظلم مما جرى لي ، وأنا يومئذ شابٌّ ، إلا أن العلم والمعرفة بالحاضرين بسطني على الكلام والتمكُّن من الحجة ، فخاطبته في أمر الضيعة ، فاحتج علي بحجج كثيرة ، وأجبته عنها بما لزمه الرجوع إليه ، ثم ناظرني مناظرة الخصوم بغير انتهار ، ولا سطوة علي ، وأنا أجيبه وأحل حججه ، إلى أن وقف ولم يبق له حجة ، فأمسك عني ساعة ثم قال لي :

إلى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك ، والحجة قد ظهرت لك ، ولكن أجلنا ثلاثة أيام ، فإن ظهرت لي حجة ، وإلا سلمت الضيعة إليك .

فقمت منصرفاً ، فلما خرجت .

قال ابن طولون بعد خروجي للحاضرين :

ما أقبح ما أشهدتكم على نفسي ، أقول لرجل من رعيتي : ظهرت لك حجة ، أجلني ثلاثة أيام إليَّ أن أطلب حجة ، وأبطل الحكم الذي قد أوجبته ، من يمنعني إذا وجبت لي حجة أن أحضره وألزمه إياها ؟ هذا والله الغصب ، وأنتم رسلي إليه بأني بعد أن أُلزمت الحجة أزلت الاعتراض عن الضيعة . وقد قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا يقدس أمة لا يؤخذ الحق لضعيفها من قويها** » . وتقدم بالكتاب له .

وعرف الطحاوي الحال من الحاضرين ، فذهب إلى الديوان وأخذ الكتاب بإزالة الاعتراض ، وتسليم الضيعة ، وصارت هذه من مناقب أحمد بن طولون .

٣٠٤ـعجل إيصال هذا المال إليهم ليزول هذا الوجع مني :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦١ـ١٦٢) في ترجمة الإمام الحافظ الثبت الحسن بن سفيان بن عامر أبو العباس الشيباني الخراساني النسوي ، صاحب المسند المتوفى سنة ثلاث وثلاث مئة رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أبي الحسن الصفار الفقيه قال :

كنا عند الحسن بن سفيان ، وقد اجتمع إليه طائفة من أهل الفضل ، ارتحلوا إليه ، فخرج يوماً ، فقال :

اسمعوا ما أقول لكم قبل الإملاء : قد علمنا أنكم من أبناء النعم ، هجرتم الوطن ، فلا يخطرن ببالكم أنكم رضيتم بهذا التجشم للعلم حقاً ، فإني أحدثكم ببعض ما تحملته في طلب العلم :

ارتحلتُ من وطني ، فاتفق حصولي بمصر في تسعة من أصحابي طلبة العلم ، وكنا نخالف إلى شيخ أرفع أهل عصره في العلم منزلة ، فكان يُملي علينا كل يوم قليلاً ، حتى خَفَّتِ النفقة وبعنا أثاثنا ، فطوينا ثلاثاً ، وأصبحنا لا حراك بنا ، فأحوجت الضرورة إلى كشف قناع الحشمة وبذل الوجه ، فلم

تسمح أنفسنا ، فوقع الاختيار على قُرعة ، فوقعت علي ، فتحيرتُ وعدلت فصليت ركعتين ، ودعوتُ ، فلم أفرغ حتى دخل المسجد شاب معه خادم فقال :

من منكم الحسنُ بن سفيان ؟ قلت : أنا .

قال : إن الأمير طولون يقرئكم السلام ويعتذر من الغفلة عن تفقد أحوالكم ، وقد بعث بهذا ، وهو زائركم غداً ، ووضع بين يدي كل واحد مئة دينار .

فتعجبنا وقلنا : ما القصة ؟

قال : دخلتُ عليه بكرة ، فقال : أُحبُّ أنْ أخلو اليوم ، فانصرفنا ، فبعد ساعة طلبني ، فأتيته ، فإذا به يده على خاصرته لوجعٍ مُمِضٍّ اعتراه ، فقال لي : تعرف الحسن بن سفيان وأصحابه ؟

قلت : لا . قال : اقصد المسجد الفلاني ، واحمل هذه الصرر إليهم ، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع ، ومَهِّدْ عُذري لديهم .

فسألته ، فقال : انفردت فنمت ، فرأيت فارساً في الهواء ، في يده رمح ، فنزل إلى باب هذا البيت ، ووضع سافِلَة رمحه على خاصرتي .

وقال : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه ، قم فأدركهم ، فإنهم منذ ثلاثٍ جياعٌ في المسجد الفلاني . فقلت له : من أنت ؟ قال : أنا رضوان صاحب الجنة ، فمنذ أصاب رمحه خاصرتي أصابني وجع شديد ، فعجل إيصال هذا المال إليهم ليزول هذا الوجع عني .

قال الحسن : فعجبنا وشكرنا الله ، وخرجنا تلك الليلة من مصر لئلا نشتهر ، وأصبح كل واحد منا واحد عصره ، وقريع دهره في العلم والفضل .

قال : فلما أصبح الأمير طولون فأحس بخروجنا ، أمر بابتياع المحلة ، ووقفها على المسجد ، وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل ، نفقة لهم ، لئلا تختل أمورهم ، وذلك كله من قوة الدين وصفاء العقيدة » .

٣٠٥ـ إنما اصطفاه الله لدينه وبيانه :

جاء في طبقات الشافعية للسبكي (١/ ٢٦٥) في ترجمة عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي أحد الأئمة الأعلام وممن تفقه بالإمام الشافعي رحمهما الله تعالى ما نصه :

« عن أبي العيناء :

لما دخل عبد العزيز المكي على المأمون ، وكانت خلقته شنعة جداً ، ضحك أبو إسحاق المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين مم يضحك هذا ، لم يصطفِ الله ـ عز وجل ـ يوسف عليه السلام لجماله ، **وإنما اصطفاه الله لدينه وبيانه** ، فضحك المأمون وأعجبه » .

٣٠٦ـ إذا قدرت على دواء يشفي دون الكي ، فلا تكوينه أبداً :

جاء في مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ٧٦ـ٧٧) رحمهما الله تعالى ما نصه :

« دخل ناس من الحرورية على عمر بن عبد العزيز فذاكروه شيئاً ، فأشار إليه بعض جلسائه أن يرعبهم ، ويتغير عليهم ، فلم يزل عمر بن عبد العزيز يرفق بهم حتى أخذ عليهم ، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقي ، فخرجوا على ذلك .

فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه فقال : يا فلان ، **إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك دون الكي ، فلا تكْوِيَنَّه أبداً** » .

٣٠٧ـ إنما دعوتكم لأبركم :

جاء في ترتيب المدارات للقاضي عياض (١/ ١١٨) والديباج المذهب (ص ٢٠ـ٢٣) في ترجمة إمام دار الهجرة الإمام القدوة مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي المدني رحمه الله ما نصه :

« قال عبد الله بن عبد الحكم :

هيأ مالك دعوة للطلبة ـ وكنت فيهم ـ فمضينا إلى داره ، فلما دخلنا قال : هذا المستراح ، وهذا الماء . ثم دخلنا البيت فلم يدخل معنا ، ودخل بعد ذلك ، فأُتينا بالطعام ولم يؤت بالماء قبله لغسل أيدينا ، ثم أُتي بعد ، فلما خرج الناس سألته ، فقال : أما إعلامي بالمستراح والماء ، فإنما دعوتكم لأبركم ، ولعل أحدكم يصيبه بولٌ أو غيره ، فلا يدري أين يذهب ، وأما تركي الدخول معكم للبيت ، فلعلي أقول : ههنا أبا فلان ، وههنا أبا فلان ، وقد يسيء بعضكم فيظن أني تركته بغضاً فيه فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ، ودخلت عليكم ، وأما تركي الماء قبل الطعام فإن الوضوء ـ أي تغسيل الأيدي ـ قبله من سنة الأعاجم ، وأما بعده فقد جاء في ذلك حديث » .

٣٠٨ـ فكيف يكون حالي لو قبلت :

جاء في تاريخ بغداد (١٢/٣٠٨ـ٣٠٩) في ترجمة عافية بن يزيد القاضي الأودي الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن إسماعيل بن إسحاق القاضي عن أشياخه قال : كان عافية القاضي يتقلد للمهدي القضاء بأحد جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة ، وكان عافية عالماً زاهداً فصار إلى المهدي في وقت الظهر في يوم من الأيام وهو خال فاستأذن عليه فأدخله ، فإذا معه قمطر فاستعفاه من القضاء ، واستأذنه في تسليم القمطر إلى من يأمر بذلك .

فظن أن بعض الأولياء قد غض منه ، أو أضعف يده في الحكم ، فقال له في ذلك .

فقال : ما جرى من هذا شيء .

قال : فما سبب استعفائك ؟

فقال : كان يتقدم إليّ خصمان موسران وجيهان ، منذ شهرين في قضية

معضلة مشكلة ، وكل يدَّعي بينة وشهوداً ، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت ، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا ، أو يعن لي وجه فصل بينهما .

قال : فوقف أحدهما من خبري على أني أحب الرطب السكر ، فعمد في وقتنا ـ وهو أول أوقات الرطب ـ إلى أن جمع رطباً سكراً لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله إلاَّ لأمير المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشا بوابي جملة دراهم على أن يدخل الطبق إليَّ ولا يبالي أن يُرد ، فلما أدخل إليَّ أنكرتُ ذلك وطردت بوابي وأمرت برد الطبق ، فرد ، فلما كان اليوم تقدم إليَّ مع خصمه ، فما تساويا في قلبي ولا في عيني ، وهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل ، فكيف يكون حالي لو قبلت ، ولا آمن من أن يقع عليَّ حيلة في ديني فأهلك ، وقد فسد الناس فأقلني أقالك الله واعفني ، فأعفاه .

٣٠٩ـ احذر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده :

جاء في كتاب الجليس الصالح الكافي (٣/ ١١٠ـ١١١) :

« عن المدائني ، قال :

دخل عمرو بن عبيد على المنصور فقال : إن الله تعالى أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها واحذر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده .

قال : فبكى أبو جعفر ، قال عمرو :

انبذ عنك البكاء واترك ما تنكر إلى ما تعرف ، واعلم إن ربك لبالمرصاد ، والسلام » .

٣١٠ـ هو نور يجعله الله في القلوب :

جاء في سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٢ـ١٢٣!) وترتيب المدارك (٢/ ٤٤٤ ـ٤٤٥) في ترجمة عالم الديار المصرية وفقيهها ، عبد الرحمن بن القاسم أبو عبد الله العُتَقي مولاهم المصري صاحب مالك الإمام رحمهما الله تعالى ما نصه :

« عن سحنون قال :

لما حججنا كنتُ أُزامِلُ ابن وهب ، وكان أشهب يزامله يتيمه ، وكان ابن القاسم يزامله ابنه موسى ، فكنت إذا نزلت ، ذهبت إلى ابن القاسم أسأله من الكتب ، وأقرأ عليه إلى قرب الرحيل .

فقال لي ابن وهب وأشهب : لو كلمت صاحبك يفطر عندنا ، فكلمته ، فقال : إنه ليثقل علي ذلك .

قلت : فبم يعلم القوم مكاني منك ؟

فقال : إذا عزمت على ذلك ، فأنا أفعل .

فأتيت فأعلمتهما ، فلما كان وقت التعريس قام معي ، فأصبت أشهب وقد فرش أنطاعه ، وأتى من الأطعمة بأمر عظيم ، وصنع ابن وهب دون ذلك .

فلما أتى عبد الرحمن ، سلم ، وقعد ، ثم أدار عينيه في الطعام ، فإذا سكرجة فيها دقة ، فأخذها بيده ، فحرك الابزار حتى صارت ناحية ، ولعق من الملح ثلاث لعقات ، وهو يعلم أن أصل ملح مصر طيب ، ثم قام ، وقال : بارك الله لكم ، واستحييت أن أقوم .

قال : فتكلم أشهب ، وعَظَّمَ عليه ما فعل .

قال له ابن وهب : دَعْهُ ، دَعْهُ .

وكنا نمشي بالنهار ، ونلقي المسائل ، فإذا كان في الليل ، قام كل واحد إلى حزبه من الصلاة ، فيقول ابن وهب لأصحابه : ما ترون إلى هذا المغربي ، يلقي المسائل بالنهار ، وهو لا يدرس بالليل ؟

فيقول له ابن القاسم : **هو نور يجعله الله في القلوب** .

٣١١ـ إن هؤلاء اتخذوك سلماً إلى شهواتهم :

جاء في كتاب المحاسن والمساوىء للبهيتي (٢/ ٢٨) ما نصه :

« أن عمرو بن عبيد دخل على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل يقفك ويسائلك عن مثقال ذرة من الخير والشر ، وإن الأمة

خصماؤك يوم القيامة ، وإن الله عز وجل لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك ، ألا وإنك لا ترضى نفسك إلا بأن يعدل عليك ، وإن الله عز وجل لا يرضى منه إلا بأن تعدل في رعيتك ، وإن وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور .

فقال سليمان بن مجالد وهو واقف على رأس المنصور :

يا عمرو قد شققت على أمير المؤمنين .

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، من هذا ؟

قال : أخوك سليمان بن مجالد .

قال عمرو : ويلك يا سليمان ، إن أمير المؤمنين يموت وإن كل ما تراه يفقد ، وإنك جيفة غداً بالفناء ، ولا ينفعك إلا عمل صالح قدمته ، ولقرب هذا الجوار أنفع لأمير المؤمنين من قربك ، وإن كنت تطوي عنه النصيحة ، وتنهى من ينصحه ، **يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلماً إلى شهواتهم** .

قال المنصور : فأصنع ماذا ؟ ادع لي أصحابك أوليهم .

قال : ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه ، ومر بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس ، واستعمل في اليوم الواحد عمالاً كلما رابك منهم ريب ، أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره ، فوالله لئن لم تقبل منهم إلا العدل ، ليتقربن به إليك من لا نية له فيه » .

٣١٢ـأحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله :

جاء في العقد الفريد للملك السعيد (ص ١٧٥) وتاريخ بغداد (١١/ ١٩٦ـ١٩٧) وتهذيب الكمال للمزي (٢١/ ٢٩٤ـ٢٩٥) في ترجمة القاضي عمر بن حبيب العدوي البصري أبو رفاعة العدوي رحمه الله ما نصه :

« قال عمر بن حبيب :

حضرتُ مجلس الرشيد ، فجرت مسألةٌ فتنازعها الحضور وعلت أصواتهم ، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النَّبي ﷺ ، فدَفَعَ

بعضهم الحديث ، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم : لا يحمل هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فإن أبا هريرة متهم فيما يرويه ، وصرحوا بتكذيبه ، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ، ونصر قولهم .

فقلت أنا : الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ ، وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن نبي الله ﷺ ، وعن غيره .

فنظر إليَّ الرشيد نظر مغضب ، فقمت من المجلس ، فانصرفت إلى منزلي ، فلم ألبث حتى قيل صاحب البريد بالباب ، فدخل إليَّ ، فقال : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن .

فقلت : اللهم إنك تعلم أني دفعتُ عن صاحب نبيك وأجللتُ نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه .

فأُدخلت على الرشيد ، وهو جالس على كرسي من ذهب حاسِرٌ عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النَّطع ، فلما بَصُر بي قال : يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحدٌ من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به .

قلت : يا أمير المؤمنين إن الذي قلته وجادلتَ عليه فيه إزراءٌ على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به ، إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة ، والفرائض والأحكام في الصلاة والصيام والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول .

فرجع إلى نفسه ثم قال لي : **أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله** ، أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله .

ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم » .

٣١٣ـ السلطان يأمر ولا يشهد :

جاء في كتاب حسن المحاضرة (٢/ ٢٧) ما نصه :

« أن الملك الكامل شهد عند القاضي ابن عين الدولة وهو في دست ملكه .

فقال ابن عين : السلطان يأمر ولا يشهد .

فأعاد عليه القول ، فلما زاد الأمر ، وفهم السلطان أنه لا يقبل شهادته قال : أنا أشهد تقبلني أم لا ؟

فقال القاضي : لا ، ما أقبلك ، وكيف أقبلك و « عجيبة » تطلع إليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثاني يوم بكرة وهي تتمايل على أيدي الجواري وابن الشيخ من عندك ؟ أيحسن ما نزلت ؟ وكانت عجيبة هذه مغنية أولع بها الملك ، فكانت تحضر إليه ليلاً وتغنيه بالجنك على الدفاف في مجلس يحضره ابن شيخ الشيوخ .

فقال له السلطان : يا كيواج ، وهي كلمة شتم بالفارسية ؟ ؟

فقال القاضي : ما في الشرع يا كيواج ، اشهدوا عليّ أني قد عزلت نفسي ونهض ، فقام ابن الشيخ إلى الملك الكامل وقال : المصلحة إعادته لئلا يقال لأي شيء عزل القاضي نفسه ؟ وتطير الأخبار إلى بغداد ويشيع أمر عجيبة .

ونهض إلى القاضي وترضاه وعاد إلى القضاء » .

٣١٤ـ حصنها بالعدل :

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٣٢) وعيون الأخبار لابن قتيبة (١٣/١) وأبو نعيم الأصبهاني في الحلية (٣٠٥/٥) في ترجمة الإمام العادل والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الأموي القرشي رحمه الله تعالى ما نصه :

« كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه :

إن مدينتنا قد تهدمت ، فإن رأى أمير المؤمنين ، أن يقطع لنا مالاً يرمُّها به فعل » .

فكتب إليه : « إذا قرأت كتابي هذا ، فحصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم فإنه عمارتها » .

٣١٥ـ إن أمامكم طالباً حثيثاً ممره سريع :

جاء في حلية الأولياء (١/ ٣٤ـ٣٥) والمصباح المضيء في خلافة المستضيء (٦/٢) في ترجمة الإمام الراشد الصديق أبي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ ما نصه :

« كان يقول في موعظته :

أين الملوك الذين بنوا المدائن ، قد تضعضع بهم الدهر ، فأصبحوا في ظلمات القبور .

الوحا ، الوحا ، النجاء ، النجاء .

إنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم ، فسابقوا في مهل أجلكم ، **إن أمامكم طالباً حثيثاً ممره سريع** » .

٣١٦ـ إذا لم تدفع عني أخذاني يوم القيامة هكذا :

جاء في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٩/ ٧٣) في ترجمة الملك العادل جلال الدولة ملك شاه بن ألب أرسلان رحمه الله تعالى ما نصه :

« كان هذا السلطان يقف للمرأة والضعيف ، ولقي في سفره تجاراً على عقبه ، فوقف حتى مضوا على مهل ، وجاءه رجلان قد ظُلما فاستغاثا .

فقال : خذا بيدي واحملاني إلى الوزير .

فامتنعا ، فقال : لابد .

فأخذ كل واحد منهما بيد ومشى معهما ، فبلغ ذلك الوزير نظام الملك ، فقام حافياً وتلقاه .

وقال : ما هذا ؟

فقال : أنت الذي أحوجتني إلى هذا ؟ أنا أنصبتك لتدفع عني الظلم ، **فإذا لم تدفع عني أخذاني يوم القيامة هكذا** » .

٣١٧ـ أذل بدني ولا أذل حديث رسول الله ﷺ :

جاء في تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٥) وحلية الأولياء (٨/ ١٦٩) في ترجمة الإمام العالم الرباني القدوة عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أحمد بن أبي الحواري قال : حدثني بعض أصحابنا قال : جاء عبد الله بن أبي العباس الطرسوسي ـ وكان والياً بمرو ـ إلى منزل عبد الله بن المبارك بالليل ومعه كاتبه والدواة والقرطاس ، فسأله عن حديث فأبى أن يحدثه .

ثم سأله عن حديث فأبى أن يحدثه ـ ثلاث مرات ـ فقال لكاتبه : اطو قرطاسك ما أرى أبا عبد الرحمن يرانا أهلاً أن يحدثنا .

فلما قام يركب مشى معه ابن المبارك إلى باب الدار ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، لِمَ لَمْ ترنا أهلاً أن تحدثنا وتمشي معنا ؟

فقال : إني أحببت أن أذل لك بدني ، ولا أذل لك حديث رسول الله ﷺ » .

٣١٨ـ دواعي البكاء :

جاء في تهذيب الكمال (١٣/ ٢١) وحلية الأولياء(٦/ ١٦٧) في ترجمة الإمام العابد القاص صالح بن بشير ، أبو بشر البصري القاص المقرىء المعروف بالمري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أحمد بن إسحاق الحضرمي : سمعت صالحاً المري يقول :

للبكاء دواعٍ :

الفكرة في الذنوب ، فإن أجابت على ذلك القلوب وإلا نقلتها إلى الموقف وتلك الشدائد والأهوال ، فإن أجابت على ذلك وإلا فاعرض عليها التقلب بين أطباق النيران .

قال : ثم صاح وغُشي عليه وتصايح الناس من نواحي المجلس » .

٣١٩ـ لا تعمل عليَّ دركوان :

جاء في كتاب فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي (١/ ٧٥) في ترجمة الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام نادرة العصر تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني رحمه الله تعالى ما نصه :

« شكا له إنسان من قطلوبك الكبير ، وكان المذكور فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها ، وحكاياته في ذلك مشهورة .

فلما دخل إليه الشيخ وتكلم معه في ذلك ، قال :

أنا الذي كنت أريد أجيء إليك لأنك رجل عالم زاهد ـ يعني يستهزىء به .

فقال له : **لا تعمل عليَّ دركوان** ، موسى كان خيراً مني وفرعون كان شراً منك ، وكان موسى كل يوم يجيء إلى باب فرعون مرات ، ويعرض عليه الإيمان » .

● لا تعمل علي دركوان : لا تستهزىء بي .

٣٢٠ـ أنا بأمانة العلم أدخلتك إليَّ :

جاء في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٧٥ـ١٧٦) في ترجمة الإمام الفقيه العلامة داود بن علي الأصبهاني البغدادي الظاهري إمام الظاهرية رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أبو عبد الله المحاملي :

صليتُ صلاة عيد الفطر في جامع المدينة ، وقلتُ : أدخل على داود بن علي فأُهنئه ، فجئته وإذا بين يديه طبقٌ فيه أوراق هندباء ، وعُصارة فيها نُخالة وهو يأكل . فهنأته وعجبتُ من حاله! ورأيت أن جميع ما في الدنيا ليس بشيء .

فخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبي الصنيعة ـ أي فعل الخير

والكرم - يقال له : الجرجاني ، فخرج إليَّ حاسر الرأس حافي القدمين ، وقال لي : ما عَنَّى القاضي ؟!

قلت : مُهِمٌّ! قال : ما هو ؟

قلتُ : في جوارك داود بن علي ومكانه من العلم تعلمُهُ ، وأنت كثيرُ الصلة والرغبة في الخير تغفُلُ عنه ؟! وحدثته بما رأيت .

فقال الجرجاني : داودُ شرسُ الخُلْق! وجهتُ إليه البارحة بألف درهم ليستعين بها فردها عليَّ ، وقال للغلام : قُلْ له : بأيِّ عينٍ رأيتني ؟ وما الذي بلغك من حاجتي ، وخَلَّتي حتى بعثت لي بهذا ؟!

قال المحاملي : فعجبتُ وقلت للجرجاني : هات الدراهم ، فإني أحملها إليه فدفعها إليَّ ، وقال للغلام : ائتني بكيس آخر ، فوزن ألفاً أخرى وقال : تلك لنا وهذه لعناية القاضي .

فأخذت له الألفين وجئت إليه ، فقرعتُ الباب ودخلتُ وجلستُ ساعة ، ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه .

فقال : هذا جزاء من ائتمنك على سره ؟ أنا بأمانة العلم أدخلتك إليَّ ، ارجع فلا حاجة لي فيما معك .

قال المحاملي : فرجعتُ وقد صغُرت الدنيا في عيني ، وأخبرت الجرجاني فقال :

إني أخرجت هذه الدراهم لله تعالى ، فلا ترجعُ في مالي ، فليتولَّ القاضي إخراجها في أهل البر والعفاف » .

٣٢١ـ قد عرض لي ما أبقى في جسمي ندوباً تدخل معي القبر :

جاء في « إنباه الرواة على أنباه النحاة » للقفطي (٣/ ٣٦٢) في ترجمة هارون بن موسى بن صالح بن جندل أبو نصر القيسي الأديب النحوي القرطبي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أبو نصر هارون بن موسى :

كنا نختلف إلى أبي علي - القالي - البغدادي رحمه الله ، وقت إملائه « النوادر » بجامع الزهراء - في قرطبة - ، ونحن في فصل الربيع .

فبينما أنا ذات يوم في بعض الطريق ، إذ أخذتني سحابة ، فما وصلتُ إلى مجلسه رحمه الله إلا وقد ابتلت ثيابي كلها! وحوالي أبي علي أعلام أهل قرطبة ، فأمرني بالدنو منه ، وقال لي : مهلاً أبا نصر ، لا تأسف على ما عرض لك ، فذا شيء يضمحل عنك بسرعة بثياب غيرها تُبدلها .

وقال أبو علي : قد عرض لي ما أبقى بجسمي ندوباً تدخل معي القبر!

ثم قال :

أنا كنت أختلف إلى ابن مجاهد رحمه الله ، فأدلجت إليه - أي ذهبت إليه من آخر الليل قبل الفجر - لأتقرب منه . فلما انتهيت إلى الدرب الذي كنتُ أخرج منه إلى مجلسه ، ألفيته مغلقاً وعَسُرَ عليَّ فتحه ، فقلت : سبحان الله! أبكر هذا البكورَ ، وأُغلَبُ على القرب منه!! فنظرت إلى سرب - حفير تحت الأرض - بجنب الدار فاقتحمته ، فلما توسطته ضاق بي ولم أقدر على الخروج! ولا على النهوض! فاقتحمته أشد اقتحام ، حتى نفذت بعد أن تخرَّقَتْ ثيابي! وأثَّر السرب في لحمي حتى انكشف العظم! ومَنَّ الله عليَّ بالخروج ، فوافيت مجلس الشيخ على هذه الحال ، فأين أنت مما عرض لي ؟! وأنشدنا :

دَبَبْتُ للمَجْدِ والسَّاعون قد بلَغُوا ... جُهْدَ النفوس وألقَوْا دُونَه الأُزُرا
وكابَدُوا المجدَ حتى مَلَّ أكثرُهم ... وعانَقَ المجدَ من أوفَى ومن صَبَرا
لا تَحسبِ المجدَ تَمْراً أنتَ آكِلُه ... لن تَبلُغَ المجدَ حتى تلعَقَ الصَّبِرا

قال أبو نصر : فكتبناها قبل أن يأتي موضعها في « نوادره » وسلاني بما حكاه ، وهان عندي ما عرض لي من بلل الثياب ، واستكثرت من الاختلاف إليه ، ولم أفارقه حتى مات رحمه الله تعالى » .

٣٢٢ـ يا من يحاول بالأماني رتبتي :

جاء في مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري في ترجمة الإمام العلامة المفسر أبي القاسم الزمخشري رحمه الله تعالى ما نصه :

ومن كلامه :

سَهَري لتنقيح العلوم ألَذُّ لي ... من وَصْلِ غانِيَةٍ وطيبِ عِناقِ
وتمايُلي طَرَباً لِحَلِّ عَويصَةٍ ... أشْهَى وأحْلَى مِنْ مُدامَةِ سَاقِ
وصريرُ أقلامي على أوراقِها ... أحْلَى من الدُّوكاءِ والعُشاقِ
وألَذُّ مِنْ نَقْرِ الفَتاةِ لِدُفِّها ... نَقْري لأُلقي الرَّملَ عن أوراقي
يا مَنْ يُحاوِلُ بالأمانيْ رُتْبتي ... كَمْ بينَ مُسْتَفِل وآخَرَ راقي
أأبيتُ سهرانَ الدُّجى وتَبيتُهُ ... نوماً وتبغي بعد ذاك لَحاقي

٣٢٣ـ اسكت إنما أهلك فرعون هامان :

جاء في سراج الملوك (ص ٥١) والورع للإمام أحمد (ص ١٦٢) ومقدمة الجرح والتعديل (ص ١٤) في ترجمة الإمام القدوة العابد الفقيه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال سفيان الثوري :

لما حج أبو جعفر المنصور قال : لابد لي من سفيان . فوضعوا لي الرصد حول البيت فأخذوني بالليل ، فلما مثلت بين يديه أدناني ثم قال :

لأي شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا ، فما أمرتنا من شيء صرنا إليه ، وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه .

فقلت له : كم أنفقت في سفرك هذا ؟

قال : لا أدري ، لي أمناء ووكلاء .

قلت : فما عذرك غداً ، إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك ؟ لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لمّا حج قال لغلامه : كم أنفقت في سفرنا هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً .

فقال : ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين ، وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك ، وأول كاتب كتبه في المجلس ، عن إبراهيم عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « رب متخوض في مال الله ، ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً » .

فيقول أبو عبيد الكاتب أحد متزلفي الحاشية : أمير المؤمنين يُستقبل بمثل هذا ؟

فيجيبه سفيان : **اسكت إنما أهلك فرعون هامان ، وهامان فرعون** » .

٣٢٤ـ عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال :

جاء في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ما نصه :

« . . . جيء بالعالم حطيط الزيات إلى الحجاج ، فلما دخل عليه قال :

أنت حطيط ؟ قال : نعم .

قال حطيط : سل عما بدا لك فإني **عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال** : إن سئلت لأصدقن ، وإن ابتليت لأصبرن ، وإن عوفيت لأشكرن .

قال الحجاج : فما تقول فيَّ ؟

قال : أقول فيك أنك من أعداء الله في الأرض ، تنتهك المحارم وتقتل بالظنة .

قال : فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟

قال : أقول إنه أعظم جرماً منك ، وإنما أنت خطيئة من خطاياه .

فأمر الحجاج أن يضعوا عليه العذاب ، فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ، ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ، ثم جعلوا يمدون ـ يسلتون ـ قصبة قصبة ، حتى انتحلوا لحمه ، فما سمعوه يقول شيئاً .

فقيل للحجاج : إنه في آخر رمق .

فقال : أخرجوه فارموا به في السوق .

قال جعفر ـ وهو الراوي ـ : فأتيته وصاحب له ، فقلنا له : حطيط ألك حاجة ؟

قال : شربة ماء .

فأتوه بشربة ثم استشهد » رحمه الله تعالى .

٣٢٥ـ لا أدخلها والظاهر فيها :

جاء في ترجمة الإمام النووي للحافظ السخاوي (ص ٨٠) ما نصه :

« لما خرج الظاهر (بيبرس) إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم .

فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه ، فقال :

هل بقي من أحد ؟ فقيل له : نعم ، بقي الشيخ محيي الدين النووي .

فطلبه فحضر فقال له : اكتب خطك مع الفقهاء . فامتنع ، فقال : ما سبب امتناعك ؟

فقال : أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير (بندقدار) وليس لك مال ثم منَّ الله عليك وجعلك ملكاً ، وسمعت عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مئتا جارية لكل جارية حق من الحلي ، فإذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلاً من الخوائص ، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي ، أفتيتك بأخذ المال من الرعية .

فغضب (الظاهر) من كلامه وقال : اخرج من بلدي ـ يعني دمشق .

فقال : السمع والطاعة .

وخرج إلى (نوى) فقال الفقهاء : إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده إلى دمشق .

فرسم برجوعه ، فامتنع الشيخ وقال :

لا أدخلها والظاهر فيها ، فمات بعد شهر » .

٣٢٦ـ ما أنت بحامل من وزري شيئاً يوم القيامة :

جاء في سيرة عمر بن الخطاب للإمام ابن الجوزي (ص ٤٩ـ٥٠) ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ٦٧) ، والرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (٢/ ٣٨٥) ما نصه :

« عن زيد بن أسلم عن أبيه قال :

خرجنا مع عمر إلى « حرة » ، وأقام ، إذا نار ، فقال : يا أسلم إني لأرى هاهنا ركباً قد مضى بهم الليل والبرد ، فانطلق بنا .

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا بامرأة معها صبيان صغار وقدر منصوبة على نار ، وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ؟

قالت : وعليك السلام .

قال : أدنو ؟ قالت : ادن بخير .

فدنا فقال : ما بالكم ؟

قالت : قصر بنا الليل والبرد .

قال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون .

قالت : الجوع .

قال : فأي شيء في هذه القدر .

قالت : ماء أسكنهم به حتى يناموا .

فولى وأقبل عليَّ وقال : انطلق بنا .

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلاً من دقيق وكبة من شحم .

فقال : احمله علي .

فقلت : أنا أحمله عنك .

قال : **ما أنت بحامل من وزري شيئاً يوم القيامة ، لا أم لك ، فحملته** عليه ، فانطلق وانطلقت معه ، فألقى ذلك عندها ، ثم أخرج من الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها :

ذري علي وأنا أحرك .

وجعل والله ينفخ تحت القدر ثم أنزلها .

فقال : ابغني شيئاً ، فأتته بصفحة ، فلم يزل حتى شبعوا فجعلت تقول : جزاك الله خيراً ، كنت أولى بهذا الأمر من عمر .

فيقول : قولي خيراً ، ثم تنحى عنها ، ثم ربض فقلت : لك شأن غير هذا .

فلم يكلمني ، حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم قاموا ، فقال : يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت أن لا أنصرف حتى أراهم يلعبون مثل ما رأيت » .

٣٢٧ـ السعاية قبيحة ، ولو كانت صحيحة :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢١٠) في ترجمة الوزير محمد بن علي بن خلف أبو غالب ، الملقب بفخر الملك رحمه الله تعالى ما نصه :

« أنه وقع في قصة رجل سعى برجل :

السعاية قبيحة ، ولو كانت صحيحة ، فلئن كنت أخرجتها بالنصح ، فخسرانك فيها أكثر من الربح ، وإنا لا ندخل في محظور ، ولا نسمع قول مهتوك في مستور ، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك على جريرتك ، مقابلة تشبه أفعالك ، وتروع أمثالك ، فاستر على نفسك هذا العيب ، واتق من يعلم الغيب فإن الله تعالى للصالح والطالح بالمرصاد » .

٣٢٨ـ لا حاجة لنا في مال الأيتام :

جاء في كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٨/ ١٢٩) في ترجمة ذو السعادات محمد بن جعفر بن أبي الفرج الوزير رحمه الله ما نصه :

« كتب إليه بعض الناس أن فلاناً قد توفي ، وخلف خمسين ألف دينار ، وعقاراً بخمسين ألف دينار ، وخلف طفلاً ، فإن رأى الوزير ، أن يستقرض هذا المال إلى وقت بلوغ الصبي ، ويحفظ عليه ضياعه فعل .

فكتب على ظهر السعاية :

أما المتوفى رحمه الله ، والطفل جيرة الله ، والمال ثمره الله ، والساعي لعنه الله ، **لا حاجة لنا إلى مال الأيتام** » .

٣٢٩ـ أردت نفسي على الموت فأبت فلما أجابتني ظهرت :

جاء في تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٦) في ترجمة الإمام العلم الزاهد الرباني العابد المجاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى ما نصه :

« لما قدم الرشيد « عين زربة » طلب ابن المبارك .

قال أبو سليمان : فذكرت وقلت : إن ابن المبارك رجل خراساني لا آمن أن يجيب أمير المؤمنين بما يكره فيقتله ، فأكون قد أهلكت أمير المؤمنين ، وأهلكت ابن المبارك ، وأهلكت نفسي .

فأمسك الرشيد عن السؤال عنه ثم عاود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ابن المبارك جلف غليظ الطباع .

فأمسك الرشيد ، ثم ظهر ابن المبارك بعد ثلاث فقيل له : تجنبت ثم ظهرت ؟

قال : **أردت نفسي على الموت فأبت ، فلما أجابتني ظهرت** » .

٣٣٠ـ أردت أن أعرفك أنَّا فُزْنا بالملك ، وشاركنا فيما أنت فيه :

جاء في كتاب « مجالس العلماء » لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ص ١٠٨) في ترجمة عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن الشعبي قال :

دخلت على عبد الملك بن مروان ، فوجدته في سِراءٍ معَ بعض من يقرب منه فوقفت ساعة لا يرفع إلي طرفه .

فقلت : يا أمير المؤمنين عامر الشعبي .

فقال : لم نأذن لك حتى عرفنا اسمك .

فقلت : نقدة والله من أمير المؤمنين .

فلما فرغ مما كان فيه ، وأقبل على الناس رأيت في المجلس رجلاً ذا رواء وهيئة لم أعرفه .

فقلت : من هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : الخلفاء تسأل ولا تُسأل ، هذا الأخطل الشاعر .

قلت في نفسي : هذه أخرى ، وخضنا في الحديث ، فمر له شيء لم أعرفه .

فقلت : أكتبنيه يا أمير المؤمنين .

فقال : الخلفاء تَستكتِب ولا تُستكتَب .

فقلت : هذه ثالثة .

وذهبت لأقوم فأشار إلي بالقعود ، فقعدت حتى خف من كان عنده ، ثم دعا بالطعام ، فقدمت إليه المائدة فرأيت عليها صفحة فيها مخ ، وكذا كانت عادته أن يقدم إليه قبل كل شيء .

فقلت : هذا يا أمير المؤمنين كما قال الله عز وجل : ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ : ١٣] .

فقال : يا شعبي مازحتَ من لم يُمازحك .

فقلت : هذه والله رابعة .

فلما فرغ من الطعام ، وقعد في مجلسه ، واندفعنا في الحديث وذهبت لأتكلم فما ابتدأت بشيء من الكلام إلا استلبه مني ، فحدث الناس به ، ولا أنشدته شعراً إلا فعل مثل ذلك ، فغمني ذلك ، وانكسر بالي له ، فما زلنا على ذلك بقية نهارنا ، فلما كان آخر وقتنا التفت إلي فقال : يا شعبي ، قد والله تبينت الكراهة في وجهك لما فعلت ، وتدري أي شيء حملني على ذلك .

قلت : لا ، يا أمير المؤمنين .

قال : لئلا تقول : لئن فازوا بالملك أولاً ، لقد فزنا بالعلم ، فأردت أن أعرفك أنَّا فُزْنا بالملك ، وشاركنا فيما أنت فيه .

ثم أمر لي بمال ، فقمت من عنده وقد زللت أربع زلات » .

٣٣١ـ أنا عَبْدٌ مُدَبَّر :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٨/ ٣٦٣) في ترجمة الإمام القدوة العابد الرباني معروف الكرخي أبو محفوظ البغدادي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عبد الجبار بن عبد الله ، قال :

دعا معروفاً الكرخي أخ من إخوانه إلى وليمة ، وكان قدامه بعض السُّياح ، فأخذ معروف بيده ، فلما رأى السائح تلك الألوان أنكرها .

وقال : يا أبا محفوظ ، أما ترى ما ههنا ؟

قال : ما أمرتهم بشرائه .

فلما رأى الحلواء .

قال : سبحان الله ، يا أبا محفوظ ، أما ترى ما ههنا ؟

قال معروف : ما أمرتهم بصنعته .

فلما رأى فنون الحلواء .

قال : أما ترى ما ههنا ؟

قال معروف : قد أكثرت عليَّ ، **أنا عَبْدٌ مُدَبَّرٌ ، آكل ما يطعمني ، وأنزل حيث ينزلني** » .

٣٣٢ـ انزل فإن السخي لا تؤدبه التجارب :

جاء في البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٩/ ٣٤٣) ما نصه :

« جاء عن الشافعي أنه قال :

عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الإسراف ، وكان يستدين ، فقال له : لا آمن أن يحبس هؤلاء ما بأيديهم عنك ، فتكون قد حملت أمانيك .

قال : فوعده الزهري أن يقتصر ، فمر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ، ونصب موائد العسل ، فوقف به رجاء ، وقال :

يا أبا بكر ما هذا بالذي فارقتنا عليه .

فقال الزهري : **انزل فإن السخي لا تؤدبه التجارب** » .

٣٣٣ـ لو صح لي الثلاث ما زدت عليها :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٤/ ٢٢٨) في ترجمة الشيخ الإمام الفقيه إبراهيم بن علي بن يوسف ، جمال الدين أبو إسحاق الفيروزأبادي الشيرازي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابن السبكي ، قال أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي :

كان الشيخ يتوضأ في الشط ، فنزل المشرعة يوماً ، وكان يشك في غسل وجهه ويكرر حتى غسل نوباً عدة ، فوصل إليه بعض العوام .

وقال له : يا شيخ أما تستحي ، تغسل وجهك كذا وكذا نوبة ، وقد قال النَّبي ﷺ : « من زاد على الثلاث فقد أسرف » ؟

فقال له الشيخ : **لو صح لي الثلاث ما زدت عليها .**

فمضى وخلاه ، فقال له واحد : إيش قلت لذلك الشيخ ، الذي كان يتوضأ ؟

فقال الرجل : ذاك الشيخ موسوس ، قلت له كذا على كذا ، فقال له : أما تعرفه ؟

فقال : لا .

قال : ذاك إمام الدنيا ، وشيخ المسلمين ، ومفتي أصحاب الشافعي .

فرجع ذلك الرجل خجلاً إلى الشيخ ، وقال : يا سيدي تعذرني ، فإني قد أخطأت وما عرفتك .

فقال الشيخ : الذي قلت صحيح ، فإنه لا يجوز الزيادة على الثلاث ، والذي أجبتك به أيضاً صحيح ، لو صح لي الثلاث ما زدت عليها » .

٣٣٤ـ قد وقع في خَلَدي أمرٌ ما أَحْسِبُه باطلاً :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٥/١٣) في ترجمة الخليفة العباسي ، أبو العباس ، أحمد بن الموفق بالله طلحة بن المتوكل الهاشمي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أبو علي المحسن التنوخي :

بلغني عن المعتضد أنه كان جالساً في بيت يبنى له ، فرأى فيهم أسود منكر الخلقة يصعد السلالم درجتين درجتين ، ويحمل ضعف ما يحمله غيره ، فأنكر ذلك ، وطلبه ، وسأله عن سبب ذلك ، فتلجلج ، فكلمه ابن حمدون فيه .

وقال : من هذا حتى صرفت فكرك إليه ؟

قال : **قد وقع في خَلَدي أمرٌ ما أَحْسَبُه باطلاً .**

ثم أمر به ، فضرب مئة ، وتهدده بالقتل ، ودعا بالنطْع والسيف .

فقال : الأمان ، أنا أعمل في أتون الآجر ، فدخل من شهور رجل في وسطه هميان ، فأخرج دنانير ، فوثبت عليه ، وسددت فاه ، وكتفته ، وألقيته في الأتون ، والذهب معي يقوى به قلبي .

فاستحضرها ، فإذا على الهميان اسم صاحبه ، فنودي في البلد ، فجاءت امرأة ، فقالت : هو زوجي ولي منه طفل ، فسلم الذهب إليها ، وقتله » .

٣٣٥ـ كان الحق آثر عندي من غيره :

جاء في ترتيب المدارك (٢/ ٥٧٦) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦ـ٥٧) في ترجمة الإمام الفقيه أبو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف المالكي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الكندي :

كان كلما حضر قال له المأمون : يا ساعي ، يرددها عليه .

فقال له : لست بساعي ، وإن أذن أمير المؤمنين في الكلام تكلمت .

قال : تكلم .

قال : والله يا أمير المؤمنين ما أنا بساعي ، ولكني أحضرت ، فسمعت وأطعت حين دعيت ، ثم سئلت عن أمر فاستعفيت ، فلم أعف ثلاثاً ، فلما رأيت أنه لابد لي من الكلام ، **كان الحق آثر عندي من غيره** .

قال المأمون : هذا رجل أراد أن يرفع له علم في بلده ، خذه إليك .

ثم حمله إلى العراق ، وخرجت إليه امرأته ، وحمل ابنه إبراهيم إلى الثغور » .

٣٣٦ـ ما قبضت منه شيئاً :

جاء في حلية الأولياء وتهذيب الكمال للمزي ١٣/ ٣٧٠ـ٣٧١) في ترجمة الإمام الرباني القدوة طاووس بن كيسان اليماني رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن النعمان بن الزبير الصنعاني قال :

أن محمد بن يوسف أو أيوب بن يحيى ، بعث إلى طاوس بسبع مئة دينار ، أو خمس مئة ، وقيل للرسول : إن أخذها منك ، فإن الأمير سيكسوك ، ويُحسن إليك .

قال : فخرج بها حتى قدم على طاووس الجَنَد ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، نفقة بعث بها الأمير إليك .

قال : ما لي بها حاجة ، فأراده على أخذها فأبى ، فغفل طاووس فرمى بها في كُوة البيت ، ثم ذهب .

فقال لهم : قد أخذها ، فلبثوا حيناً ، ثم بلغهم عن طاووس شيء يكرهونه .

فقال : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا .

فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعث به إليك الأمير .

قال : ما قبضت منه شيئاً .

فرجع الرسول ، فأخبرهم ، فعرفوا أنه صادق .

فقيل : انظروا الذي ذهب بها ، فابعثوا إليه .

فقال : المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن .

قال : هل قبضت منك شيئاً ؟

قال : لا .

قال : فقيل له : هل تدري أين وضعته ؟

قال : نعم في تلك الكوة .

قال : فانظر حيث وضعته .

قال : فمد يده ، فإذا هو بالصُّرة قد بَنَت عليها العنكبوت .

قال : فأخذها فذهب بها إليهم » .

٣٣٧ـ يقطعني الحياء لقُبْحِ ما أنا عليه :

جاء في المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد لأبي اليمن مجير الدين العليمي (١/١٨٦) في ترجمة جعفر بن محمد بن شاكر أبو محمد الصائغ رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ـ محمد بن شاكر ـ :

كان في جوار أحمد بن حنبل رجل وكان ممن يُمارس المعاصي والقاذورات ، فجاء إلى أحمد بن حنبل ، فسلَّم عليه ، وكان أحمد لم يرد عليه مرداً تاماً ، وانقبض منه .

فقال له : يا أبا عبد الله لِمَ تنقبض مني ، فإني قد انتقلت عما كنت تعهد مني برؤيا رأيتها .

قال : وأي شيء رأيت ؟ تقدم .

قال : رأيت النَّبي ﷺ في النوم كأنه على علو من الأرض وناسٌ كثير أسفل منه جلوس .

قال : فيقوم رجل إليه ، فيقول : ادع لي ، فيدعو له ، حتى لم يبق من القوم غيري ، قال : فأردتُ أن أقوم فاستحييتُ من قبيح ما كنت عليه .

قال : فقال لي : يا فُلان لم لا تقوم إليَّ فتسألني أدعو لك ؟

قال : فقلت : **يارسول الله يقطعني الحياء لقبح ما أنا عليه** .

فقال : إن كان يقطعك فقم فاسألني أدعو لك ، فإنك لا تسُبُّ أحداً من أصحابي .

قال : فقمت ، فدعا لي ، فانتبهت وقد بغَّضَ الله إليَّ ما كنت عليه .

قال : فقال لنا أبو عبد الله : يا جعفر يا فلان حدثوا بهذا واحفظوه ، فإنه ينفع » .

٣٣٨ـ الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل :

جاء في كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية (١/ ٦٩ـ٧٠) ما نصه :

« لأن الحق هو الذي مات عليه الجماعة الأولى من عهد النَّبي ﷺ وأصحابه ولا نظر إلى كثرة أهل البدع بعدهم .

قال عمرو بن ميمون الأودي : صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتى واريته التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فسمعته يقول : عليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الجماعة .

ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول : سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فصلوا الصلاة لميقاتها ، فهي الفريضة ، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة .

قال : قلت : يا أصحاب محمد ، ما أدري ما تحدثونا ؟

قال : وما ذاك ؟

قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها .

ثم تقول : صل الصلاة وحدك ، وهي الفريضة ، وصل مع الجماعة ، وهي النافلة ؟

قال : يا عمرو بن ميمون ، قد كنت أظنك أفقه أهل هذه القرية ، تدري ما الجماعة ؟

قلت : لا . قال : إن جمهور الجماعة : الذين فارقوا الجماعة ، الجماعة ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك » .

وفي طريق أخرى : فضرب على فخذي ، وقال : ويحك ، إن جمهور الناس ، فارقوا الجماعة ، وإن **الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل** .

قال نعيم بن حماد : « يعني إذا فسدت الجماعة ، فعليك بما كانت عليه

الجماعة قبل أن تفسد ، وإن كنت وحدك ، فإنك أنت الجماعة حينئذ »
ذكره البيهقي وغيره .

٣٣٩ـ ذاك أحمد السرماري :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٣٨ـ٣٩) في ترجمة الإمام ، الزاهد ، المجاهد ، العابد ، فارس الإسلام ، أحمد بن إسحاق ، أبو إسحاق السرماري المتوفى سنة اثنتين وأربعين ومئتين رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن إبراهيم بن شماس قال :

كنتُ أُكاتب أحمد بن إسحاق السُّرْمَاري ، فكتب إليَّ :

إذا أردت الخروج إلى بلاد الغُزَيَّة في شراء الأسرى ، فاكتب إليَّ .

فكتبت إليه ، فقَدِمَ سَمَرْقَنْد ، فخرجنا ، فلما علم جعبويه ، استقبلنا في عِدةٍ من جيوشه ، فأقمنا عنده ، فعرض يوماً جيشه ، فمر رجل ، فعظَّمه ، وخلع عليه ، فسألني عنه السرماري ، فقلت : هذا رجل مبارزٌ ، يعد بألف فارس .

قال : أنا أبارزه ، فسَكَتُّ .

فقال جعبويه : ما يقول هذا ؟ قلت : يقول كذا وكذا .

قال : لعله سكران لا يشعر ، ولكن غداً نركبُ .

فلما كان الغد ركبوا ، فركب السُّرماري معه عمودٌ في كمه ، فقام بإزاء المبارز ، فقصده ، فهرب أحمد حتى باعده من الجيش ، ثم كر ، وضربه بالعمود فقتله ، وتبع إبراهيم بن شماس ، لأنه كان سبقه ، فلحقه .

وعلم جعبويه ، فجهز في طلبه خمسين فارساً نقاوة ، فأدركوه ، فثبت تحت تل مختفياً ، حتى مروا كلهم ، واحداً بعد واحدٍ ، وجعل يضرب بعموده من ورائهم ، إلى أن قتل تسعة وأربعين ، وأمسك واحداً ، قطع أنفه وأذنيه ، وأطلقه ليُخبر .

ثم بعد عامين تُوفي أحمد ، وذهب ابن شماس في الفداء ، فقال له جعبويه : من ذاك الذي قتل فرساننا ؟

قال : ذاك أحمد الشرماري .

قال : فلم لم تحمله معك ؟

قلت : توفي . فصك في وجهي ، وقال : لو أعلمتني أنه هو لكنت أعطيه خمس مئة برذون ، وعشرة آلاف شاة »[1] .

٣٤٠ـ انظر أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار ؟

جاء في المصباح المضيء (٢/ ١٧٣) ما نصه :

وعظ ابن السماك أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي الله مقاماً ، وإن لك من مقامك منصرفاً ، **فانظر إلى أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار ؟**

فبكى هارون حتى كاد أن يموت » .

---

(١) كان أحمد السرماري أحد الثقات، وشجاعته يضرب بها المثل. قال إبراهيم بن عفان البزاز: كنتُ عند أبي عبد الله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاق السرماري، فقال: ما نعلم في الإسلام مثله، فخرجت، فإذا أحيد رئيس المُطَّوِّعة، فأخبرته، فغضب ودخل على البخاري، وسأله، فقال: ما كذا قلت، بل: ما بلغنا أنه كان في الإسلام والجاهلية مثله.

- وعن عمران بن محمد المُطوعي: سمعت أبي يقول: كان عمود المطوعي الشُرماري وزنه ثمانية عشر مناً، فلما شاخ جعله اثني عشر مناً، وكان به يقاتل».

● المن: زنة رطلين.

- وعن محمود بن سهل الكاتب، قال: كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكاناً، ورئيس العدو قاعد على صُفَّة، فرمى الشُرماري سهماً، فغرزه في الصَّفة. فأومأ الرئيس لينزعه، فرماه بسهم آخر خاط يده، فتطاول الكافر لينتزعه من يده، فرماه بسهم ثالث في نحره، فانهزم العدو، وكان الفتح.

قال الذهبي: أخبار هذا الغازي تسر قلب المسلم.

انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧ـ٤٠).

٣٤١ـ جئنا لتحمد الله ونحمده معك :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ١١١) في ترجمة الإمام الرباني العابد أحد الزهاد الثمانية أبو يزيد الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى :

« عن أبي وائل قال :

أتينا الربيع بن خيثم فقال : ما جاء بكم ؟

قلنا : **جئنا لتحمد الله ونحمده معك** ، وتذكر الله ونذكره معك .

قال : الحمد لله إذ لم تأتوني تقولون جئنا تشرب فنشرب معك ، وتزني فنزني معك » .

٣٤٢ـ صيروا أمر الله عز وجل فضولاً :

جاء في كتاب الآداب الشرعية (١/ ٢١٧) ما نصه :

« عن عمر بن صالح :

قال لي أبو عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ :

يا أبا حفص يأتي على الناس زمان المؤمن بينهم مثل الجيفة ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع .

فقلت : وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع ؟

قال : **صيروا أمر الله عز وجل فضولاً** .

قال : المؤمن إذا رأى أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر لم يصبر حتى يأمر وينهى ، يعني قالوا هذا فضول .

قال : والمنافق كل شيء يراه قال بيده على أنفه ، فيقال : نعم الرجل ليس بينه وبين الفضول عمل » .

٣٤٣ـ قد وعدني الله عز وجل أن يغفر لي :

جاء في كتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي (ص ١٣٢) ما نصه :

« عن يزيد بن الأصم :

أن رجلاً كان ذا بأس ، وكان يوفد إلى عمر لبأسه ، وكان من أهل الشام ، وأن عمر فقده ، فسأل عنه فقيل : تتابع في هذا الشرب ، فدعى كاتبه ، فقال : اكتب : من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان .

سلام عليكم . .

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ﴿غافر الذنب﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وإليه المصير﴾ .

ثم دعا وأمن من عنده ، ودعوا له أن الله يقبله عز وجل ، وأن يتوب عليه .

فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول : ﴿غافر الذنب﴾ ، **قد وعدني الله عز وجل أن يغفر لي** ، ﴿وقابل التوب شديد العقاب﴾ قد حذرني الله من عقابه ، ﴿ذي الطول﴾ والطول الخير الكثير ﴿إليه المصير﴾ ، فلم يزل يرددها على نفسه ، ثم بكى ، ثم نزع فأحسن النزع ، فلما بلغ عمر ، ـ رضوان الله عليه ـ خبره ، قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة ، فسددوه ، ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه » .

٣٤٤ـ كيف منزلتك من قومك :

جاء في كتاب تنبيه الغافلين للنحاس (ص ٩٦) ما نصه :

« سأل كعب الأحبار أبا مسلم الخولاني فقال له :

كيف منزلتك من قومك ؟

قال : حسنة .

قال كعب : إن التوراة لتقول غير ذلك .

قال : وما تقول ؟

قال : تقول : إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه .

فقال : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم » .

٣٤٥ـ لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود :

جاء في مفتاح السعادة لابن القيم (١/ ١٦٥) ما نصه :

« قال إبراهيم الحربي :

كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من مكة ، قال : وجاء سليمان بن عبد الملك ـ أمير المؤمنين ـ إلى عطاء هو وابناه ، فجلسوا إليه وهو يصلي ، فلما صلى انفتل إليهم ، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج ، وقد حول قفاه إليهم! ثم قال سليمان لابنيه : قوما ، فقاما .

فقال : يا بني ، لا تنيا في طلب العلم ، فإني **لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود** »[(١)] .

---

(١) وفي رفع العلم لشأن أصحابه، وإعلائه لمكانته يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

العلم مغرس كل فضل فافتخر	واحذر يفوتك فخر ذاك المغرس
واعلم بأن العلم ليس يناله	من همُّه في مطعم أو ملبس
إلا أخو العلم الذي يُعنى به	في حالتيه عارياً أو مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً	واهجر له طيب الرقاد وعَبَس
فلعل يوماً إن حضرت لمجلس	كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

انظر ديوان الإمام الشافعي (ص ٨٧).

ولقد صدق والله، فانظر لما طلع عطاء بن أبي رباح كالشمس على المجلس تضاءل نجم الخليفة، وخفت نوره، وأصبح عطاء كالأمير، والخليفة.

٣٤٦ـ أريد أن أسألك عن ثلاث خلال :

جاء في تهذيب تاريخ ابن عساكر (١٤٦/٧) ومروج الذهب (٣/ ٦٠) في ترجمة الإمام الفقيه عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الشعبي :

أنفذني عبد الملك إلى ملك الروم فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته ، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده ، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحببت خروجي ، فلما أردت الانصراف ، قال لي :

أمن أهل بيت المملكة أنت ؟

قلت : لا .

فقال : أنت أحق بموضع صاحبك منك .

قلت : على بابه عشرة آلاف كلهم خير مني .

قال : هذا من عقلك ، قال : **أريد أن أسألك عن ثلاث خلال فإن خرجت منهن فأنت أعلم الناس** .

قلت : سل .

قال : حتى تخرج وأشيعك وأسأل عنهن فتمضي وليس في نفسي منهن شيء .

فلما شيعني قلت : سل الثلاث خلال .

فقال : يا شعبي ، لكم مثل ؟

قلت : نعم ليس في الأرض مثل مثله .

قال : وما هو ؟

قلت : إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

قال : حسبك ، ما سمعت بهذا المثل قط .

قال : يا شعبي ، لم غيرت لحيتك بصفرة ؟ ألا صبرت على البياض كما ابتليت ؟ أو رددتها إلى نسجها الأول فخضبت بالسواد ؟

فقلت : هذه سنة نبينا .

فقال : ما جاء فيه النبيون فليس فيه حيلة .

ثم قال : فأخبرني أنت خير أم أبوك ؟

قلت : أبي خير مني .

قال : وأنت خير من ابنك ؟

قلت : نعم .

قال : وابنك خير من ابن ابنك ؟

فقلت : نعم .

قال : الحمد لله الذي أظفرني بك يا شعبي ، آخركم يكون قردة وخنازير إذا كنتم تزدادون في كل قرن شراً » .

٣٤٧ـ الناسك حقاً :

جاء في كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص ٢٩١) ما نصه :

« قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتياناً يقصرون في المشي ويتكلمون رويداً .

فقالت : ما هذا ؟

قالوا : نساك .

قالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقاً » .

٣٤٨ـ أتدري ما الذي يجرؤك علينا ، ويجنبنا عنك ؟

جاء في كتاب تنبيه الغافلين للنحاس (ص ٤٩) ما نصه :

« دخل مالك بن دينار رحمه الله على أمير البصرة فقال له :

قرأت في بعض الكتب : من أحمق من السلطان ، ومن أجهل ممن عصاني ، ومن أعز ممن اعتز بي .

أيها الراعي السوء ، دفعت إليك غنماً سماناً صحاحاً ، فأكلت اللحم ولبست الصوف ، وتركتها عظاماً تقعقع .

فقال الأمير : أتدري ما الذي يجرؤك علينا ويجنبنا عنك ؟

قال : لا .

قال : قلة الطمع إلينا ، وترك الإمساك عما في أيدينا » .

٣٤٩ـ من وثق بثواب الله لم يضره مس الأذى :

جاء في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي (٧/ ٢٦٦) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ما نصه :

« عن أبي جعفر الخطمي أن جده عمير بن حبيب بن حماشة ـ وكان قد أدرك النَّبي ﷺ عند احتلامه ـ أوصى ولده فقال :

يا بني! إياك ومجالسة السفهاء ، فإن مجالستهم داء ، ومن يحلم عن السفيه يُسر ، ومن يحبه يندم ، ومن لا يرضى بالقليل مما يأتي به السفيه ، يرضى بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى ، ويثق بالثواب من الله تعالى ، **فإنه من وثق بالثواب من الله عز وجل لم يضره مس الأذى** » .

٣٥ـ من قصص الإيثار والمواساة :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٥٨) في ترجمة الإمام المحدث يعقوب بن شيبة بن الصلت ، أبو يوسف السدوسي مولاهم ، رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال يوسف بن إسحاق بن البهلول :

قال يعقوب بن شيبة :

أظل عيد من الأعياد رجلاً ، وعنده مئة دينار لا يملك سواها ، فكتب ليه أخ يخبره أن العيد أظله ، ولا شيء عنده ينفقه على الصبيان ، ويستدعي

منه نفقة ، فوجه إليه المئة في صرة ، قد ختمها .

فلم يكتب حتى كتب أخ آخر إلى ذلك الرجل ، يشكو له مثل شكواه هو للأول ، ويستدعي مثل ما استدعاه .

فوجه الصرة إليه بختمها ، وبقي الأول بلا شيء . فكتب إلى صديق له : يستدعي منه نفقة ، ويذكر إضاقته ، فإذا به الثالث الذي عنده الصرة ، فوجه بها إليه بختمها ، فعرفها واستراب شأنها ، فركب إليه ومعه الصرة ، وسأله عن شأنها ، فأخبره أنها وصلت إليه من صديقه فلان ، بعد ما استدعيت منه ما أنفقه ، فلما وردت رقعتك عليَّ آثرتك بها .

فقال له : قم بنا إليه .

فركبا جميعاً إلى الثاني ومعهما الصرة ، فتواصلوا الحديث ، ثم فتحوها ، فاقتسموها أثلاثاً .

قال يوسف : والثلاثة : يعقوب بن شيبة ، وأبو حسان الزيادي ، وفلان ، سماه » .

٣٥١- إنك من أولاد الأنبياء :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ١١١) في ترجمة الإمام الرباني القدوة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن محمد بن إسحاق قال :

خرج يوماً من المسجد فسبَّه رجل فانتدب الناس إليه ، فقال : دعوه .

ثم أقبل عليه ، فقال : ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟

فاستحيا الرجل ، فألقى عليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : **إنك من أولاد الأنبياء** » .

● الخميصة : ثوب أسود مربع .

٣٥٢ـ اللهم لا تشمت بي أهل الأديان :

جاء في كتاب المصباح المضيء (١/ ٤٢١) ما نصه :

« عن فرقد مولى المهدي قال :

هاجت ريح زمن المهدي ، فدخل المهدي بيتاً في جوف بين ، فألزق خده بالتراب ثم قال :

اللهم إني أُبرىء من هذه الجناية كل هذا الخلق غيري ، فإن كنت المطلوب من بين خلقك منها ، أنا بين يديك ، **اللهم لا تشمت بي أهل الأديان** .

فلم يزل كذلك حتى انجلت الريح » .

٣٥٣ـ عاقبة شهادة الزور في إمام من أئمة المسلمين :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ١٧٧ـ١٧٨) وتهذيب الكمال للمزي (١/ ٥١٠ـ٥١١) في ترجمة الإمام الشهيد القدوة الرباني أبي عبد الله أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أبي العباس بن سعيد ـ المروزي ـ قال :

لما جلس المتوكل دخل عليه عبد العزيز بن يحيى المكي . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رؤي أعجب من أمر الواثق قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن .

قال : فوجد المتوكل من ذلك وساءه ما سمعه في أخيه ، إذ دخل عليه محمد بن عبد الملك الزيات فقال له :

يا ابن عبد الملك ! في قلبي من قتل أحمد بن نصر .

فقال : يا أمير المؤمنين أحرقني الله بالنار أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً .

قال : ودخل عليه هرثمة فقال : يا هرثمة في قلبي من قتل أحمد بن نصر .

فقال : يا أمير المؤمنين قطعني الله إرباً إرباً أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً .

قال : ودخل عليه أحمد بن أبي دؤاد .

قال : يا أحمد في قلبي من قتل أحمد بن نصر .

فقال : يا أمير المؤمنين ضربني الله بالفالج أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً .

قال المتوكل : فأما ابن الزيات فأنا أحرقته بالنار ، وأما هرثمة فإنه هرب ، وتبدى ، واجتاز بقبيلة خزاعة ، فعرفه رجل في الحي فقال :

يا معشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمكم أحمد بن نصر فقطعوه إرباً إرباً .

وأما ابن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده » .

٣٥٤ـ ما دواؤهن إلا أن تتوب ثم لا تعود :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ١٠٨) وطبقات ابن سعد (٦/ ١٨٥) وتهذيب الكمال (٩/ ٧٢ـ٧٣) في ترجمة الإمام الرباني القدوة الزاهد الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن منذر الثوري قال :

كان الربيع إذا أتاه الرجل يسأله قال :

اتق الله فيما علمت ، وما استؤثر عليك فكله إلى عالمه ، لأنا أنا عليكم في العمد أخوف مني عليكم في الخطأ ، وما خيرتكم اليوم بخير ، ولكنه خير من آخر شر منه ، وما تتبعون الخير حق اتباعه ، وما تفرون من الناس حق فراره ، ولا كل ما نزل على محمد ﷺ أدركتم ، ولا كل ما تقرؤون تدرون ما هو ؟

ثم يقول : السرائر السرائر اللاتي تخفينَّ من الناس وهن لله تعالى بوادٍ ، التمسوا دواءهن .

ثم يقول :

وما دواؤهن إلا أن تتوب ثم لا تعود » .

٣٥٥ـ لا ترضى أن يكون أحد أشكر له منك :

جاء في كتاب « الآداب الشرعية » (١/ ١٩٧) ما نصه :

« وعظ الإمام ابن الجوزي الخليفة المستضيء بأمر الله فقال له :

لو أني مثلت بين يدي السدة الشريفة لقلت يا أمير المؤمنين كن لله سبحانه مع حاجتك إليه ، كما كان لك مع غناه عنك ، إنه لم يجعل أحداً فوقك ، فلا **تَرْضَ أن يكون أحد أشكر له منك** » .

٣٥٦ـ اشترينا لسانه ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح :

جاء في كتاب المصباح المضيء (١/ ٤٢٠) ما نصه :

« أن المهدي قد قعد للناس يوماً ، فدخل رجل وفي يده نعل في منديل .

فقال : يا أمير المؤمنين ، نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك .

فقال : هاتها .

فدفعها إليه فقبل باطنهما ووضعهما على عينه ، وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم .

فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه : أترون أني لم أعلم أن رسول الله ﷺ لم يرها ، فضلاً عن أن يكون لبسها ، ولو كذبناه لقال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ فردها علي ، وكان مَنْ يصدقه أكثر ممن يدفع خبره حتى إذا كان في شأن العامة الميل إلى إشكالها ، والنصرة للضعيف على القوي ، **فاشترينا لسانه ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح** » .

٣٥٧ـ من تواضع لله رفعه :

جاء في المدخل لابن الحاج (٢/ ١٢٢) كلمة عن التواضع ما نصه :

« قال رحمه الله :

من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى ، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول ، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعد إلى أعلاها ، فكأن سائلاً سأله : ما صعد بك هنا ، أعني في رأس الشجرة ، وأنت قد نزلت تحت أصلها ؟ ؟

فكأن لسان حاله يقول : من تواضع لله رفعه » .

٣٥٨ـ إنما أبغض عمله :

جاء في كتاب مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ص ١٢٨) ما نصه :

« أن أبا الدرداء رضي الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبونه .

فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قليب ، ألم تكونوا مستخرجيه ؟

قالوا : بلى .

قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذي عافاكم .

فقالوا : أفلا تبغضه ؟

فقال : إنما أبغض عمله ، فإذا تركه ، فهو أخي » .

٣٥٩ـ أمامك جهنم ، لا يعصمك منها ملك ولا سلطان :

جاء في كتاب رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي (ص ٢١٥ـ٢١٧) في وصف السلطان سليم تاسع ملوك آل عثمان وشدة سطوته على من يحيطون به فيقول :

« كان القتل أهون شيء عليه ، خنق إخوته لما خشي أن يزاحموه على الملك ، وقتل سبعة عشر من أهل بيته ، وسبعة من وزرائه ، ورد عليه الصدر الأعظم يونس باشا رئيس وزرائه كلمة ، كان الحق فيها مع الوزير ، فأمر بضرب عنقه فضربت عنقه قبل أن يتم جملته ، ودفن في موضع مصرعه ، في خان يونس بالقرب من غزة .

ولما ترك للشراكسة في مصر أوقافهم ، قال له رئيس وزرائه « بري باشا » : يا مولانا ، فني مالنا وعساكرنا في حربهم ، وتبقي لهم أوقافهم يستعينون بها علينا ؟

وكانت رِجل السلطان في الركاب ، فأشار إلى الجلاد ، فقطع عنق الوزير ، فصار رأسه على الأرض ، قبل أن يصير السلطان على ظهر الفرس » .

ورغم هذه الغلظة في التعامل مع حاشيته ، حيث أنه لا يعرف لغة غير لغة الدماء والقتل ، إلا أن هذا لم يمنع المفتي العالم الجليل « علاء الدين الجمالي » من الجهر بكلمة الحق ، والنصح للسلطان بصدق دون أن يخشى أي غضب للسلطان أو أن يخاف هيبته لأنه لم يهب إلا الله عز وجل .

« كان المفتي علاء الدين قد تولى التدريس والفتوى ستاً وعشرين سنة ، على عهد السلطان « بايزيد » والسلطان « سليم » وابنه السلطان « سليمان القانوني » فهو يستأذن بالدخول على السلطان سليم في بلاطه ، فدخل وسلم عليه وجلس ، والسلطان ينظر إليه وقد بدت بوادر الغضب على محياه ، وسكت محنقاً يرقب ما يأتي به الشيخ الذي دخل عليه بلا دعوة ، وجلس أمامه بلا إذن .

فقال الشيخ : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان ، وقد أمرت بقتل مئة وخمسين من العمال ، لا يجوز قتلهم شرعاً ، فعليك بالعفو عنهم .

فطار الغضب بعقل السلطان من هذه الجرأة عليه ، ولم يعد يبصر من

أمامه ، ثم ضبط نفسه وأراد ردعه من غير قتله .

وقال له : إنك تتعرض لأمر السلطنة ، وليس ذلك من وظيفتك .

وأعرض عنه ، وارتقب أن يكف الشيخ وينصرف .

ولكن الشيخ قال له : بل أتعرض لأمر آخرتك ، وإنه من وظيفتي ، ومهما عشت فإنك ميت ، ومعروض على الله ، وواقف بين يديه للحساب ، فإن عفوت فلك النجاة ، وإلا فإن أمامك جهنم ، لا يعصمك منها ملكك ، ولا ينجيك سلطانك » .

ولصدق هذه الكلمات فقد أثرت في نفسية السلطان فأصدر أمراً بالعفو عن العمال .

٣٦٠ـ اقض دين نفسك من نفسك :

جاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٠٧) في حوادث سنة ثمان وثمانين ومئة ما نصه :

« عن الفضل بن الربيع الحاجب قال :

حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فإذا بهلول المجنون يهذي ، فقلت : اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين .

فسكت ، فلما حاذاه الهودج قال : يا أمير المؤمنين ، حدثني أيمن بن نائل ، ثنا قدامة بن عبد الله العامري قال : رأيت النّبي ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل رث ، ولم يكن ثَمَّ طرد ، ولا ضرب ، ولا إليك إليك .

قال الربيع : فقلت : يا أمير المؤمنين إنه بهلول .

فقال : قد عرفته ، قل يا بهلول .

فقال :

هبْ أن قد ملكتَ الأرض طُراً ... ودانَ لكَ العبادُ فكان ماذا

أليس غداً مصيركَ جوف قبر ... ويحثو عليك التراب هذا ثم هذا

قال : أجدت يا بهلول ، أفغيره ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين! من رزقه الله مالاً وجمالاً فعف في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الله من الأبرار .

قال : فظن أنه يريد شيئاً .

فقال : إنا أمرنا بقضاء دينك .

فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين ، اردد الحق إلى أهله ، واقض دين نفسك من نفسك .

قال : إنا أمرنا أن يجري عليك رزق تقتات به .

قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنه سبحانه لا يعطيك وينساني ، وها أنا قد عشت عمراً لم تجر علي رزقاً ، انصرف لا حاجة لي في جرايتك .

قال : هذه ألف دينار خذها .

فقال : ارددها على أصحابها فهو خير لك ، وما أصنع أنا بها ، انصرف عني فقد آذيتني .

قال : فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا » .

٣٦١ـ به أستعين على خلافة المسلمين :

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٧٢) في ترجمة الخليفة العباسي المهدي رحمه الله ما نصه :

« لما شب المهدي أَمَّره أبوه على طبرستان وما والاها ، وتأدب ، وجالس العلماء ، وتميز ، ثم إن أباه عهد إليه ، فلما مات بويع بالخلافة ووصل الخبر إليه ببغداد ، فخطب الناس فقال :

إن أمير المؤمنين عَبْدٌ دُعي فأجاب ، وأُمر فأطاع ، واغرورقت عيناه ، فقال : قد بكى رسول الله ﷺ عند فراق الأحبة ، ولقد فارقت عظيماً ، وقُلدتُ جسيماً ، فعند الله أحتسب أمير المؤمنين ، وبه أستعين على خلافة المسلمين ، أيها الناس أسِرُّوا مثل ما تعلنون من طاعتنا ، نهبكم العافية ، وتحمدوا العاقبة ، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم ، وطوى

الإصر عنكم ، وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً ذلك ، والله لأفنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم » .

٣٦٢ـ هذا كان أمثل مما أردتم :

جاء في مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (ص ١٢٨) ما نصه :

« مر فتى يجر ثوبه ، فهمَّ أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً .

فقال صلة : دعوني أكفكم أمره .

ثم قال : يا ابن أخي ، إن لي إليك حاجة .

قال : ما هي ؟

قال : أحب أن ترفع إزارك .

قال : نعم وقرة عين ، فرفع إزاره .

فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم ، فإنكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم » .

● قرة عين : أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك .

٣٦٣ـ عطاء وعدل :

جاء في تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي (ص ٢٤٠) في ترجمة الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال شعيب : حدثت أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه فقال :

يا أمير المؤمنين ، ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك ، فقال : رأيت بدعة فلم تمتها ، أو سنة فلم تحيها ؟

فقال أبوه :

رحمك الله .وجزاك من ولد خيراً! يا بني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة ، وعروة عروة ، ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقاً يكثر فيه الدماء ، والله لزَوَال الدنيا أهونُ عليَّ من أن يُراق في سببي محجمة من دم ، أوما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة ؟ » .

٣٦٤ـ احفظ ما أقول لك :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٧٩) وكنز العمال (٥/ ٢٣١) وعزاه لابن الأنباري في المصاحف ، والمرهبي في العلم ، ونصر في الحجة وابن عساكر ، وقد ذكر ابن عبد البر طرفاً منه في كتاب جامع بيان العلم (٢/ ١١٢) وقال : هو حديث مشهور عند أهل العلم ، يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم ، ما نصه :

« عن كميل بن زياد قال :

أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي ، فأخرجني إلى ناحية الجبان ، فلما أصحرنا جلس ، ثم تنفس ، ثم قال : يا كميل بن زياد . . **القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، احفظ ما أقول لك** : الناس ثلاثة ، فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعِاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على العمل ، والمال تنقصه النفقة ، ومحبة العالم دين يدان به .

العلم يكسب العالم الطاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد موته ، وضيعة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة .

هاه ، إن ههنا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ علماً لو أصبت له حملة ، بلى أصبته لقناً غير مأمون عليه ، يستعمل آله الدين للدنيا ، يستظهر بحجج الله

على كتابه ، وبنعمه على عباده ، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه ، يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا ذا ولا ذاك ، أو منهوم باللذات ، سلس القياد للشهوات ، أو مغرى بجمع الأموال والادخار ، وليس من دعاة الدين أقرب شبهاً بهما من الأنعام السائمة .

كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى ، أولئك خلفاء الله في بلاده ، ودعاته إلى دينه ، هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولك ، إذا شئت قم » .

● الجبان : الصحراء ● أصحرنا : خرجنا إلى الصحراء .

● رعاع الناس : الغوغاء والسقط . ● ناعق : صائح . ● اللقن : من يفهم بسرعة . ●المنهوم : المغرم ، المتعلق . ● استوعر : استصعب .

٣٦٥ـ العلماء باقون ما بقي الدهر :

جاء في مفتاح السعادة لابن القيم رحمه الله تعالى (١/ ١٦٥) ما نصه :

« قال يحيى بن أكثم :

قال لي الرشيد يوماً : ما أنبل المراتب ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ما أنت فيه .

قال : فتعرف من هو خير مني .

قلت : لا .

قال : لكني أعرفه ، رجل يقول : حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ .

قال : قلت : يا أمير المؤمنين : **أهذا خير منك ، وأنت ابن عم رسول الله ﷺ ، وولي عهد المؤمنين ؟**

قال : نعم ، ويلك! هذا خير مني ، **لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ** لا يموت أبداً ونحن نموت ونفنى ، **والعلماء باقون ما بقي الدهر** » .

٣٦٦ـ إن الله يرفع بالكتاب أقواماً ويضع آخرين :

جاء في صحيح مسلم حديث رقم (٨١٧) وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني (١٤٦/١) :

« أن نافع بن عبد الحارث لقي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعُسفان ، وكان عمر ولاه على مكة فسأله : من استخلفت على أهل الوادي ؟

فقال : ابن أبزى .

قال : ومن ابن أبزى ؟

قال : مولى من موالينا .

قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟

قال : إنه قارىء لكتاب الله عز وجل ، وإنه عالم بالفرائض (المواريث) .

قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : « **إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين** » .

٣٦٧ـ طالما استعذت الله ـ عز وجل ـ من شَرِّكَ :

جاء في كتاب ذم البغي لابن أبي الدنيا (ص ٨٤) ما نصه :

« عن وضاح بن خيثمة ، قال :

أمرني عمرُ بن عبد العزيز بإخراج من في السِّجن ، فأخرجتهم إلا يزيد بن أبي مسلم هَدَرَ دمي .

قال : فوالله إنِّي بأفريقية ، قيل قد قَدِمَ يزيدُ بن أبي مسلم ، فهربتُ منه ، فأرسلَ في طلبي ، فأُخِذْتُ ، فأُتي بي .

فقال : يا وضاح ؟

قلت : وضاح .

قال : أما والله لطالما سألتُ الله أن يمكنني منكَ .

قلتُ : وأنا والله لطالما استعذتُ الله ـ عز وجل ـ من شرِّك .

فقال : والله ما أعاذَكَ ، والله لأقتلَنَّكَ ، ثم والله لأقتلَنَّكَ ، ثم والله لأقتلَنَّكَ . واللهِ لو سابقني مَلَكُ الموت إلى قبض روحِكَ لسَبَقْتُهُ . . السَّيفَ والنَّطع .

قال : فجيء بالنَّطع ، فأقعدت فيه ، وكُتفتُ ، وقام قائم على رأسي بسيفٍ مَشْهورٍ ، فأقيمت الصَّلاةُ ، فخرج إلى الصلاة ، فلمّا خرَّ ساجداً أخذته سيوف الجند ، فقُتل ، وجاءني رجلٌ فقطع كتافي بسيفه .

قال : انطلق » .

٣٦٨ـ الصلاة أحسن ما يعمل الناس :

أخرج البخاري في كتاب الأذان باب إمامة المفتون والمبتدع حديث رقم (٦٩٥) ما نصه :

« عن حميد بن عبد الرحمن :

عن عُبَيد بن عَدِيٍّ بن خيارٍ أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور .

فقال : إنك إمام عامَّةٍ ، ونزلَ بكَ ما ترى ، ويُصلِّي بنا إمامُ فتنةٍ ونتحرَّجُ .

فقال : الصلاةُ أحسنُ ما يعملُ الناسُ ، فإذا أحسَنَ الناس فأحسِنْ معهم ، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم » .

٣٦٩ـ بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم :

أخرج الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم : ٢٣٩٥ ، والمحلى لابن حزم (٨/ ٤٤٠ـ٤٤١) بسند صحيح ما نصه :

« عن إبراهيم بن جرير البجلي عن أبيه قال :

غدا أبو عبد الله « أي جرير » إلى الكناسة ليبتاع منها دابة ، وغدا مولى له فوقف في ناحية السوق ، فجعلت الدواب تمر عليه فمر به فرس فأعجبه ، فقال لمولاه :

انطلق فاشتر ذلك الفرس ، فانطلق مولاه ، فأعطى صاحبه به ثلاثمئة درهم ، فأبى صاحبه أن يبيعه ، فماتخه ، فأبى صاحبه أن يبيعه ، فقال :

هل لك أن تنطلق إلى صاحب لنا ناحية السوق ؟

قال : لا أبالي ، فانطلقا إليه ، فقال له مولاه : إني أعطيت هذا بفرسه ثلاثمئة درهم ، فأبى ، وذكر أنه خير من ذلك ، قال صاحب الفرس : صدق ، أصلحك الله ، فترى ذلك ثمناً ؟

قال : لا ، فرسك خير من ذلك تبيعه بخمسمئة ، حتى بلغ سبعمئة درهم أو ثمانمئة .

فلما ذهب الرجل أقبل على مولاه ، فقال له :

ويحك انطلقت لتبتاع لي دابة ، فأعجبتني دابة رجل ، فأرسلتك تشتريها ، فجئت برجل من المسلمين تقوده ، وهو يقول ما ترى ما ترى ؟

وقد بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم » .

٣٧٠ـ خصال تحبب معاذاً بالدنيا:

جاء في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٦١):

أن الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه قال -

لما حضرته الوفاة-:

«اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر».

٣٧١ـ هُمْ أَصْلي وفَصْلي :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٢١٠) وتهذيب الكمال (٨/ ١٧١) في ترجمة الإمام الفقيه الرباني خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي ، أبو عبد الله الشاميُّ الحِمْصيُّ رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عبدة بنت خالد بن مَعْدان :

قَلَّ ما كان خالد يأوي إلى فراش مَقيلِهِ إلاَّ وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار ثم يُسمِّيهم ويقول : هُمْ أَصْلي وفَصْلي ، وإليهم يَحنُّ قَلْبي ، طال شوقي إليهم ، فعَجِّل ربِّ قبضي إليك ، حتى يَغْلبه النَّوم وهو في بَعْض ذلك » .

٣٧٢ـ مادمت أجد الخبز فلا حاجة لي في سليمان :

جاء في أخبار النحويين (ص ٣٨ـ٣٩) وتهذيب الكمال (٨/ ٣٣٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٤٦) في ترجمة الإمام ، صاحب العربية ، ومنشىء

علم العروض ، أحد الأعلام ، الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أبو سعيد الحسن بن عبد الله السِّيرافيّ :

وأما الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الأزدي الفراهيدي ، فقد كان الغاية في استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس فيه ، وهو أولُ من استخرج العَرُوض ، وحَصَرَ أشعار العرب بها ، وعَمِلَ أول كتاب « العين » المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة .

وكان من الزهاد في الدنيا ، والمنقطعين إلى العلم ، ويُروَى عنه أنه قال :

إن لم تكن هذه الطائفة ـ يعني أهل العلم ـ أولياء الله فليس لله وليٌّ .

وقد كان وجه إليه سُلَيْمان بن عَليّ من الأهواز ، وكان واليها ، يلتمس منه الشخوص إليه وتأديب أولاده ويرغِّبه ـ ويقال : إن الذي وجه إليه سليمان بن حبيب بن المهلب من أرض السِّنْد ، يستدعيه إليه ـ وكان الخليل بالبصرة فأخْرَجَ الخليلُ إلى رسول سُليمان خبزاً يابساً ، وقال : ما عندي غيره ، ومادمت أجده فلا حاجة لي في سليمان ، فقال الرسول : فما أبلغه عنك ؟

فأنشأ يقول :

أبلغ سليمان أني عنه في سَعة ... وفي غِنى غيرَ أني لستُ ذا مالِ
شُحاً بنفسي أني لا أرى أحداً ... يموت هُزْلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدرٍ لا الضعف ينقصُهُ ... ولا يزيدكَ فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل :

إن الذي شَقَّ فمي ضامِنٌ ... للرزق حتى يتوفاني
حرمتني خيراً قليلاً فما ... زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه ، وأضعف راتبه ، فقال الخليل :

وزلـةٍ يُكثـر الشيطـانُ إن ذُكـرت — منها التعجُّب جاءت من سليمانا
لا تعجبـنَّ لخيـر زلَّ عـن يـده — فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا)[1]

٣٧٣ـ وليت على المسلمين أظلم الظالمين :

جاء في قلائد الجوهر (ص ٨) في ترجمة الإمام الرباني القدوة الزاهد عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى ما نصه :

« لما ولى المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ، القاضي أبي الوفاء ، يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر ، المشهور بابن المزاحم الظالم ، القضاء .

قال على المنبر : ـ (يعني الشيخ عبد القادر الجيلاني) ـ

وليتَ على المسلمين أظلم الظالمين ، ما جوابك غداً عند رب العالمين أرحم الراحمين ؟

فارتعد الخليفة وبكى ، وعزل القاضي المذكور لوقته » .

٣٧٤ـ إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٤٨) في ترجمة العالم البارع صاحب التصانيف الحسان أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، الملقب نفطويه النحوي الواسطي رحمه الله تعالى ما نصه :

« حكى عبد العزيز بن الفضل قال :

خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سَريج ، وأبو بكر محمد بن داود الظاهري ، وأبو عبد الله نِفطَوَيْه إلى وليمة دُعوا لها .

---

(١) ما بين القوسين من كتاب وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٦).

فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيِّق ، فأراد كل واحد منهم صاحبه أن يتقدم عليه .

فقال ابن سريج : ضيق الطريق يورث سوء الأدب .

وقال ابن داود : لكنه يُعرِّف مقادير الرجال .

فقال نفطويه : إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف » .

٣٧٥- إن قبلها فأنتما حُرّان :

جاء في تاريخ بغداد (٨/ ٣٤٩) وتهذيب الكمال (٨/ ٤٥٨-٤٥٩) في ترجمة الإمام الرباني القدوة ، داود بن نُصَير الطائي ، أبو سُليمان الكوفي الفقيه الزاهد رحمه الله تعالى ما نصه :

« حدثنا محمد بن حَسَّان ، قال :

قال لي عمي : قدم محمد بن قحطبة الكوفة ، فقال : أحتاج إلى مُؤدب يؤدِّبُ أولادي ، حافظٍ لكتاب الله ، عالمٍ بسنة رسول الله ﷺ والأثر وبالفقه والنحو والشعر وأيام الناس .

فقيل : ما يجمع هذه الأشياء إلا داود الطائي ، وكان محمد بن قحطبة ابن عم داود ، فأرسل إليه يعرض ذلك عليه ويُسني له الأرزاق والفائدة ، فأبى داود ذلك ، فأرسل إليه بَدْرَةً : عشرة آلاف درهم .

وقال : استعن بها على دهرك ، فردها ، فوجه إليه بَدْرَتَيْنِ مع غلامين له مملوكين ، وقال لهما :

إن قبل البَدْرَتين فأنتما حُرَّان .

فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما ، فقالا له :

إن في قبولهما عتق رقابنا .

فقال لهما : إني أخاف أن يكون في قبولهما وَهَق رقبتي في النار ، رداها إليه ، وقولا له أن يردهما على من أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا » .

● وهق : الحبل يُرمى في أنشوطة ، فتؤخذ به الدابة والإنسان .

٣٧٦ـ آثرت حياتهم على حياتي هذه اللحظة :

جاء في تاريخ بغداد (٥/ ١٣٤) وحلية الأولياء (١٠/ ٢٥٠ـ٢٥١) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٧١) وترتيب المدارك (٣/ ١٧٧) في ترجمة الإمام الرباني شيخ الصوفية في وقته أحد المذكورين بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة أحمد بن محمد أبو الحسين النوري رحمه الله تعالى ما نصه :

« أخبرنا أبو نعيم قال : سمعت عمر البناء البغدادي ـ بمكة ـ يحكي قال :

لما كانت محنة غلام الخليل ، ونسب الصوفية إلى الزندقة ، أمر الخليفة بالقبض عليهم ، فأُخذ في جملة من أُخذ النوري في جماعة ، فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم .

فتقدم النوري مبتدراً إلى السياف ليضرب عنقه ، فقال له السياف : ما دعاك إلى الابتدار إلى القتل من بين أصحابك ؟

فقال : **آثرت حياتهم على حياتي هذه اللحظة!**

فتوقف السياف عن قتله ، ورفع أمره إلى الخليفة ، فرد أمرهم إلى قاضي القضاة ، وكان يلي القضاء يومئذ إسماعيل بن إسحاق ، فتقدم إليه النوري ، فسأله عن مسائل في العبادات من الطهارة والصلاة ، فأجابه .

ثم قال له : وبعد هذا لله عباد يسمعون بالله ، وينطقون بالله ، ويصدرون بالله ، ويردون بالله ، ويأكلون بالله ، ويلبسون بالله . فلما سمع إسماعيل كلامه بكى بكاء طويلاً ، ثم دخل على الخليفة فقال :

إن كان هؤلاء القوم زنادقة فليس في الأرض موحد .

فأمر بتخليتهم ، وسأله السلطان يومئذ : من أين يأكلون ؟

فقال : لسنا نعرف الأسباب التي يستجلب بها الرزق ، نحن قوم مدبَّرون . وقال لي : من وصل إلى وده أنس بقربه ، ومن توصل بالوداد اصطفاه من بين العباد » .

٣٧٧ـ أشهدك أني قد عجزت ، ورجعت :

جاء في سير أعلام النبلاء (٩/١٩٦ـ١٩٧) في ترجمة الإمام الناقد المجود ، سيد الحفاظ عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ، أبو سعيد العنبري ، مولاهم البصري اللؤلؤي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال رُسْته :

سمعتُ ابن مهدي يقول لفتى من ولد الأمير جعفر بن سليمان :

بلغني أنك تتكلم في الرَّبِّ ، وتَصِفُهُ وتشبِّهُه .

قال : نعم . نظرنا ، فلم نر من خلق الله شيئاً أحسن من الإنسان ، فأخذ يتكلم في الصفة ، والقامة .

فقال له : رويدك يا بني حتى نتكلم أول شيء في المخلوق ، فإن عجزنا عنه ، فنحن عن الخالق أعجز ، أخبِرْني عما حدثني شعبة ، عن الشيباني ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله :

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٨] قال : رأى جبريل له ست مئة جناح .

فبقي الغلام ينظر ، فقال : أنا أُهوِّنُ عليك ، صِفْ لي خَلْقاً له ثلاثة أجنحة ، وركب الجناح الثالث منه موضعاً حتى أعلم .

قال : يا أبا سعيد ، **عجزنا عن صفة المخلوق ، فأشهدك أني قد عجزت ، ورجعت** » .

● وحديث عبد الله بن مسعود : أخرجه البخاري في تفسير سورة النجم باب (فكان قاب قوسين أو أدنى) (٨/٤٦٩ـ٤٧٠) فتح الباري ، ومسلم برقم : ١٧٤ في الإيمان ، باب ذكر سدرة المنتهى .

٣٧٨ـ ما أردت بذلك إلا الله :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ١٠٧) في ترجمة الإمام الفقيه العالم الرباني محمد بن سحنون المالكي الإفريقي رحمه الله تعالى ما نصه :

« ذكر أبو القاسم اللبابيدي :

أن ابن سحنون أتى بعد موت سحنون ، هو وأصحابه زائراً ، إلى عبد الرحمن بن عبد ربه الزاهد ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، وتركه حيث انتهى به المجلس ، ولم يقبل عليه حتى انصرف .

فلما كانت الجمعة الأخرى ، استنهض محمد أصحابه لزيارته ثانية .

فقالوا له : رأيناه لم يقبل عليك .

فقال : ليس هذا بغيتي ، هو رجل صالح نرجو بركة دعائه ، ويلجأ إليه عند المهمات .

فعاد إليه ابن سحنون وأصحابه ، فلما رآه قام على رجليه ، ورحب به وأجلسه في موضعه ، ولم يزل مقبلاً عليه ، حتى انصرف .

فقيل له في ذلك ، مع فعله الأول .

فقال : والله ما أردت بذلك إلا الله ، رأيت اجتماع الناس عليه ، فخفت فتنته فعملت ما عملت لأجربه ، فرأيت في ليلتي ، قائلاً يقول لي ، في ذلك : لم تُقبل على ابن سحنون ، وهو ممن يخشى الله .

وفي رواية : وهو ممن يحب الله ورسوله ، فبلغت ابن سحنون ، فبكى بكاءً شديداً ، وقال : لعله بذبي عن سنة رسول الله ﷺ » .

٣٧٩ـ الموضع الضيق يتسع بالمتحابين :

جاء في تهذيب الكمال (٨/ ٣٢٩) في ترجمة الإمام الزاهد الرباني منشىء علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال محمد بن العباس النحوي ، عن الفضل بن محمد اليزيدي :

قدم الخليل بن أحمد عليَّ ، وأنا على طِنفسة ، فأوسعت له عليها فأبى إلا القعود معي عليها ، ثم قال :

مهلاً إن الموضع الضيق يتسع بالمتحابين ، وإن الواسع من الأرض ليضيق بالمتباغضين ، ثم أنشأ الخليل بن أحمد يقول :

يقولون لي دار المحبين قد دنت   وإنـــي كئيـــبٌ إنَّ ذا لَعَجيـــبُ
فقلت : وما يُغني الدِّيار وقُربها   إذا لم يكن بين القلوب قريب »

٣٨٠ـيا هارون قد أتعبت الأمة :

جاء في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٤٧٠ـ٤٧١) في ترجمة أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبو صالح شعيب بن حرب المدائني رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال شعيب بن حرب :

بينا أنا في طريق مكة إذ رأيت هارون الرشيد ، فقلت لنفسي : قد وجب عليك الأمر والنهي .

فقالت لي : لا تفعل فإن هذا رجل جبار ومتى أمرته ضرب عنقك .

فقلت لنفسي : لابد من ذلك .

فلما دنا صحت : **يا هارون قد أتعبتَ الأمة وأتعبت البهائم** .

فقال : خذوه .

ثم أُدخلت عليه وهو على كرسي وبيده عمود يلعب به .

فقال : ممن الرجل ؟

قلت : من أفناء الناس .

فقال : ممن ثكلتك أمك!

قلت : من الأبناء .

قال : ما حملك على أن تدعوني باسمي ؟

قال شعيب : فورد على قلبي كلمة ما خطرت لي قط على بال .

فقلت له : أنا أدعو الله باسمه فأقول : يا الله يا رحمن ، أفلا أدعوك باسمك ؟

وما ينكر من دعائي باسمك وقد رأيت الله تعالى سمى في كتابه أحب الخلق إليه محمداً ، وكنى أبغض الخلق إليه أبا لهب ، فقال : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد : ١] .

فقال : أخرجوه ، فأخرجت » .

٣٨١ـ أعداء المروءة :

جاء في تهذيب الكمال (٨/ ٤٨٩) وعلل أحمد : (١/ ٢٥٨) في ترجمة دغفل بن حنظلة بن زيد السدوسي الذهلي الشيباني النَّسَّابة ـ مختلف في صحبته رحمه الله تعالى ـ ما نصه :

« عن الأصمعي ، عن العلاء بن أسلم ابن أخي العلاء بن زياد العَدَويّ ، عن رؤبة بن العجاج :

أتيتُ النَّسَّابة البَكريَّ ، فقال : من أنتَ ؟

قلتُ : ابنُ العَجَّاج .

قال : قصرتَ وعرفتَ لعلك كأقوام يأتونني ، إن سكت عنهم لم يسألوني ، وإن حدثتهم لم يعوا عنِّي .

قلت : أرجو أن لا أكون كذلك .

قال : فما أعداء المروءة ؟

قلتُ : تخبرني .

قال : بنو عمِّ السُّوء ، إن رأوا صالحاً دفنوه ، وإن رأوا شراً أذاعوه .

ثم قال :

إن للعمل آفةً ونُكداً وهُجنةً ، فآفته نسيانه ، ونكدُه الكذب فيه ، وهُجنته نَشرُه في غير أهله » .

٣٨٢ـ يفعل الخير ويحبه :

جاء في كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١/ ٧٨) في ترجمة أحد سادات التابعين ومن ضرب بحلمه المثل الأحنف بن قيس التميمي أبو بحر السعدي رحمه الله تعالى ما نصه :

« نقل الإمام الطرطوشي أن بعض الخلفاء سأل رجلاً عن الأحنف بن قيس ، وعن صفاته .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، إن شئت أخبرتك عنه بواحدة ، وإن شئت أخبرتك عنه باثنتين ، وإن شئت أخبرتك عنه بثلاث .

فقال : أخبرني عنه باثنتين ؟

فقال : كان الأحنف يفعل الخير ويحبه ، ويتوقى الشر ويبغضه .

قال : فأخبرني عنه بثلاث ؟

قال : كان لا يحسد أحداً ، ولا يبغي على أحد ، ولا يمنع أحداً حقه .

قال : فأخبرني عنه بواحدة ؟

قال : كان من أعظم الناس سلطاناً في قيامه على نفسه » .

٣٨٣ـ تاب فأحسن التوبة :

جاء في بهجة المجالس لابن عبد البر (١/ ٣٦٩) والإشراف على مناقب الأشراف لابن أبي الدنيا (ص ١٣٠) ما نصه :

« عن شهاب بن عباد قال :

لما استباح يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله الموصل ، عدا رجل من أصحابه على صبي يريد قتله ، فسعى الصبي حتى ولج على جدة له ، أو أم ، أو عمة ، فاشتملت عليه .

فقال : أظهريه وإلا قتلتكما جميعاً .

فقالت له : أنشدك الله فيه فإنكم قد أفنيتم أهله ، فلم يبق غيره ، ولك عشرة آلاف أعطيكها الساعة .

فأبى ، فبذلت له كل ما تملك .

فأبى ، ونظر إلى وعاء سقط أو حقة ، أو غير ذلك ، فنظر فإذا فيه :

إذا جارَ الأمير وكاتبوه وحافوا في الحكومة والقضاء
فويل للأمير وكاتبيه وقاضي الأرض من قاضي السماء

فخرج الرجل نادماً ولم يعرض للغلام ، ولا لشيء مما في بيت المرأة ، وتاب فأحسن التوبة » .

٣٨٤ـ لكني أعرف نفسي :

جاء في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٣) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٨٠) في ترجمة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أبو خالد الأزدي رحمه الله ما نصه :

« عن أبي سفيان الحميري قال :

لما هرب يزيد بن المهلب من الحجاج إلى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بالرملة ، فمر في طريق الشام بأبيات من الأعراب ، فقال لغلامه : استسقنا هؤلاء لبناً .

فأتاه بلبن فشرب فقال : أعطهم ألف درهم .

قال الغلام : إن هؤلاء لا يعرفونك .

قال : لكني أعرف نفسي . . أعطهم ألفاً » .

٣٨٥ـ مروءة السفر ومروءة الحضر :

جاء في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان (ص ٢٣٢) ما نصه :

« عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال :

للسفر مروءة وللحضر مروءة ، فأما مروءة السفر : فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على أصحابك ، وكثرة المزاحمة في غير مساخط الله .

وأما مروءة الحضر : فإدمان الاختلاف إلى المسجد ، وكثرة الإخوان في الله ، وتلاوة القرآن » .

٣٨٦ـ أرى عندك مئين ألوف ، وأنت تشكو الحاجة :

جاء في حلية الأولياء (٣/ ٢٢) في ترجمة الإمام الرباني القدوة يونس بن عبيد رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن سعيد بن عامر قال :

جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله ، فقال له يونس :

أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مئة ألف درهم ؟

قال الرجل : لا .

قال : « فبيديك مئة ألف ؟ »

قال الرجل : لا .

قال : « فبرجليك ؟ »

قال الرجل : لا .

قال : فذكَّره بنعم الله عليه .

فقال يونس : « أرى عندك مئين ألوف ، وأنت تشكو الحاجة ؟ » .

٣٨٧ـ كنت أخاف أن لا يكون لنا عند الله خير ، فأنا اليوم أرجو :

جاء في كتاب الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان لابن أبي الدنيا (ص ٤٥ـ٤٧) رقم : ٢٤ ما نصه :

« عن مسلم بن يسار قال :

قدمتُ البحرين في تجارةٍ ، فنزلتُ على أهل بيتٍ يَقُومُون بأمور الناس كالسماسِرة ، فإذا إخوةٌ ، وعبيدٌ ، وتجارةٌ وغنًى ظاهرٌ ، وحال حسنةٌ ، والناس إليهم عنقٌ واحدٌ مُقبلين ومُدبرين ، ولَهُم أُمٌّ في مسجدٍ لها ، مُقبلٌ

عليها بَثُّها حزينة ، فلما قضيت حاجتي وأردتُ الانحدار ، دنوت منها فسلَّمتُ عليها وعرضتُ عليها الحاجة .

فقالت : حاجَتي إن عُدتَ إلى بلادنا أن تأتينا وتلمَّ بنا .

قال : فقدمتُ البصرة ، فما لبثتُ إلا يسيراً حتى خرجتُ إلى البحرين ، فذكرتُ قولَها فمضيتُ نحوهُم حتى دَنَوتُ إلى بابهم وما أثبته ، فاستأذنت فخرجت إليَّ خادمٌ أو محررة فقلت لها : هذا منزلُ بني فلان ؟

قالت : نعم .

قلتُ : ما فَعَلُوا ؟

قالت : ماتوا ، وإذا ضحكٌ في الدَّار .

قلت : ما فعلت أمهم ؟

قالت : هذا ضحكُها ، ما في الدَّار غيري وغيرها .

قلت : استأذني لي عليها .

فدخلتُ فسلَّمتُ عليها ، وجعَلْتُ أقلِّبُ طَرفي في الدار ، فلا أرى ممّا كنتُ عهدتُ شيئاً .

قالت : كأنك مُنكرٌ ؟

قلت : إي والله وإني لأعجبُ ، إنما فارقتكم حديثاً ! ؟

قالت : فإن لم نعدُ إن فارقتنا فأقبل قبلنا ، فما وجهنا شيئاً بحراً إلاّ ذهبَ ، وما وجهنا شيئاً براً إلاّ ذهبَ ، وذهبَ بَنيَّ الذين رأيتَ وعبيدي .

قلت : فأخبريني عن ضحكك اليوم وحُزنُكِ يومئذ ؟!

قالت : كنتُ أخافُ أن لا يكونَ لنا عند الله خيرٌ ، فأنا اليوم أرجو .

قال : فقدمتُ المدينةَ فلقيتُ ابنَ عُمر فحدثته حديثها فقال : ما سَبَقَها أيوبُ عليه السَّلامُ إلى الجنة إلا زحفاً ، لكن ابن عمر ذهبت خميصتهُ فأسِيَ عليها فغمه ذلك » .

٣٨٨ـ لو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق :

جاء في المصباح المضيء في خلافة المستضيء لابن الجوزي (٢/ ٤٣ـ٤٥) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨٤) في ترجمة العابد الرباني زر بن حبيش أبو مريم الأسدي ، الكوفي ، رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن سويد الكلبي :

أن زر بن حبيش كتب إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يَعِظُهُ فيه ، فكان في آخر كتابه :

ولا يُطمعُكَ يا أميرَ المؤمنين في طول الحياة ما يظهرُ من صحة بدنك ، فأنتَ أعلم بنفسك ، واذكر ما يتكلم به الأولون :

إذا الرجالُ وَلَدتْ أولادُهَا وبَلِيَتْ مِنْ كِبَرٍ أجسادُهَا

وجَعَلَتْ أسْقامُها تَعْتادُها تِلْكَ زُروعٌ قد دَنا حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتاب بكى ، حتى بلَّ طرَفَ ثوبِهِ ، ثم قال :

صدَقَ زِرٌّ . لو كتبَ إلينا بغير هذا كان أرفق » .

٣٨٩ـ وأنا أيضاً سَتَكُرُّ عليَّ المَنيَّةُ :

جاء في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ١٦٥) وابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٥٠٤) في ترجمة أرطأة بن زفر بن عبد الله ، الغطفاني المزني ، الشاعر المشهور ، أدرك الجاهلية وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان ، ما نصه :

« عن محرز بن جعفر قال :

دخل أرطأة بن سهية المزني على عبد الملك بن مروان ، وقد أتت عليه ثلاثون ومئة سنة ، فقال له عبد الملك :

ما بقي من شِعْرِكَ ؟

قال : والله ما أشرب ولا أطرب ، ولا أغضب ، ولا يجيء الشعر إلا على مثل هذا الحال ، إني أقول :

رأيتُ المرء تأكُلُه الليالي ... كأكلِ الأرض ساقطة الحديدِ
وما تُبقي المَنيَّةُ حينَ تأتي ... على نَفْسٍ ابن آدم من مزيدِ
وأعلَمُ أنها ستكرُّ حتّى ... تُوفِّي نَذْرَهَا بأبي الوليدِ

فارتاع عبدُ الملك وكان يكنى أبا الوليد ، وكان أرطأة أيضاً يكنى أبا الوليد .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إني لم أعْنِكَ ، إنما عَنَيْتُ نفسي .

فقال : **وأنا أيضاً سَتكِرُّ عليَّ المَنِيَّةُ** » .

٣٩٠ـحال ما أقام عليها عاقل :

جاء في كتاب الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان لابن أبي الدنيا (ص ٧٣ـ٧٤) رقم : ٥٥ ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٨/ ١٥ـ١٦) في ترجمة أحد المشهورين بالعبادة والتقوى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية الأموي القرشي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال :

كان عبدُ الرحمن بن يزيد بن مُعاوية رجلاً لعبد الملك بن مروان ، فلما ماتَ عبدُ الملك وتصدَّع الناسُ عن قبره وقف عليه فقال له :

أنتَ عبد الملك الذي كنتَ تعدُني فأرجوكَ ، وتوعِدُني فأخافُكَ ؟! أصبحتَ وليس معكَ من مُلكِكَ غير ثوبيك ، وليس لك منه غير أربعة أذرعٍ في عرض ذراعين » .

ثم انكفأ إلى أهله فاجتهدَ في العبادة حتى صار كأنه شن بالٍ ، فدخلَ عليه بعضُ أهله فعاتبه في نفسه وإضراره بها فقال لقائله : أسألُكَ عن شيءٍ تصدقني عنه ما بَلغَهُ علمك ؟

قال : نعم .

قال : أخبرني عن حالك التي أنت عليها أترضاها للموت ؟

قال : اللهم لا .

قال : فاعتزمت على النَّقال منها إلى غيرها ؟

قال : ما أشجعت رأيي في ذلك .

قال : أفتأمَنْ أن يأتيك الموت على حالك التي أنت عليها .

قال : اللهم لا .

قال : فبعد الدَّار التي أنت فيها مُعْتَمَل .

قال : اللهم لا .

قال : حالٌ ما أقامَ عليها عاقلٌ .

ثم انكفأ إلى مصلاه » .

٣٩١ـرددنا لله مئةً فعوضنا ألفاً :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٢٨٤ـ٢٨٥) في ترجمة إمام عصره في النحو والآداب بكر بن محمد بن عثمان بن حبيب البصري أبو عثمان المازني النحوي رحمه الله تعالى ما نصه :

« ومما رواه المبرد أن بعض أهل الذمة قصده ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مئة دينار في تدريسه إياه ، فامتنع أبو عثمان من ذلك ، قال : فقلت له : جُعلت فداك ، أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة إضاقتك ؟

فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاث مئة وكذا آيةً من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى أن أُمكِّن منها ذمياً غيرةً على كتاب الله عز وجل وحَميَّةً له .

قال : فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بقول العَرْجي :

أظلــومُ إن مصــابكــم رَجُــلاً أَهْــدَى السَّــلامَ تحيــةً ظلُــمُ

فاختلف من كان بالحضرة في إعراب « رجلاً » ، فمنهم من نصب

وجعله اسم « إن » ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية مُصرَّةٌ على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب . فأمر الواثق بإشخاصه .

قال أبو عثمان : فلما مثلت بين يديه قال : ممن الرجل ؟

قلت : من بني مازن .

قال : أي الموازن ؟ أمازن تميم ، أم مازن قيس ، أم مازن ربيعة ؟

قلت : من مازن ربيعة ، فكلمني بكلام قومي .

قال : باسْمُكَ ؟ لأنهم يقلبون الميم باءً والباء ميماً .

قال : فكرهت أن أجيبه على لغة قومي كيلا أواجهه بالمكر .

فقلت : بكر يا أمير المؤمنين .

ففطن لما قصدته ، وأُعجب به ، ثم قال : ما تقول في قول الشاعر :

أظلوم إن مصابكم رجلاً

أترفع رجلاً أم تنصبه ؟

فقلت : بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين .

فقال : ولم ذلك ؟

فقلت : إن « مصابكم » مصدر بمعنى إصابتكم ، فأخذ اليزيدي في معارضتي .

فقلت : هو بمنزلة قولك « إن ضربك زيداً ظلم » فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به ، والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول « ظلم » فيتم .

فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟

قال : نعم ، بُنَيّة يا أمير المؤمنين .

قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟

فقلت : طافت حولي وأنشدت وهي تبكي قول الأعشى :

أيـــا أبتـــا لا تَــرِمْ عنـــدنـــا فـــإنّـــا بخيـــرٍ إذا لـــم تَـــرِمْ
أرانـــا إذا أضمـــرتـــك البـــلا د نجفـــى وتُقطـــع منـــا الـــرَّحِـــمْ

قال : فما قلت لها ؟

قال : قلت لها ما قال جرير لابنته :

ثقـــي بـــالله ليـــس لـــه شـــريـــك ومـــن عنـــد الخليفـــة بـــالنجـــاحِ

قال : على النجاح ، إن شاء الله تعالى ، ثم أمر لي بألف دينار ، وردَّني مكرماً .

قال المبرد : فلما عاد إلى البصرة قال لي : كيف رأيت يا أبا العباس ؟ رددنا لله مئةً فعوضنا ألفاً » .

٣٩٢ـ أتراه بمكانة منك أعز مني بمكانتي من الله :

جاء في صفة الصفوة لابن الجوزي (٢٩٨/٢) وأحمد في الزهد (ص ٤٥٠) وابن أبي الدنيا في الأولياء برقم ٢٨٨ ما نصه :

« قال طاووس :

بينما أنا بمكة بعث إليَّ الحجاجُ فأجلسني إلى جنبه وأتكأني على وسادةٍ إذ سَمعَ ملبياً يُلبي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية .

فقال : عليَّ بالرجل ، فأُتي به .

فقال : مِمَّن الرجل ؟ قال : من المسلمين .

قال : ليس عن الإسلام سألتُ .

قال : فعَمَّن سألتَ ؟ قال : عن البلد .

قال : من أهل اليمن .

قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريد أخاه .

قال : تركته عظيماً جسيماً لباساً ركاباً خراجاً ولاجاً .

قال : ليس عن هذا سألتك .

قال : فعمَّ سألت ؟ قال : سألتك عن سيرته .

قال : تركته ظلوماً غشوماً ، مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق .

فقال له الحجاج : ما حملك على أن تتكلم هذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني ؟

قال الرجل : أتراه بمكانه منك أعز مني بمكاني من الله ، وأنا وافد بيته ، ومُصَدِّقُ نبيه ، وقاضي دينه .

قال : فسكت الحجاج ، فما أجاب إليه جواباً ، وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف .

قال طاووس: فقمتُ في إثره ،وقلت الرجل حكيم ، فأتى البيت فتعلق بأستاره وقال :

اللهم بك أعوذ وبك ألوذ ، اللهم اجعل لي في اللهف إلى جودك ، والرضى بضمانك مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما في أيدي المستأثرين ، اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة .

ثم ذهب في الناس ، فرأيته عشية عرفة وهو يقول :

اللهم إن كنتَ لم تقبل حَجَّتي وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر على مُهيبتي بتركك القبول مني .

ثم ذهب في الناس ، فرأيته غداة جمع يقول :

واسوأتاه منك والله ، وإن غفرت .

ويردد ذلك » .

٣٩٣ـ قد خالط القوم أمر عظيم :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (١٥١/٢) في ترجمة الإمام الرباني القدوة الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عبد الحميد بن جعفر أن الحسن كان يقول :

إن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة وهم مخلدون ، وكمن رأى أهل النار في النار معذبون ، قلوبهم محزونةٌ ، وشرورهم مأمونة ، وحوائجهم عند الله مقضية ، وأنفسهم عن الدنيا عفيفة ، صبروا أياماً قصاراً لعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصافَّة أقدامهم ، تسيل دموعهم على خُدودهم ، يجأرون إلى ربهم ربنا ربنا ، وأما النهار فحكماء علماء بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ويقول : قد خلطوا وقد خالط القوم أمر عظيم » .

٣٩٤ـ اللهم احشرني من حواصل الطير :

جاء في كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا برقم (٦٥) ما نصه :

« عن عبد الواحد بن زيد قال :

خرجت في بعض غزواتي في البحر ومعي غلام لي له فضل يخدمني ، فمات الغلام فدفنته في جزيرةٍ ، فنبذته الأرض ثلاثَ مراتٍ ، في ثلاث مواضع .

فبينما نحن وقوف نفتكر فيه ما نصنع ، إذ انقضت النسور والعقبان فمزقوه.

فلما قدمتُ البصرة أتيت أم الغلام ، فقلت لها :

ما كان حال ابنك ؟ قالت : خير . . كنت أسمعه كثيراً يقول : **اللهم احشرني من حواصل الطير** .

٣٩٥ـ أعجبتم فما بعدكم أعجب :

جاء في صحيح مسلم برقم (٢٩٦٧) وابن المبارك في الزهد برقم (٥٣٤) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٧١) وتهذيب الكمال للمزي (٨/ ١٤٥ـ١٤٦) ما نصه :

« عن خالد بن عمير العدوي ، قال :

خطبنا عتبة بن غزوان ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد . فإن الدنيا قد آذنتْ بصُرْمٍ ، وولت حذاءَ . ولم يبق منها إلا صُبابَةٌ كصبابة الإناء ، يتصابها صاحبها . وإنكم منتقلون منها إلى دارٍ لا زوال لها . فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقى من شفة جهنم ، فيهوي فيها سبعين عاماً لا يُدرك لها قعراً ، والله! لتملأن ، أفعجبتم ؟

ولقد ذُكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام .

ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا ، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك ، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار .

وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً ، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت ، حتى يكون آخر عاقبتها مُلكاً ، فسَتخبُرون وتُجربونَ الأمراء بعدنا » .

- آذنت : أعلمت .
- بصرم : الصرم الانقطاع والذهاب .
- حذاء : مسرعة الانقطاع .
- صبابة : البقية اليسيرة من الشراب في أسفل الإناء .
- يتصابها : تصاببت الماء شربت صبابته .
- قعراً : قعر الشيء أسفله .
- كظيظ : ممتلىء .
- قرحت : صارت قروحاً وجراحاً .
- سعد بن مالك : سعد بن أبي وقاص .

٣٩٦ـ خصال تجمع الإيمان :

جاء في صحيح البخاري معلقا في كتاب الإيمان باب إفشاء السلام (١/ ٨٢) وابن حبان في روضة العقلاء (ص ٧٥) وابن أبي شيبة في الإيمان (ص ٤٤ رقم ١٣١) ما نصه :

«عن صلة بن زفر العبسي :

عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال :

«ثلاث من جمعهن جمع الإيمان : الإنصاف من نفسه ، والإنفاق من الإقتار ، وبذل السلام للعالم» .

٣٩٧ـ رحمك الله كما ربيتني صغيراً :

جاء في الأدب المفرد للبخاري (١/ ٥٦) رقم : ١٢ ، وابن المبارك في البر والصلة رقم : ٣٠ ، وابن الجوزي في البر والصلة برقم : ٨٦ ما نصه :

« عن أبي مرة قال :

أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه ، فقال :

السلام عليك يا أُمتاه ورحمة الله وبركاته .

فتقول : وعليك السلامُ يا بني ورحمة الله وبركاته .

فيقول : **رَحِمَكِ اللهُ كما ربيتني صغيراً** .

فتقول : رحمكَ الله كما بررتني كبيراً .

وإذا أراد أن يدخل صنع مثله » .

٣٩٨ـ توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط :

جاء في الزهد لابن المبارك رقم : ٤٢٨ ، والتوكل لابن أبي الدنيا برقم : ١٢ بإسناد صحيح ما نصه :

« عن سعيد بن المسيب قال :

التقى عبد الله بن سلام وسلمان ـ يعني الفارسي ـ فقال أحدهما لصاحبه : إن مت قبلي فالقني فأخبرني ما لقيت من ربك ، وإن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك .

فقال أحدهما للآخر : أو يلقى الأموات الأحياء ؟!

قال : نعم ، أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت .

قال : فمات فلان ـ يعني سلمان ـ فلقيه في المنام .

فقال : **توكل وأبشر** ، **فلم أر مثل التوكل قط** ، توكل وأبشر ، فلم أر مثل التوكل قط » .

● هو سلمان لأنه توفي قبل ابن سلام . وما بين الشرطتين تفسير من عندي .

٣٩٩ـ الخصومة تنقص الدين والمروءة :

ذكر ابن أبي الدنيا في الغيبة والنميمة رقم ١٩ ، والغزالي في الإحياء (٣/ ١٠٢) والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٧١) ما نصه :

« عن مسلم بن قتيبة قال :

مرَّ بي بشير بن عبد الله بن أبي بكرة فقال :

ما يجلسك ؟

قلت : خصومة بيني وبين ابن عم لي ، ادعى شيئاً في داري .

قال : فإن لأبيك عندي يداً وإني أريد أن أجزيك بها ، **وإني والله ما رأيت**

من شيء أذهب لدين ولا أنقص لمروءة ، ولا أضيع للذة ولا أشغل لقلب من خصومة .

قال : فقمت لأرجع .

فقال خصمي : ما لك ؟ قلت : لا أخاصمك .

قال : عرفت أنه حقي ؟

قلت : لا ولكني أكرم نفسي عن هذا وسأُبقيك بحاجتك .

قال : فإني لا أطلب منه شيئاً هو لك .

قال : فمررت بعد ببشير وهو يخاصم فذكرته قوله .

قال : لو كان قدر خصومتك عشر مرات فعلت ، ولكنه مرغاب أكثر من عشرين ألف ألف » .

٤٠٠ـ ما تعرف الحامض من الحلو :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٢) وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١/٢٩٦) في ترجمة الإمام الزاهد الورع المجاهد عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي رحمه الله تعالى ما نصه :

« كان كثير الانقطاع في الخلوات ، شديد الورع ، وكذلك أبوه مبارك روي أنه نظر بستاناً لمولاه ، فطلب منه رمانة حامضة فجاءه برمانة حلوة .

فقال له : **أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟**

قال : لا .

قال : ولم ؟

قال : لأنك لم تأذن لي فيه .

فوجده كذلك وعظم قدره عند مولاه ، حتى كان له بنت خُطبت كثيراً .

فقال له : يا مبارك ، من ترى نزوج هذه البنت ؟

فقال : الجاهلية كانوا يزوجون للحسب ، واليهود للمال ، والنصارى للجمال ، وهذه الأمة للدين .

فأعجبه عقله ، وقال لأمها : ما لها زوج غيره ، فتزوجها فجاءت بعبد الله وكان واحد وقته » اللفظ لشذرات الذهب .

٤٠١ـ قبح الله الدنيا ، ولا ذنب للدنيا :

جاء في كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا (ص ١٩٢) رقم ١٠٠ ، ما نصه :

« عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال لي الزبير :

اشتر لي سرح بني فلان بالحيرة وإن بلغ عشرة آلاف .

فقلت : وإن بلغ عشرين ألفاً ؟!

فقال : وإن بلغ عشرين ألفاً .

قلت : سبحان الله!

قال : وإن بلغ ثلاثين ألفاً فاشتره ، إني والله لأن أُعطي مالي أحب إلي من غصبة أغصبها .

فقلت : ما هذا إلا تكاثر الناس وفخرهم! .

فقال : إنه والله ما بالدنيا بأس ، وما تُدرَك الآخرة إلا بالدنيا ، فيها يوصل الرحم ، ويفعل المعروف ، وفيها يُتَقرب إلى الله ـ عز وجل ـ بالأعمال الصالحة ، فإياك أن تذهب أنت وأصحابك فتقعوا في معصية الله ـ عز وجل ـ ثم تقولون : **قبح الله الدنيا ، ولا ذنب للدنيا** » .

● سرح : الشجر العظيم الذي لا شوك فيه ، وربما قصد به هنا الأرض الواسعة عموماً والله أعلم .

٤٠٢ـ قميص خشن بثلاثة دراهم :

جاء في الزهد للإمام أحمد (٢/ ٤٧) وفضائل الصحابة للإمام أحمد (رقم ١٣٩) وابن أبي الدنيا في التواضع رقم (١٣٩) ما نصه :

« عن أبي إدريس الأودي ، أن علياً رضي الله عنه أتى السوق فقال : من عنده قميص خشن ، بثلاثة دراهم ؟

فقال رجل : عندي .

فقال : هلم ، فجاءه به فأعجبه .

فقال علي : ثمنه أكثر من ذا ؟

فقال : لا .

قال : فنظرت فإذا ؟ رباطاً من كمه ، فيه نفقة له .

قال : فلبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه .

فقال : اقطعوا ما فضل عن أطراف أصابعي ثم حصوه » .

● حصوه : كفوه .

٤٠٣ـ أغبط الناس من لم يأت أبواب الأمراء :

أورد ابن عبد البر في بهجة المجالس (١/ ١١٧) ما نصه :

« عن كثير بن زياد قال :

قال زياد ـ يعني ابن أبيه ـ لجلسائه :

من أغبط الناس عيشاً ؟

قالوا : الأمير وجلساؤه .

قال : ما صنعتم شيئاً ، إن لأعواد المنابر هيبة ، وإن لفزع لجام البريد لفزعة ، ولكن أغبط الناس عندي :

رجل له دار لا يجري عليه كراؤها ، وله زوجة صالحة قد رضيته ورضيها ، فهما راضيان بعيشهما ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإنه إن عرفنا وعرفناه أتعبنا ليله ونهاره ، وأفسدنا دينه ودنياه » .

٤٠٤ـ لا ينجو من غصص القيامة إلا من أرضى الله :

جاء في كتاب ذم الهوى لابن الجوزي (ص ٤٦) ما نصه :

« عن ابن أبي شميلة ، قال :

دخل رجل على عبد الملك بن مروان ممن كان يوصف بالعقل والأدب فقال له عبد الملك : تكلم .

فقال : بم أتكلم ، وقد علمتُ أن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال ، إلا ما كان لله ! .

فبكى عبد الملك ، ثم قال : يرحمك الله ، لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون .

قال : يا أمير المؤمنين ، **إن للناس في القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها إلا من أرضى الله بسخط نفسه** » .

٤٠٥ـ ما أدري بأيهما أفرح :

جاء في كتاب نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص ٣١ـ٣٢) في ترجمة الإمام العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ٢٤٦ هـ رحمه الله تعالى ما نصه :

« يروى عن أبي عمرو قال :

كنت هارباً من الحجاج بن يوسف ، وكان يشتبه عليَّ فرجة هو بالفتح أو بالضم فسمعت قائلاً يقول :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـر له فَرجة كحل العقال

بفتح الفاء من (فرجة) ثم قال :

ألا إنه قد مات الحجاج .

قال أبو عمرو : **فما أدري بأيهما كنت أشد فرحاً** ، بقوله : فَرجة ، أو بقوله : مات الحجاج » .

٤٠٦ـ إذا عرف الرجل نفسه ، فما ينفعه كلام الناس :

جاء في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١١) في ترجمة الإمام القدوة الرباني أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال المروزيُّ :

أدخلت نصرانياً على أبي عبد الله ، فقال له :

إني لأشتهي أن أراك منذ سنين ، ما بقاؤك صلاح للإسلام وحدهم ، بل للخلق جميعاً ، وليس من أصحابنا أحد إلا وقد رضي بك .

فقلت لأبي عبد الله : إني لأرجو أن يكون يُدعى لك في جميع الأمصار .

فقال : يا أبا بكر ، إذا عرف الرجل نفسه ، فما ينفعه كلامُ الناس » .

٤٠٧ـ لكل رجل محنة ، وهي محنتي :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ٣٠٦) في ترجمة الإمام محمد بن محمد بن وشاح أبو بكر بن اللباد الإفريقي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال المالكي :

كانت له امرأة سليطة ، تؤذيه بلسانها ، فحُكِي أنها قالت له يوماً : يا زاني .

فقال : سلوها ، فبمن زنيت ؟

قالت : بالخادم .

قال : سلوها لمن الخادم ؟

قالت : له .

فقال له أصحابه : طلقها ، ونحن نؤدي حقها .

فقال : أخشى إن طلقتها ، أن يُبتلى بها مسلم ، ولعل الله دفع عني بمقاساتها بلاءً عظيماً .

فقال : بل حفظتها في والدها ، فإني خطبت إلى جماعة فردوني وزوجني هو لله تعالى ، وكان يفعل معي جميلاً ، أفتكون مكافأته طلاقها ؟

وكان يقول : لكل مؤمن محنة ، وهي محنتي » .

٤٠٨ـ والله لا يجري بيننا وبينه صهر أبداً :

جاء في تهذيب الكمال للمزي (٦/ ١٢٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ١٥١) في ترجمة التابعي الجليل الإمام الزاهد الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن حُميد الطويل ، قال :

خطب رجل إلى الحسن ، فكنت أنا السفير بينهما .

قال : فكأن قد رضيه .

فذهبت يوماً أثني عليه بين يديه ، فقلت : يا أبا سعيد ، وأزيدك أنَّ له خمسين ألف درهم .

قال : له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال!

قلت : يا أبا سعيد ، إنه ما علمتُ لورع مسلم .

قال : إن كان جمعها من حلال ، فقد ضنَّ بها عن حق ، **لا والله لا يجري بيننا وبينه صهرٌ أبداً** » .

٤٠٩ـ عليكم بالعتيق من الأمر :

جاء في سنن الدارمي في المقدمة (١/ ٥٤) وفي كتاب الفقيه والمتفقه (١/ ٤٣) عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما نصه :

قال عبد الله بن مسعود : عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يذهب بأصحابه ، عليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده ، وإنكم ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، عليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع ، وإياكم والتنطع ، وإياكم والتعمق ، وعليكم بالعتيق.

٤١٠ـ من آداب المجالس :

جاء في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (ص ٧٢) ما نصه :

« عن معاذ بن سعد الأعور قال :

كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث رجل بحديث ، فعرض رجل من القوم في حديثه .

قال : فغضب ـ يعني عطاء ـ وقال :

ما هذه الطباع ؟

إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به ، فأُريه كأنِّي لا أحسن منه شيئاً » .

٤١١ـ قد تركتها لله عز وجل :

جاء في إصلاح المال لابن أبي الدنيا برقم (٢٢١) ما نصه :

« عن أصبغ بن نباتة ، قال :

خرجت أنا وأبي من ذرود حتى ننتهي إلى المدينة في غلس ، والناس في

الصلاة ، فانصرف الناس من صلاتهم ، فخرج الناس على أسواقهم ، ودفع إلينا رجل معه درة له ، فقال :

يا أعرابي ، أتبيع ؟

فلم أزل أساوم به حتى أرضاه على ثمن ، وإذا هو عمر بن الخطاب ، فجعل يطوف في السوق ، يأمرهم بتقوى الله ـ عز وجل ـ يقبل فيها ويدبر ، ثم تأخر على أبي فقال له : حبستني ، ليس هذا وعدتني .

ثم مر الثانية ، فقال له مثل ذلك ، فرد عليه عمر : لا أزيد حتى أوفيك .

ثم مر به الثالثة ، فوثب أبي مغضباً ، فأخذ بثياب عمر فقال له : كذبتني وظلمتني ، ولهزه .

فوثب المسلمون إليه : يا عدو الله لهزت أمير المؤمنين!

فأخذ عمر ثياب أبي فجرَّه ولا يملك من نفسه شيئاً ، وكان شديداً ، فانتهى به إلى قصاب ، فقال :

عزمت عليك أو أقسمت عليك لتعطين هذا حقه ، فلك ربحي . وكان عمر باع الغنم منه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، لا ، ولكن أُعطي هذا حقه وأهبك ربحك .

فأخرج حقه ، فأعطاه ، فقال له عمر : استوفيت ؟ قال : نعم .

فقال له عمر : بقي حقنا ، لهزتك التي لهزتني ، قد تركتها لله ـ عز وجل ـ ولك .

قال الأصبغ : وكأني أنظر إليه ـ يعني عمر ـ أخذ ربحه لحماً معلقة في يده اليسرى ، وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله » .

● ذرود : اسم لجبل في الحجاز ، قرب المدينة . ● الغلَس : ظلمة آخر الليل . ● السوم في البيع : المغالاة في البيع . ● لهزه : أخذه بشدة يريد ضربه .

٤١٢ـ إذا استيقظت فلا أقيلها :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٦٠) في ترجمة الإمام الزاهد الرباني سفيان الثوري رضي الله عنه ما نصه :

« قال إسحاق بن إبراهيم :

كنا في مجلس الثوري وهو يسأل رجلاً رجلاً عما يصنع في ليله ، فيخبره ، حتى دار القوم .

فقالوا : يا أبا عبد الله قد سألتنا فأخبرناك ، فأخبرنا أنت كيف تصنع في ليلك ؟

فقال : **لها عندي أول نومة تنام ما شاءت لا أمنعها ، فإذا استيقظت فلا أقيلها والله** » .

٤١٣ـ من صور بر الأمهات :

جاء في كتاب البر والصلة لابن الجوزي رحمه الله رقم (٩٣) في صور بر الأبناء بآبائهم وأمهاتهم ، صورة من بر الهذيل بن حفصة بنت سيرين بأمه ما نصه :

« قالت حفصة بنت سيرين :

بلغ من بر الهذيل ابني بي ، أنه : كان يكسر القصب في الصيف فيوقد لي في الشتاء ، قال : لئلا يكون له دخان .

وكان يحلب ناقته بالغداة ، فيأتيني به فيقول : اشربي يا أم الهذيل فإن أطيب اللبن ما بات في الضرع .

قالت : فمات فرزق الله علي من الصبر ما شاء أن يرزق ، وكنت أجد مع ذلك حرارة في صدري لا تكاد تسكن .

قالت : فأتيت ليلة من الليالي على هذه الآية : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٦] فذهب عني ما كنت أجد » .

٤١٤ـ إني خفت عَوَلَ القول ، فكففت :

جاء في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (ص ٩٧) ما نصه :

« عن ابن شهاب قال :

اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير ـ يعني عبد الله ـ يوماً عند عائشة ، فجلسا في حجرتها وبينها وبينهما الحجاب ، فسألا عائشة شعراً وحديثاً ، ثم قال مروان :

ومن يشأ الرحمن يخفض بقدره ... وليس لمن لم يرفع الله رافعُ

وقال ابن الزبير :

وفَوِّض إلى الله الأمور إذا اعترت ... وبالله لا بالأقربين تُدافع

وقال مروان :

وداو ضمير القلب بالبِرّ والتُّقى ... ولا يستوي قلبان قاسٍ وخاشعُ

وقال ابن الزبير :

ولا يستوي عبدان : عبدٌ مكلّم ... عُتلٌّ ، لأرحام الأقارب قاطعُ

وقال مروان :

وعبد يجافي جنبه عن فراشه ... يبيت يناجي ربه وهو راكعُ

وقال ابن الزبير :

وللخير أهل يعرفون بهديهم ... إذا اجتمعت عند الخطوب المجامعُ

وقال مروان :

وللشر أهل يعرفون بشكلهم ... تشير إليهم بالفجور الأصابعُ

قال : فسكت ابن الزبير ، فلم يجب مروان بشيء .

فقالت عائشة : عبد الله ، ما لك لم تجب صاحبك ، والله ما سمعت تجاوب رجلين تجاولا نحو ما تجاولتما فيه أعجب إليّ من مجاولتكما .

قال ابن الزبير : **إني خفت عَولَ القول ، فكففت .**

فقالت عائشة : إن لمروان في الشعر ما ليس لك » .

● **العول : الميل في الحكم إلى الجور ، أو النقصان .**

٤١٥ـ من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم :

جاء في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١/ ٢١٠ـ٢١١) في أحداث سنة سبع وثمانين ومئة ما نصه :

« فيها على ما قاله في العبر :

خلعت الروم من المُلك الست ديثي ، وهلكت بعد أشهر وأقاموا عليهم نقفور ، والروم تزعم أن نقفور من ولد جفنة الغساني الذي تنصر .

وكان نقفور قبل الملك يلي الديوان ، فكتب نقفور هذا الكتاب :

(من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد فإن الملكة كانت قبلي أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيذق ، فحملت إليك من أموالها ، وذلك لضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل قبلك ، وافتد نفسك ، وإلا فالسيف بيننا) .

فلما قرأ الرشيد الكتاب اشتد غضبه ، وتفرق جلساؤه خوفاً من بادرة تقع منه ، ثم كتب بيده على ظهر الكتاب :

(**من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم** ، قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون ما تسمعه) .

ثم ركب من يومه ، وأسرع حتى نزل مدينة هرقلة ، وأوطأ الروم ذلاً وبلاءً ، فقتل وسبى ، وذل نقفور ، وطلب الموادعة على خراج يحمله ، فأجابه .

فلما رد الرشيد إلى الرقة ، نقض نقفور ، فلم يجسر أحد أن يبلغ الرشيد ، حتى عملت الشعراء أبياتاً يلوحون بذلك ، فقال : أوَقَد فعلها ،

فكر راجعاً في مشقة الشتاء ، حتى أناخ بفنائه ونال مراده ، وفي ذلك يقول أبو العتاهية :

ألا نـادت هـرقلـة بـالخـراب ... مـن الملـك المـوفـق للصـواب
غـداً هـارون يـرعـد بـالمنـايـا ... ويبـرق بـالمـذكـرة الصعـاب
ورايـات يحـل النصـر فيهـا ... تمـر كـأنهـا قطـع السحـاب

٤١٦ـ إن البلاء موكل بالمنطق :

جاء في نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص ٦١ـ٦٢) في ترجمة الإمام اللغوي علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابن الدورقي :

اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد ، فحضرت صلاة الجهر ، فقدموا الكسائي فصلى بهم فأرتج عليه في قراءة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ .

فلما سلَّم قال اليزيدي : قارىء أهل الكوفة يُرتج عليه في ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ؟ .

فحضرت صلاة الجهر فتقدم اليزيدي فصلى فأرتج عليه في سورة الحمد ، فلما سلم قال :

احفـظ لسـانـك لا تقـول فتبتلـى ... إن البـلاء مـوكـل بـالمنطـق

٤١٧ـ لعل الله إنما بعث بك لخير :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٣٨٧) في ترجمة الإمام العالم القدوة الحافظ يحيى بن أيوب أبو زكريا البغدادي المقابري العابد رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن العباس بن محمد الأشهلي ، حدثني أبي ، قال :

مررتُ بمقابر ، فسمعتُ همهمة ، فإذا يحيى بن أيوب في حفرة من تلك

الحفر ، وإذا هو يدعو ويبكي ، ويقول :

يا قُرة عين المنقطعين ، ويا قُرة عين العاصين ، أنت سترت عليهم ، ولم لا تكون قرة عين المطيعين ، وأنت مننت عليهم بالطاعة ؟

قال : ويُعاوِدُ البكاء ، فغلبني البكاء ، ففطن بي ، فقال :

تعال . . لعلَّ الله إنما بعث بك لخير » .

٤١٨ـ إن كنت تطلب العلم لله فأعزه يعزك الله :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله (٣/ ١٤٠) في ترجمة الإمام الفقيه أبو وهب عبد الأعلى بن وهب القرطبي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابن لبابة :

كنت يوماً عند ابن وهب ، في جنته بقرب مقبرة قريش ، وكان يعتمرها بيده في نفر من الطلبة يسمع عليه ، إذ أُحضر غداؤه ، فقدمه إلينا فأكلنا معه .

إذ استأذن عليهم هاشم بن عبد العزيز الوزير ، فأذن له على تكره ، ودخل ، ونحن نأكل خبزاً أدمه من بقل الجنة . فجلس ، وجعل يداعب الشيخ لظرفه ، والشيخ لا ينبسط . ويقول : أبا وهب أما تدعونا لطعامك ؟ تخاف أن نلتهمه ؟

فقال له : ليس من الأطعمة التي توافقك .

قال : وإن لم تكن ، فأنا أتبرك به .

ومد هاشم يده إلى لقمة من الخبز ، فغمسها في البقل ، وجعل يلوكها ولا يسيغها ، فلمّا فرغنا ، سأل الشيخ عن مسألة فقه فأجابه الشيخ .

وقام هاشم لينصرف ، فتحركت لأقوم معه ، فضرب الشيخ على يدي ، وأجلسني حتى خرج .

ثم قال لي : ما أردت ؟

قلت : إكرامه ، في مجلسك .

فقال : بئس ما صنعت ، إن كنت تطلب العلم لله ، فأعزه يعزك الله ، وإن كنت تطلبه للدنيا ، فكن خادماً من خدمة هؤلاء ، فتصرف بين أيديهم ، فهو أبقى لك عندهم ، وأكسد لك عند ربك . فحافظت بعد ذلك على وصيته » .

٤١٩ـ إن الله اختبرني فأحببت أن أزيده :

جاء في الحلية لأبي نعيم (١٠/ ١٣٠) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٢٣٥) والرضا عن الله لابن أبي الدنيا (رقم ١٩) ما نصه :

« عن أبي عمرو الكندي قال :

أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحو من أربعمئة جاموس .

قال : فاستركبني فركبت معه أنا وابن له .

قال : فلقينا عبيده الذين كانوا مع الجواميس .

قالوا : يا مولانا ذهبت الجواميس!

فقال : وأنتم أيضاً فاذهبوا معها ، فأنتم أحرار لوجه الله .

فقال له ابنه : يا أبتاه أفقرتنا ؟

فقال : اسكت يا بني ، إن ربي ـ عز وجل ـ اختبرني ، فأحببت أن أزيده » .

٤٢٠ـ ذروة الإيمان :

جاء في الزهد لابن المبارك رقم (١٢٣) والبيهقي في الشعب (١٩٨) ما نصه :

« عن يزيد بن مرثد الهمذاني :

أن أبا الدرداء قال :

ذروة الإيمان أربع خلال : الصبر للحكم ، والرضا بالقدر ، والإخلاص للتوكل ، والاستسلام للرب عز وجل » .

٤٢١ـ هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم :

جاء في الزهد الكبير للإمام البيهقي رقم ٤٦ ما نصه :

« عن عون بن المعمر :

أن عمر بن عبد العزيز دخل على فاطمة ـ وهي امرأته ـ فقال : يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنباً ؟

قالت : لا .

قال : فعندك الفلوس أشتري بها عنباً ؟

قالت : لا .

وأقبلت عليه فقالت : أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عنباً ، ولا على فلوس تشتري به عنباً ؟

فقال : هذا أهون علي من معالجة الأغلال غداً في جهنم » .

٤٢٢ـ أتهزأ بكتاب الله تعالى على الطعام :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٢٨١) في ترجمة القاضي الفقيه أبو بكر بكار بن قتيبة بن أسد الثقفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أبو حاتم ابن أخي بكار :

قدم على عمي رجل من البصرة له علم وزهادة ونسك فأكرمه وقربه وأدناه ، وذكر أنه كان معه في المكتب .

فمضت به الأيام فجاء في شهادة ومعه شاهدان من شهود مصر فوديا عند عمي فما قبل شهادته .

فقلت لعمي : هذا رجل زاهد وأنت تعرفه .

قال : يا ابن أخي ما رددتُ شهادته إلا أنه كنا صغاراً ، وكنا على مائدة

عليها أرز وفيه حلوى ، فنقبت الأرز بإصبعي فقال لي : ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ .

فقلت له : **أتهزأ بكتاب الله تعالى على الطعام ؟** ثم أمسكت عن كلامه مدة ، وما أقدر على قبوله وأنا أذكر ذلك منه » .

٤٢٣ـ أخطأوا الطريق المستقيم بطلب الراحة والنعيم :

جاء في تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ١٧٩) والحلية (٧/ ٣٧٠ـ٣٧١) ما نصه :

« عن إبراهيم بن بشار الصوفي قال :

خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم ، وأبو يوسف الغسولي ، وأبو عبد الله السنجاري ، نريد الإسكندرية ، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن ، فقعدنا نستريح ، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات ، فألقاهن بين أيدينا ، فأكلنا وحمدنا الله .

فقمت أسعى أتناول ماءً لإبراهيم ، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيه ، فقال بكفيه في الماء فملأهما ثم قال : بسم الله ، وشرب .

فقال : الحمد لله ، ثم إنه خرج من النهر فمدِ رجليه ، وقال : يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ، ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب .

فقلت له : يا أبا إسحاق ، **طلب القوم الراحة والنعيم** ، **فأخطأوا الطريق المستقيم** .

فتبسم ثم قال : من أين لك هذا الكلام ؟ » .

٤٢٤ـ وصايا من الخير :

جاء في التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٤٥) والزهد الكبير للبيهقي برقم (١٠٠) ما نصه :

« عن عبد الملك بن عمير :

أن سعد الخير كان يقول لابنه :

أظهر اليأس بما عند الناس فإنه غنى ، وإياك وطلب ما عند الناس فإنه فقر حاضر ، وإياك وما يعتذر منه ، وأسبغ الوضوء وصل صلاة مودع عسى أن لا تصلي صلاة غيرها ، وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل » .

٤٢٥ـ فتنة للمتبوع وذل للتابع :

جاء في الجامع لأخلاق الراوي للخطيب (١/ ٣٩٦) والدارمي في السنن (١/ ١٣٢) والزهد لابن المبارك (ص ١٣) من زيادات نعيم بن حماد ، والمصنف لابن أبي شيبة (٩/ ٢٠) ما نصه :

« عن سليم بن حنظلة البكري قال :

كنا جلوساً حول أبي بن كعب نسائله ، فقام فاتبعناه ، فرُفع لعمر بن الخطاب فعلاه بالدرة ، فقال أُبي : مهلاً يا أمير المؤمنين .

فقال : إنها فتنة للمتبوع ، وذل للتابع » .

● الدرة : العصا التي يضرب بها .

٤٢٦ـ متى يصير داء النفس دواها :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٢٩) في ترجمة إمام أهل الزهد الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن ابن عطاء قال :

قال الجنيد : أرقت ليلة وقمتُ إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة ، فأردت أن أنام فلم أقدر عليه ، فقعدت فلم أطق القعود ، ففتحت الباب وخرجت ، فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحس بي رفع رأسه ، وقال : يا أبا القاسم إليَّ الساعة ؟

قلت : يا سيدي من غير موعد .

قال : بلى سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك .

قلت : قد فعل فما حاجتك ؟

فقال : متى يصير داء النفس دواها ؟

فقلت : إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها .

فأقبل على نفسه وقال : اسمعي قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد فقد سمعتيه . وانصرف عني ولم أقف عليه ولم أعرفه » .

٤٢٧ـ إني رأيت البخل يزري بأهله :

جاء في كتاب الأمالي لأبي علي القالي البغدادي (١/ ٣١) ما نصه :

« عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلت يوماً على الرشيد فقال لي :

يا إسحاق أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدته :

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقصُري ... فـذلـك شـيءٌ مـا إليـه سبيـلُ

أرى الناس خُلان الجواد ولا أرى ... بخيـلاً لـه فـي العـالميـن خَليـلُ

ومِنْ خيرِ حالات الفتى لو عَلِمته ... إذا نـال شيئـاً أن يكـون يُنيـلُ

فإني رأيتُ البُخل يُزري بأهله ... فـأكـرمـتُ نفسـي أن يقـال بَخيـلُ

عطائي عطاءُ المكثرين تجملاً ... ومـالـي كمـا قـد تعلميـن قليـلُ

وكيفَ أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغنى ... ورأيُ أميـر المـؤمنيـن جميـلُ

فقال : لا كيف إن شاء الله ، يا فضل ، أعطه مئة ألف درهم .

ثم قال : لله در أبيات تأتينا بها يا إسحاق ، ما أتقنَ أصولها ، وأحسنَ فصولها ، وأقل فضولها .

فقلت : كلامك يا أمير المؤمنين أحسن من شعري .

فقال : يا فضل ، أعطه مئة ألف أخرى .

فكان أول مال اعتقدته » .

٤٢٨ـ إن شهدت بباطل فاتق الله وغط رأسك واخرج :

جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١٥٢/١) في ترجمة محارب بن دثار السدوسي قاضي الكوفة المتوفى سنة ست عشرة ومئة رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أبي حنيفة قال :

كنا عند محارب بن دثار فتقدم إليه رجلان ، فادعى أحدهما على الآخر مالاً فجحده المدعى عليه ، فسأله البينة ، فجاء رجل فشهد عليه .

فقال المشهود عليه : لا والله الذي لا إله إلا هو ما شهد عليَّ بحق ، وما علمته إلا رجلاً صالحاً غير هذه الزلة ، فإنه فعل هذا لحقد كان في قلبه عليَّ .

وكان محارب متكئاً فاستوى جالساً ، ثم قال :

يا ذا الرجل سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ليأتين على الناس يوم تشيب فيه الولدان ، وتضع الحوامل ما في بطونها ، وتضرب الطير بأذنابها ، وتضع ما في بطونها ، من شدة ذلك اليوم ولا ذنب عليها ، وإن شاهد الزور لا تقار قدماه على الأرض حتى يقذف به في النار . فإن كنت شهدت بحق فاتق الله وأقم على شهادتك ، **وإن شهدت بباطل فاتق الله وغط رأسك واخرج من ذلك الباب** . فغطى الرجل رأسه وخرج من ذلك الباب » .

٤٢٩ـ ارتفاع المجلس بالعلم :

جاء في نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص ١٥٨) في ترجمة إمام أهل اللغة أبو جعفر أحمد بن عبيد الله بن ناصح النحوي رحمه الله تعالى ما نصه :

« إنه لما أراد المتوكل أن يأمر باتخاذ المؤدبين لولديه المنتصر والمعتز

أحضروا ، فجاء أحمد بن عبيد الله فقعد في أخريات الناس .

فقال له من قرب منه : لو ارتفعت .

فقال : أجلس حيث انتهى بي المجلس .

فلما اجتمعوا قال لهم الكاتب : لو تذاكرتم وقفنا على مواضعكم من العلم ، فألقوا بينهم بيتاً لابن غلفاء وهو :

ذريني إنما خطأي وصوبي عليَّ وإن ما أنفقت مالُ

فقالوا : ارتفع مالُ (بما) إذ كانت موضع الذي ، ثم سكتوا .

فقال لهم أحمد بن عبيد الله : هذا الإعراب ، فما المعنى ؟ ؟ فأحجم القوم ، فقيل له : فما المعنى عندك ؟

فقال : أراد ما ألومك إياي وإنما أنفقت مالاً لا عرضاً ، فالمال لا ألام على إنفاقه .

فجاءه خادم من صدر المجلس فأخذ بيده حتى تخطى به إلى أعلاه ، وقال له : ليس هذا موضعك .

فقال : لأن أكون في مجلس أرتفع منه إلى أعلاه ، أحب إلي من أكون في مجلس أحط منه » .

٤٣٠ـ انصرف العلجان مغلوبين :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ١٧٠ـ١٧١) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١/ ٨٩) في ترجمة الإمام القدوة الورع أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي المعروف بابن الحنفية رحمه الله تعالى ما نصه :

« ومن قوته ما حكاه المبرد في كتابه :

أن ملك الروم في أيام معاوية وجه إليه :

إن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ، ويجهد بعضهم أن يُغْرِب على بعض ، أفتأذن في ذلك ؟

فأذن له ، فوجه إليه برجلين طويل وجسيم ، والآخر أيِّدٌ ، فقال معاوية لعمرو بن العاص : أما الطويل فقد أصبنا كفؤه ، وهو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وأما الآخر الأيِّد فقد احتجنا إلى رأيك فيه .

فقال عمرو : هاهنا رجلان كلاهما إليك بغيض : محمد بن الحنفية ، وعبد الله بن الزبير .

فقال معاوية : من هو أقرب إلينا على كل حال .

فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه ، فدخل قيس ، فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله ، فرمى بها إلى العلج فلبسها فبلغت ثندوته ، فأطرق مغلوباً ، فقيل إن قيساً لاموه في ذلك ، وقيل له :

لم تبذَّلْتَ هذا التبذُّل بحضرة معاوية ؟ هلا وجهت إليه غيرها ؟ فقال :

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيسٌ وهذه ... سراويلُ عاديٍّ نَمَتهُ ثمود
وإني من القوم اليمانين سيد ... وما الناس إلا سيدٌ ومسود
وبذَّ جميع الخلق أصلي ومنصبي ... وجسمٌ به أعلو الرجال قديد

ثم وجه معاوية إلى محمد بن الحنفية فحضر ، فخبر بما دعي له ، فقال : قولوا له إن شاء فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه أو يقعدني ، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد .

فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد ، وعجز الرومي عن إقعاده ، ثم اختار أن يكون محمد هو القاعد ، فجذبه محمد فأقعده ، وعجز الرومي عن إقامته ، فانصرفا مغلوبين » .

٤٣١ـ الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة :

جاء في الزهد الكبير للبيهقي رقم (٢٧) ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ١٤٦) ما نصه :

« عن محمد بن معاوية الأزرق قال :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : عظني وأوجز .

فكتب إليه : إن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يديك الزهد في الدنيا ، وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكر ، والتفكر بالاعتبار ، فإذا أنت فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن تبيع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا ، فإن الدنيا داء بلاء ومنزل غفلة » .

٤٣٢ـ وصايا نفيسة :

جاء في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٢٨٤) والحلية لأبي نعيم (٧/ ٣٤٣) ما نصه :

« عن إبراهيم بن بشار ، قال :

سمعت الفضيل يقول : بلغني أن رجلاً كتب إلى داود الطائي أن عظني بموعظة ، قال :

فكتب إليه : أما بعد فاجعل الدنيا كيومٍ صُمتَه عن شهوتك ، واجعل فطرك الموت فكأن قد والسلام .

قال : فكتب إليه : زدني ، فكتب إليه :

أما بعد فلا يراك الله عند ما نهاك عنه ولا يفقدك عند ما أمرك به .

قال : فكتب إليه : زدني ، فكتب إليه :

أما بعد فارض من الدنيا باليسير مع سلامة دينك كما رضي أقوام بالكثير مع ذهاب دينهم والسلام » .

٤٣٣ـ رأيته أعمى ورأيته صحيحاً :

جاء في كتاب ذم الهوى لابن الجوزي (١٣٦) ما نصه :

« عن مالك بن أنس قال :

كان يونس بن يوسف من العباد أو من خيار الناس ، فأقبل ذات يوم وهو رائح إلى المسجد ، فلقيته امرأة ، فوقع في نفسه منها .

فقال : اللهم إنك جعلت لي بصري نعمة ، وقد خشيت أن يكون عليَّ نقمة ، فاقبضه إليك .

قال : فعمي ، وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له ، فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبي يلعب مع الصبيان ، فإن فاتته حاجة حصبه فأقبل إليه .

فبينا هو ذات يوم ضحوة في المسجد إذ أحس في بطنه بشيء ، فحصب الصبي ، فشغل الصبي مع الصبيان ، حتى خاف الشيخ على نفسه ، فقال :

اللهم إنك كنت جعلت لي بصري نعمة ، وخشيت أن يكون نقمة ، فسألتك فقبضته إليك ، وقد خشيت الفضيحة فرُده إليَّ ، فانصرف إلى منزله صحيحاً يمشي .

قال مالك : فرأيته أعمى ورأيته صحيحاً » .

٤٣٤ـ إنا نُنْزِل الضيف ولا نُرَحِّله :

جاء في كتاب الأمالي لأبي علي القالي (١/ ٢٤٢) ما نصه :

« قال الأصمعي عن بعض موالي بني أمية قال :

خرج داود بن سَلَم إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فلما قدم عليه قام غلمانه إلى متاعه فأدخلوه وحطوا عن راحلته ، فلما دخل أنشده :

ولمـا دفعـت لأبـوابهـم	ولاقيت حربـاً لقيت النجاحا
وجـدنـاه يحمـده المعتقـون	ويـأبـى على العسر إلاَّ سماحا
ويُغْشَـون حتـى تـرى كلبهـم	يهـاب الهريـر وينسى النباحا

فأمر له بجوائز كثيرة ، ثم استأذنه في الانصراف فأذن له وأعطاه ألف دينار ، فلما خرج من عنده وغلمانه جلوس لم يقم إليه واحد منهم ولم يُعِنْه ، فظن أن حرباً ساخط عليه فرجع إليه وقال : أواجد أنت علي ؟ قال : لا ، ولم ذلك ؟ فأخبره خبر الغلمان .

قال : ارجع إليهم فسلهم ، فرجع إليهم فسألهم ، فقالوا : إنا نُنْزِل الضيف ولا نُرَحِّله » .

٤٣٥ـ أبناء الدنيا وأبناء الآخرة :

جاء في الزهد لأحمد بن حنبل (ص ١٣٠) وابن المبارك في الزهد (ص ١٨) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٢٨١) والبخاري معلقاً في الرقاق في الأمل وطوله ما نصه :

« عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خطب بالكوفة فقال :

أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة ، والآخرة مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، **فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا** ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل » .

٤٣٦ـ هذا تنبيه من الله وموعظة :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٣٣) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٣٥٦ـ٣٥٧) ما نصه :

« عن إبراهيم بن بشار قال :

كنت يوماً من الأيام ماراً مع إبراهيم بن أدهم في صحراء إذ أتينا على قبر مُسَنَّم فترحم عليه .

فقلت : قبر من هذا ؟

فقال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها ، كان غارقاً في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها واستنقذه بعد .

بلغني أنه سُرَّ ذات يوم بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته قال : ثم نام في مجلسه ذلك مع من خصه من أهله .

قال : فرأى رجلاً واقفاً على رأسه بيده كتاب ، فناوله إياه ففتحه فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب :

لا تؤثرن فانياً على باق ، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وعبيدك وخدمك ولذاتك وشهواتك ، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه غريم ، وهو ملك لولا أن بعده هُلك ، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور ، وهو يوم لو كان يوثق له بغد ، فسارعوا إلى أمر الله فإن الله قال :

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

قال : فانتبه فزعاً وقال :

هذا تنبيه من الله وموعظة ، فخرج من ملكه ، وقصد هذا الجبل فتعبد به حتى مات رحمه الله » .

٤٣٧ـ أفنيت عمرك فيما لست تدركه :

جاء في الزهد الكبير للبيهقي (ص ٢٦٠) رقم : ٦٨١ ، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي (١/ ٢٩٥) ما نصه :

« عن الجنيد قال : سمعت السري السقطي يقول :

خرجت يوماً إلى المقابر فإذا أنا ببهلول قد دلى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب .

فقلت : أنت هاهنا ؟

قال : نعم أنا عند قوم لا يؤذونني ، فإن غبت عنهم لا يغتابوني .

فقلت : يا بهلول الخبز قد غلا .

فقال : والله ما أبالي وحبة بمثقال ، إن علينا أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا ، ثم ولى عني وهو يقول :

يا من تمتع بالدنيا وبهجتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنيت عمرك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه

٤٣٨ـ إن هذا الشيخ إنما يعنيكم :

جاء في كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي (٧٨/٢) وابن المبارك في الزهد (ص ٣٣٩) والحلية لأبي نعيم (٢٣٨/٢) ما نصه :

« عن ثابت قال :

كان صلة بن أشيم يخرج إلى مسجد له في الجبّان ، فيمر على شباب على لهو لهم فيقول : أي قوم أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فجاوزوا بالنهار عن الطريق ، وناموا الليل متى يقطعون سفرهم ؟

فانتبه منهم شاب فقال :

إن هذا الشيخ إنما يعنيكم بقوله ، إذا كنتم بالنهار في لهوكم ، وبالليل تنامون ، متى تريدون أن تقطعوا سفركم ؟

قال : ولزم الشاب صلة فتعبد معه حتى مات » .

٤٣٩ـ غاية الورع محاسبة النفس مع كل طرفة :

جاء في الزهد الكبير للبيهقي (ص ٣١٤) رقم (٨٤٠) ما نصه :

« عن عبد الله بن ضريس قال :

جاء رجلٌ إلى يونس بن عُبيد ، فقال له :

أنت يونس بن عبيد ؟ قال : نعم .

قال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك .

قال : وما حاجتك ؟

قال : أريد أن أسألك عن مسألة .

قال : سل عما بدا لك .

قال : أخبرني ما غاية الورع ؟

قال : **محاسبة النفس مع كل طرفة ، والخروج من كل شبهة** .

قال : فأخبرني ما غاية الزهد ؟

قال : ترك الراحة » .

٤٤٠ـ خصال تحبب الإنسان بالدنيا :

جاء في الحلية لأبي نعيم (١/ ٢١٢) وأحمد في الزهد مختصراً (ص ١٣٥) ما نصه :

« عن عباس بن خليد الحجري عن أبي الدرداء أنه قال :

لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا .

فقلت : وما هن ؟

فقال : لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار أُقدمه لحياتي ، وظمأ الهواجر ، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة .

وتمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه في مثقال ذرة ، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حاجزاً بينه وبين الحرام ، إن الله تبارك وتعالى اسمه قد بيَّن للعباد الذي هو يصيرهم إليه ، قال الله عز وجل :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ـ٨] فلا تحقرن شيئاً من الشر أن تتقيه ولا شيئاً من الخير أن تفعله » .

٤٤١ـ ليس بين الجنة والنار منزل :

جاء في الزهد لأحمد (ص ٢٤٣) وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ١٤٧) ما نصه :

« عن أبي القاسم المُذكر قال :

دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال له : عظني .

فقال : أنت أول خليفة يموت يا أمير المؤمنين .

قال : زدني .

قال : لم يبق أحد من آبائك من لدن آدم إلى أن بلغت النوبة إليك إلا وقد ذاق الموت .

قال : زدني .

قال : ليس بين الجنة والنار منزل ، والله إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم ، وأنت أبصر ببرك وفجورك .

فبكى عمر حتى سقط عن سريره » ،

٤٤٢ـ لن تكرم النفس التي لا تهينها :

جاء في كتاب التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، للسيد أبي الطيب صديق حسن خان القنوجي رحمه الله (ص ١٥٣) في ترجمة الإمام القدوة الفقيه يوسف بن يحيى المصري أبو يعقوب البويطي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الربيع :

دخلت على البويطي أيام المحنة ، فرأيته مقيداً إلى أنصاف ساقيه مغلولة يده إلى عنقه ، وكتب إليَّ من السجن :

إنه ليأتي عليَّ أوقات لا أحس بالحديد على بدني حتى تمسه يدي ، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك ، واستوص بالغرباء خاصة خيراً ، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يقول :

أهين لهم نفسي لأكرمهم بها ... ولن تكرم النفس التي لا تهينها

٤٤٣ـ قل لإسماعيل يعمل ما يرى ، فلا أعترض عليه :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ١٧٥) في ترجمة الإمام الفقيه القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الجهضمي الأزدي رحمه الله تعالى ما نصه :

« ذكر الدلائي في كتابه عن ابن أبي ذر :

أن المعتضد كانت له حظية يحبها ، ولها ابن أخت حجر عليه إسماعيل القاضي بعد موت والده ، فشكت أمه ذلك إلى أختها ، ورغبت سؤال المعتضد ، ليأمر القاضي بفكه من الحجر .

فلما جاء المعتضد إلى حظيته ، سألته في ذلك ، فكتب رقعة بخطه إلى إسماعيل يأمره بفك الحجر عن الغلام ، وختمها ووجهها مع وزيره إليه ، فعظم ذلك على الوزير ، وكتمانه عنه .

فلما وصل به إلى إسماعيل ، فكه ، وكتب على ظهره ، وختمه ورده مع الوزير ، فكان ما فعله إسماعيل أشد على الوزير .

فلما وصل به الخليفة ، وفتحه ونظر فيه ، بكى ، وكان بعيد الدمعة ، ثم رمى به إلى الوزير ، وقال :

انظر بما كتب إلينا إسماعيل .

فإذا هو قد كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ . . . ﴾ [صٓ : ٢٦] الآية .

وقال : **قل لإسماعيل يعمل ما يرى ، فلا أعترض عليه** » .

٤٤٤ـ أمله علي ، فإني أخاف أن لا ألقاك :

جاء في مسند الإمام أحمد (٣/٢٦٦) والشمائل المحمدية للترمذي (ص ٦٠) في باب ما جاء في لباس رسول الله ﷺ واللفظ للترمذي ما نصه :

« قال الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، قال : حدثنا محمد بن الفضل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن حبيب بن الشهيد ، عن الحسن البصري ، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه : أن النَّبي ﷺ خرج من بيته وهو في مرض موته يتكىء على أسامة بن زيد ، وعليه ثوب قِطْرِيٌّ قد توشح به فصلى بهم » .

« قال عبد بن حميد : قال محمد بن الفضل : سألني يحيى بن معين عن هذا الحديث أول ما جلس إليَّ ، فقلت : حدَّثنا حماد بن سلمة ، فقال : لو كان من كتابك .

فقمت لأُخرج كتابي ، فقبض على ثوبي ثم قال :

أمْلِه عليَّ ، فإني أخاف أن لا ألقاك ، فأمليته عليه ، ثم أخرجت كتابي فقرأته عليه » .

● ثوب قطري : نوع من الثياب التي كانت تصنع في قَطَر . ● توشح به : لبسه .

٤٤٥ـ مُلكٌ لا يساوي شربة ماء :

جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١/٣٣٦) في ترجمة الخليفة الحازم التقي هارون الرشيد رحمه الله تعالى ما نصه :

« دخل ابن السماك على الرشيد ، فاستسقى الرشيد ماءً ، فقال له ابن السماك :

بالله يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم تشتريها ؟

قال : بملكي .

قال : لو منعت خروجها ، بكم كنت تشتريه ؟

قال : بملكي .

فقال : إن ملكاً قيمته شربة ماء لجدير أن لا ينافَس عليه » .

٤٤٦ـ أعثرات عمر تتبع ؟

جاء في الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (٢/٣٩١) وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/٤٨) والشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي (ص ٨٢) ما نصه :

« عن الأوزاعي :

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد الليل ، فرآه طلحة ، فذهب عمر ، فدخل بيتاً ، ثم دخل بيتاً آخر ، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت ، فإذا بعجوز عمياء مقعدة ، فقال لها :

ما بال هذا الرجل يأتيك ؟

قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يُصلحني ، ويخرج عني الأذى .

فقال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة ، أعثرات عمر تتبع ؟ » .

٤٤٧ـ إنا لله! ماتت الهمم!

جاء في تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٧١١) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/١٦٣ـ١٦٤) في ترجمة الإمام القدوة الفقيه العلامة محمد بن جرير أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى ما نصه :

« حدث علي بن عُبيد الله اللغوي السمسمي ، عن القاضي أبي عمر عُبَيد الله بن أحمد السِّمْسَار وأبي القاسم بن عقيل الوراق :

أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟

قالوا : كم يكون قدره ؟

قال : ثلاثون ألف ورقة .

فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه!

فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، وأملاه في سبع سنين ، من سنة ثلاث وثمانين ومئتين إلى سنة تسعين . ثم قال لهم : أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟

قالوا : كم قدره ؟

فذكر نحواً مما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك!

فقال : إنا لله ! ماتت الهمم !

فاختصره في نحوٍ مما اختصر « التفسير » ، وفرغ من تصنيفه ومن عرضه ـ أي قراءته ـ عليه يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاث مئة » .

٤٤٨ـ جعلت وصية أبي قبلة أميل إليها :

جاء في كتاب الزهد الكبير للبيهقي برقم (١٩٥) (ص ١١١ـ١١٢) ما نصه :

« عن طاهر بن الفضل بن سعيد الحلبي ، قال :

سمعت سفيان بن عيينة يقول :

لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي :

يا بني قد انقطعت عنك شرائع الصبي ، فاختلط بالخير تكن من أهله ، ولا تزايله فتبين منه ، ولا يغرنك من مدحك بما تعلم أنت خلافه منك ، فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير ما لم يعلم منه ، إلا قال فيه عند سخطه عليه من الشر على قدر ما مدحه ، واستأنس بالوحدة من جلساء السوء ، ولا تنقل أحسن ظني بك إلى أسوأ ظني بمن هو دونك ، فاعلم أنه لن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم ، فأطعهم تسعد ، واخدمهم تقتبس من علمهم .

قال سفيان : **فجعلت وصية أبي هذه قبلة أميل إليها** ، ولا أميل عنها ، ولا أعدل عنها » .

٤٤٩ـ إلهي لا أعود لما فعلت :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢٥١ـ٢٥٢) في ترجمة الإمام الزاهد أبو الحسن خير بن عبد الله النساج الصوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال جعفر الخلدي :

سألت خيراً النساج : أكان النسج حرفتك ؟ قال : لا .

قلت : فمن أين سُميت به ؟

قال : كنت عاهدت الله أن لا آكل الرطب أبداً ، فغلبتني نفسي ، فأخذت نصف رطل ، فلما أكلت واحدة إذا رجل نظر إليَّ وقال :

يا خير ، يا آبق هربت مني .

وكان له غلام هرب منه اسمه خير ، فوقع عليَّ شبهه وصورته ، فاجتمع الناس وقالوا :

هذا والله غلامك خير .

فبقيت متحيراً ، وعلمت بم أخذت ، وعرفت جنايتي ، فأخذني وحملني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلامه ، وقال لي : يا عبد السوء ، تهرب من مولاك! ادخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل ، وأمرني بنسج الكرباس ، فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آلته ، وكأني كنت أعمل من سنين ، فبقيت معه أشهراً أنسج له .

فقمت ليلة إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي : **إلهي لا أعود إلى ما فعلت** .

فأصبحت وإذا الشبه ذهب عني ، وعدت إلى صورتي التي كنت عليها ، فأطلقت ، وثبت عليَّ هذا الاسم » .

٤٥٠ـ إنما جئت إليك ولا أبتغي غيرك :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله (٢/ ٦١٤) في ترجمة فقيه إفريقية الإمام القدوة الرباني أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال سليمان بن سالم :

أتى رجل من صطفورة فسأل سحنون عن مسألة ، وتردد عليه فقال له : أصلحك الله مسألتي في ثلاثة أيام .

فقال له : وما أصنع لك ؟ وما حيلتي في مسألتك ؟ نازلة معضلة وفيها أقاويل ، وأنا أتخير في ذلك .

فقال الرجل الصطفوري : وأنت أصلحك الله لكل معضلة .

فقال : هيهات ، ليس يا ابن أخي ، فقولك أبذل لك لحمي ودمي إلى النار ، ما أكثر ما لا أعرف ، إن صبرتَ رجوتُ أن تنقلب بمسألتك ، وإن أردت غيري فامضِ ، تجاب عن ساعة .

فقال : إنما جئت إليك ولا أبتغي غيرك .

قال : فاصبر عافاك الله .

ثم أجابه بعد ذلك » .

٤٥١ـ لولا خوفي أن تكون بدعة لدفنته معي :

جاء في سير أعلام النبلاء (٣٩/١٣) وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٤/١) في ترجمة الإمام الزاهد العابد المجاهد ، فارس الإسلام أحمد بن إسحاق أبو إسحاق السُّرْمَاري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عبيد الله بن واصل ، سمعت السُّرْماري يقول :

وأخرج سيفه وقال :

أعْلَمُ يقيناً أني قتلت به ألفَ تُركي[1] ، وإن عشتُ قتلتُ به ألفاً أخرى ، ولولا خوفي أن يكون بدعة لأمرتُ أن يُدفنَ معي » .

٤٥٢ـ إن كنت تجري من قبلك فلا تجري :

جاء في كتاب نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار لمؤمن بن حسن الشبلنجي (ص ١١٢) ما نصه :

---

(١) وذلك عندما كانوا يقاتلون المسلمين.

« لما فُتحت ـ يعني مصر ـ أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل يونة ـ من أشهر العجم ـ فقالوا :

أيها الأمير : إن لنيلنا سُنَّةً لا يجري إلا بها .

فقال لهم : وما ذاك ؟

قالوا : إذا كانت ثنتي عشرة ليلة يخلون من هذا الشهر ، عمدنا إلى جارية بكرٍ من أبويها ، وجعلنا عليها الحُلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل .

فقال لهم عمرو : إن هذا ما لا يكون في الإسلام ؛ إن الإسلام يهدمُ ما كان قبله .

فأقاموا يونة والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه :

إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وإني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا ، فألقها في النيل .

فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو أخذ البطاقة ، ففتحها ، وإذا فيها :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد!

فإن كنت إنما تجري من قِبَلِكَ فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يُجريك فنسأل الله أن يُجريك .

قال : فألقوا البطاقة في النيل ، فلما ألقوا البطاقة في النيل ، أصبحوا يوم السبت وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السُّنَّة عن أهل مصر إلى اليوم » .

٤٥٣ـ حرص على العلم :

جاء في كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص ١٣٩) وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٦/ ٧٥) في ترجمة إمام أهل الأدب عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ١٦٣ هـ ما نصه :

« عن أبي العباس المبرد قال :

ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة :

الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي ، فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره ، أي كتاب كان ، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر في الكتب .

وأما الفتح بن خاقان فإنه كان يحمل الكتاب في كمه أو في خُفِّه ، فإذا قام من بين يدي المتوكل للبول ، أو الصلاة ، أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي ، حتى يبلغ الموضع الذي يريده ، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه ، إلى أن يأخذ مجلسه ، فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة ، أخرج الكتاب من كُمِّه أو خُفِّه ، وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عَوْدِه .

وأما إسماعيل بن إسحاق القاضي ، فإني ما دخلتُ عليه قط إلا رأيته وفي يده كتاب ينظر فيه ، أو يُقلِّبُ الكتب لطلبِ كتاب ينظر فيه ، أو يَنفضُ الكتب » .

٤٥٤ـ أبق على نفسك من العين :

جاء في كتاب نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص ٩٨) في ترجمة إمام أهل اللغة والأدب أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابن بكير النحوي : لما قدم الحسن بن سهل العراق ، أحب أن يجمع بين جماعة من أهل الأدب ، فأحضر أبا عبيدة ، والأصمعي ، ونصر بن علي الجهضمي ، وحضرت معهم .

فابتدأ الحسن فنظر في رقاع كانت بين يديه للناس في حاجاتهم فوقع عليها ، وكانت خمسين رقعة ، ثم أمر فدفعت إلى الخازن ، ثم أفضنا في ذكر الحفظ ، فذكرنا جماعة ، فالتفت أبو عبيدة وقال :

ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى ، هاهنا من يقول : إنه ما قرأ

كتاباً قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ، ولا دخل قلبه شيء وخرج عنه .

فالتفت الأصمعي ، فقال :

إنما يريدني بهذا القول والأمر في ذلك على ما حكى ، وأنا أُقرب إليه : قد نظر الأمير في خمسين رقعة وأنا أُعيد ما فيها ، وما وقع به على كل رقعة ، فأحضرت الرقاع .

فقال الأصمعي : سأل صاحب الرقعة الأولى كذا ، واسمه كذا ، ووقع له بكذا ، والرقعة الثانية والثالثة حتى مر في نيف وأربعين رقعة .

فالتفت إليه نصر بن علي الجهضمي وقال :

أيها الرجل ، أبق على نفسك من العين .

فكف الأصمعي » .

٤٥٥ـ أي شيء تريد ؟ تريد أن أكون مثلك :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٣٨٧ـ٣٨٨) في ترجمة الإمام الفقيه القدوة الرباني أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال عبد الله بن صالح العجلي : دخل سفيان على المهدي فقال : سلام عليكم ، كيف أنتم يا أبا عبد الله ؟

ثم جلس فقال : حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال .

قال : فأي شيء تريد ؟ تريد أن أكون مثلك ؟

قال : فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه .

فقال وزيره أبو عبيد الله :

أبا عبد الله قد كانت كتبك تأتينا فننفذها .

قال : من هذا ؟ قال : أبو عبيد الله وزيري .

قال : احذره فإنه كذاب ، إني ما كتبت إليك .

فقال له المهدي : إلى أين يا أبا عبد الله ؟

قال : أعود ، وكان قد ترك نعله حين قام ، فعاد فأخذها ثم مضى ، فانتظره المهدي فلم يعد .

فقال : وعدنا أن يعود فلم يعد ، فعلم أنه عاد لأخذ نعله فغضب فقال :

قد أمن الناس إلا سفيان الثوري وإنه لفي المسجد الحرام .

فذهب فألقى نفسه بين النساء فخبأنه .

فقيل له : لم فعلت ؟ فقال : إنهن أرحم ، ثم خرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات » .

٤٥٦ـ أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى :

جاء في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ١٦٣) والزهد الكبير للبيهقي (ص ١٨٧) رقم (٤٤٩) ما نصه :

« عن إبراهيم بن بشار قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان : عظني وأوجز .

قال : فقال خالد :

يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرهم ستر الله عز وجل وفتنهم حسن الثناء ، فلا يغلبن جهل غيرك بك لعلمك بنفسك أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين ، وبثناء الناس مسرورين ، وعما افترض الله متخلفين مقصرين ، وإلى الأهواء مائلين .

قال : فبكى ثم قال :

أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى » .

٤٥٧ـ المؤمن قوام على نفسه :

جاء في مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٣ـ٥٠٤) رقم : ١٧٠٨٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٥٧) وصفة الصفوة (٣/ ٢٣٤ـ٢٣٥) في ترجمة الإمام الرباني القدوة الحسن البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن يحيى بن المختار ، عن الحسن قال :

المؤمن قوام على نفسه ، يحاسب نفسه لله ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة .

إن المؤمن يفجؤه الشيء ويعجبه فيقول : والله إني لأشتهيك ، وإنك لمن حاجتي ، ولكن والله ما من صلة إليك ، أيهات ، حيل بيني وبينك .

ويفرط منه شيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا ، ما لي ولهذا ، والله ما لي عذرٌ بها ، والله لا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله .

إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن ، وحال بينهم وبين هلكتهم .

إن المؤمن أسير في الدنيا ، يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ، وفي لسانه ، وفي جوارحه ، مأخوذ عليه في ذلك كله » .

٤٥٨ـ هم على بابك أكثر منهم على بابي :

جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٤/ ١٤ـ١٥) في ترجمة الفقيه الواعظ ريحانة البغداديين أبو سعد المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمارة البقال البغدادي الحنبلي رحمه الله ما نصه :

« كان أبو سعد يعظ بحضرة الخليفة والملوك ، ووعظ يوماً نظام الملك الوزير بجامع المهدي فقال من جملة ما قال :

لما تقلدتَ أمورَ البلاد ، وملكت أَزِمَّة العباد ، اتخذتَ الأبواب والحِجاب والحُجّاب ، ليصدوا عنك المقاصد ، ويردوا عنك الوافدين ،

فاعمر قبرك كما عمرت قصرك ، وانتهز الفرصة مادام الدهر يقبل عذرك .

وهذا ملك الهند وهو عابد صنم ذهب سمعه فقال :

ما حسرتي لذهاب هذه الجارحة من بدني ، ولكن تأسفي لصوت المظلوم لا أسمعه فأعينه .

ثم قال :

إن كان ذهب سمعي ، فما ذهب بصري ، فليؤمر كل ذي ظلامة أن يلبس الأحمر حتى إذا رأيته عرفته فأنصفه .

وهذا أنوشروان قال له رسول الروم :

لقد أقدرت عدوك عليك بتسهيل الوصول إليك .

فقال : إنما أجلس هذا المجلس لأكشف ظلامة ، وأقضي حاجة . . وأنت يا صدر الإسلام أحق بهذه المأثرة ، وأولى بهذه وأحرى ، فأعدّ جواباً لتلك المسألة فإن السائل الله تعالى الذي تكاد السماوات يتفطرن منه ، في موقف ما فيه إلا خاشع ، أو خاضع ، أو مقنع ، فينخلع فيه القلب ، ويحكم فيه الرب ، ويعظم فيه الكرب ، ويشيب فيه الصغير ، ويعزل فيه الملك والوزير ، يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وقد استجلبت لك الدعاء ، وخلدت لك الثناء مع براءتي من التهمة ، فليس لي بحمد الله تعالى في أرض الله ضيعة ، ولا قرية ، ولا بيني وبين أحد خصومة ، ولا بي بحمد الله فقر ولا فاقة .

فلما سمع نظام الملك هذه الموعظة ، بكى بكاءً شديداً ، وأمر له بمئة دينار ، فأبى أن يأخذها .

فقال : فصلها إلى الفقراء .

فقال : هم على بابك أكثر منهم على بابي .

ولم يأخذ شيئاً » .

٤٥٩ـ من فعل أحسن من فعلي فهو أفضل مني :

جاء في أمالي القالي (١/ ٢٧٤) ما نصه :

« قال معاوية لعَرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري :

بأيِّ شيء سُدْتَ قومكَ يا عَرَابة ؟

قال : أخبرك يا معاوية بأني كنت لهم كما كان حاتم لقومه .

قال : وكيف كان ؟

فأنشده :

أصبحت في أمرِ العشيرةِ كلِّها كذي الحِلم يُرضي ما يقول ويُعرف
وذاك لأني لا أعادي سَراتَهُم ولا عن أخي ضَرَّائِهم أتَنَكَّف
وإنّي لأعطي سائلي ولربما أكلَّف ما لا أستطيع فأُكْلَف
وإني لمذموم إذا قيل حاتم نبا نَبْوةً إنَّ الكريمَ يُعَنَّف

ووالله إني لأعفو عن سفيههم ، وأحلُمُ عن جاهلهم ، وأسعى في حوائجهم ، وأعطي سائلهم ، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ، **ومن فعل أحسن من فعلي فهو أفضل مني** ، ومن قصَّر عن فعلي فأنا خير منه .

فقال معاوية : لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك :

رأيتُ عَرابةَ الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقاها عَرابَةُ باليمينِ

٤٦٠ـ يا ظالم قتلت الإمام بن الإمام :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/ ٢٨٨) في ترجمة الحافظ المجود الشهيد يحيى محمد بن يحيى أبو زكريا الذهلي المعروف بحيكان ، رحمه الله تعالى ما نصه :

« سمعت محمد بن صالح بن هانىء يقول :

لما قُتل حيكان ترك أبو عمرو المستملي اللباس القُطني ، وكان يلبس

في الشتاء فرواً بلا قميص ، وفي الصيف مَسْحاً ، وكان مجلسُهُ ومبيتُه في مسجد الأدميين على رأس سكة الحسن بن موسى بنيسابور ، إذ سمع الناس يقولون :

قد أقبل أحمدُ الخُجُسْتاني .

فخرج المُستملي وعليه الفرو ، فتقدم ، فأخذ عنان أحمد ، ثم قال :

يا ظالم قتلت الإمام بن الإمام ، العالم بن العالم ؟ ؟!!

فارتعد الخُجُسْتاني ، ونفرت دابته ، فتقدم الرَّجَّالة لضربه ، فصاح الخُجُسْتاني :

دعوه ، دعوه .

فرجع فدخل المسجد » .

٤٦١ـ قم قبحك الله وقبح من أرسلك :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ٢٥٢) في ترجمة الإمام الفقيه الزاهد القدوة جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة أبو يوسف الصدفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الفقيه ابن سعدون القروي :

لما دخل عبيد الله الشيعي القيروان ، وخطب أول جمعة ، وجبلة حاضر ، فلما سمع كفرهم ، قام قائماً وكشف عن رأسه حتى رآه الناس ، وخرج يمشي إلى آخر الجامع ، ويقول :

قطعوها قطعهم الله .

فما حضرها أحد من أهل العلم بعد هذا .

ولما ولي الصديني القضاء ، أيام أحمد بن الأغلب ، كان جبلة يصلي الظهر أربعاً بأذان وإقامة .

فقال له المؤذن : ترى أن نؤذن ونقيم في داخل المسجد ؟

فلما حان الوقت ، حاد من الصلاة .

فقال له جبلة : قد قال مالك في المسجونين ، يُجَمِّعون في السجن ، لأنهم منعوا من الجمعة ، فنحن أقمنا أنفسنا مقامهم .

وكتب الصديني إلى ابن الأغلب يخبره بما فعل جبلة ، فأرسل إليه :

مد يدك إلى من شئت واترك جبلة .

وجاء صاحب الحرس ، فقال له :

يقول لك الأمير ، كرر الإقامة ، وسلم من اثنتين ، ولا تقنت .

فقال له جبلة : الأمير لا يعلمنا أمر ديننا .

وجاءه آخر من قبل القاضي بمثل ذلك ، وبقراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وبزيادة حي على خير العمل في الأذان .

فقال له جبلة : قم قبحك الله ، وقبح من أرسلك .

فرجع الرسول إلى المروردي فأخبره ، فسبه المروردي ، وقال له : أنا أرسلتك إلى جبلة ، تأتي إلى أولياء الله تعالى ، تتعرض في دعائهم » .

٤٦٢ـ ربما وقع من غيري وليس لي :

جاء في تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي (٢/ ١٧٣) في ترجمة الإمام الزاهد العابد الورع المحقق المتقن المدقق إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي الفيروزأبادي صاحب المهذب رحمه الله تعالى ما نصه : « دخل يوماً مسجداً ، ليأكل فيه شيئاً على عادته ، فنسي ديناراً ، فذكره في الطريق فرجع فوجده ، فتركه ولم يمسه وقال :

ربما وقع من غيري ولا يكون ديناري » .

٤٦٣ـ أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ٨٤ـ٨٥) في ترجمة سلطان العلماء الإمام الفقيه القدوة عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في حادثة بيعه أمراء المماليك ما نصه :

« وهم ـ يعني المماليك ـ جماعة ذكر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار ، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين ، فبلغهم ذلك فعظم الخطب عندهم فيه ، واحتدم الأمر ، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ، ولا شراءً ، ولا نكاحاً .

وتعطلت مصالحهم بذلك ، وكان من جملتهم نائب السلطنة ، فاستشاط غضباً ، فاجتمعوا وأرسلوا إليه .

فقال : نعقد لكم مجلساً وينادى عليكم لبيت مال المسلمين ، ويحصل عتقكم بطريق شرعي .

فرفعوا الأمر إلى السلطان ، فبعث إليه فلم يرجع ، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة ، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر ، وأنه لا يتعلق به .

فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار ، وأركب عائلته على حمير أخر ، ومشى خلفهم خارجاً من القاهرة قاصداً نحو الشام ، فلم يصل إلى نحو نصف بريد ، إلا وقد لحقه غالب المسلمين ، لم تكد امرأة ولا صبي ، ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف ، لاسيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاءهم .

فبلغ السلطان الخبر وقيل له : متى راح ذهب ملكك .

فركب السلطان بنفسه ولحقه ، واسترضاه وطيب قلبه ، فرجع واتفقوا معهم على أن ينادى على الأمراء .

فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة ، فلم يُفد فيه ، فانزعج النائب وقال :

كيف ينادي علينا هذا الشيخ ، ويبيعنا ونحن ملوك الأرض ؟ والله لأضربنه بسيفي هذا .

فركب بنفسه في جماعته ، وجاء إلى بيت الشيخ ، والسيف مسلول في يده ، فطرق الباب فخرج ولد الشيخ ـ أظنه عبد اللطيف ـ فرأى من نائب

السلطنة ما رأى ، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال ، فما اكترث لذلك ولا تغير ، وقال :

يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله .

ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة ، فحين وقع بصره على النائب ، يبست يد النائب ، وسقط السيف منها ، وأرعدت مفاصله ، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له .

وقال : يا سيدي خبر أي شيء تعمل ؟

قال : أنادي عليكم وأبيعكم .

قال : ففيم تصرف ثمننا ؟

قال : في مصالح المسلمين .

قال : من يقبضه ؟

قال : أنا .

فتم له ما أراده ، ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم ، وقبضه وصرفه في وجوه الخير ، وهذا ما لم يسمع بمثله أحد رحمه الله ورضي عنه » .

٤٦٤ـ أما الدنيا فلك وأما الآخرة فله :

جاء في الجليس الصالح الكافي لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني (٤٦/٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر جزء : عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) : ٤٣٥ـ٤٣٦ ما نصه :

« عن عبد الله بن محمد بن حبيب :

أن معاوية لما حج مر بالمدينة ، فلقيه عبد الله بن الزبير فقال : آدني على الوليد بن عقبة فقد تزايد خطله ، وذهب به جهله إلى غاية تقصر عنها الأنوق ، ودون قرارها العيوق .

فقال معاوية : والله مايزال أحدكم يأتيني ، يغلي جوفُهُ غليّ المرجل على ابن عمه .

فقال ابن الزبير : أما والله ما ذاك عن فرار منه ولا جبن عنه ، ولقد علمتْ قريش أني لستُ بالفهِّ الكهام ، ولا بالهلباجة النثر .

فقال له معاوية : إنك لتهددني وقد عجزت عن غلامٍ من قريش لم يُبرّ في سباقٍ ولا ضرب في سياقٍ ، وإن شئتَ خلينا بينك وبينه .

فقال ابن الزبير : ما مثلي يُهارش به ، ولكن عندك من قريشٍ والأنصار ومن ساكني الحجون والآطام من إن سألتَ ، حملك على محجة أبين من ظهر الجفير .

قال : ومن ذلك ؟

قال : هذا ، يعني أبا الجهم بن حذيفة .

فقال معاوية : تكلم يا أبا الجهم .

فقال : أعفني .

قال : عزمتُ عليك لتقولنَّ .

قال : نعم أمك هند ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ، وأسماء خير من هند ، وأبوك أبو سفيان ، وأبوه الزبير ، ومعاذَ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير ، وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله ، إن شاء الله » .

● آدني : أعدني . ● الأنوق : الرخم نوع من الطير يضع بيضه في أعالي الجبال فلا يكاد يصل إليه إنسان . ● العيوق : نجم عالٍ معروف . ● الفه : الكلام على غير استقامة . ● الكهامة : الكليل الضعيف . ● الهلباجة : الأحمق . ● النثر : ذو الرأي السخيف . ● لم يبر في سباق : لم يسبق بفضل حتى يفضل على غيره . ● لا ضرب في سياق : لم يُرَض فيحتنك وتشتد عزيمته . ● الجفير : الكنانة .

٤٦٥ـ عاهد الله أن لا يكلمه لأنه ولاه القضاء :

جاء في المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ١٢٣) وتاريخ بغداد للخطيب (١٣/ ٥) في ترجمة الإمام الفقيه القدوة إمام أهل مصر بلا مدافعة الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال يعقوب بن سفيان الفسوي : سمعت ابن بكير قال :

قال الليث : قال لي أبو جعفر : تلي لي مصر ؟

قلت : لا يا أمير المؤمنين إني أضعف عن ذلك ، إني رجل من الموالي .

فقال : ما بك ضعف مني ، ولكن ضعفت نيتك عن العمل في ذلك لي ، أتريد قوة أقوى مني ومن عملي ! ! فأما إذا أبيت فدلَّني على رجل أقلده أمر مصر ؟

قلت : عثمان بن الحكم الجذامي ، رجل صلاح وله عشيرة .

قال : فبلغه ذلك ، فعاهد الله عز وجل أن لا يكلم الليث بن سعد » .

٤٦٦ـ لولا خصال فيك ، كنت أنت الرجل :

جاء في تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٣/ ٤٣٤) والمعرفة والتاريخ للفسوي (٢/ ٩٤) في ترجمة القاضي الفقيه التابعي الجليل إياس بن معاوية بن قرة المزني أبو واثلة البصري ، ومن ضرب بذكائه المثل رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن رجاء بن أبي سلمة قال :

قال خالد بن صفوان لإياس : **لولا خصالٌ فيك ، كنت أنت الرَّجل** .

قال : وماهي ؟

قال : تقضي قبل أن تَفْهم ، ولا تُبالي مع من جَلَسْتَ ، ولا تبالي ما لبستَ .

قال : أما قولك : إني أقضي قبل أن أفهم ، فأيهما أكثر ثلاث أو ثنتان ؟

قال : لا ، بل ثلاث ، ومن لا يفهم هذا ؟

قال : أنا كذلك لا أقضي حتى أفهم .

وأما قولك : لا أبالي مع من جلست ، فإني أجلس مع من يرى لي ، أحبُّ إليَّ من أن أجلس مع من أرى له .

وأما قولك : لا أُبالي ما لبست ، فإني ألبسُ ثوباً أقي به نفسي ، أحبُّ إليَّ من أن ألبس ثوباً أقيه بنفسي » .

٤٦٧ـ والله لا حقرت بعدك أحداً :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٢٥٦ـ٢٥٧) والتاج المكلل لصديق حسن (ص ٤٦) في ترجمة الإمام الفقيه الزاهد أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني المشهور بالظاهري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قيل أنه كان يحضر مجلسه أربعمئة صاحب طيلسان أخضر ـ أي أربع مئة عالم كبير ـ .

قال داود : حضر مجلسي يوماً أبو يعقوب الشريطي ، وكان من أهل البصرة ، وعليه خرقتان ! فتصدر لنفسه من غير أن يرفعه أحد ، وجلس إلى جانبي ، وقال لي :

سل يا فتى عما بدا لك .

فكأني غضبت منه ! فقلت له مستهزئاً : أسألك عن الحجامة . فبرك أبو يعقوب ، ثم روى طريق حديث : « أفطر الحاجم والمحجوم ومن أرسله ، ومن أسنده ، ومن وقفه ، ومن ذهب إليه من الفقهاء » .

وروى اختلاف طريق حديث احتجام النَّبي ﷺ وإعطاء الحاجم أجره ، ولو كان حراماً لم يعطه ، ثم روى طُرق حديث أن النَّبي ﷺ احتجم بقرن ، وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة ، ثم ذكر الأحاديث المتوسطة مثل : « ما مررت بملأ من الملائكة . . » ومثل « شفاء أمتي ثلاث . . . » وما أشبه ذلك .

وذكر الأحاديث الضعيفة مثل قوله ﷺ : « لا تحتجموا يوم كذا ، ولا ساعة كذا » .

ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان ، وما ذكروه فيها ، ثم ختم كلامه بأن قال :

وأول ما خرجت الحجامة من أصبهان!

فقلت له : **والله لا حقرت بعدك أحداً أبداً** » .

٤٦٨ـ خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب :

جاء في تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي (ص ٣٢١ـ٣٢٢) في ترجمة الخليفة المأمون ما نصه :

« عن مخارق قال :

أنشدت المأمون قول أبي العتاهية :

وإني لمحتاج إلى ظل صاحب   يـروق ويصفـو إن كَـدَرتُ عليـه

فقال لي : أعِدْ .

فأعدت سبع مرات .

فقال لي : يا مخارق خذ مني الخلافة ، **وأعطني هذا الصاحب** » .

٤٦٩ـ الافتداء من عذاب الله :

جاء في صحيح البخاري حديث رقم : ٣٦٩٢ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٥٢) ، ومصنف ابن أبي شيبة رقم (١٦٣٤١) (١٣/ ٢٨٠) ما نصه :

« عن المسور بن مخرمة قال :

لما طُعن عمر جعل يألم ، فقال له ابن عباس ـ كأنه يُجَزِّعهُ ـ : يا أمير المؤمنين ، ولئن كان ذاك ، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض .

ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض .

ثم صحبت صَحَبَتَهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون .

قال : أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ فإن ذاك مَنٌّ من الله تعالى منَّ به عليَّ .

وأمّا ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ من الله جل ذكره مَنَّ به عليَّ .

وأمّا ما ترى من جزعي فهو من أجْلكَ وأجل أصحابك ، والله لو أنَّ لي طِلاعَ الأرض ذهباً لافتديتُ به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه » .

● كأنه يجزعه : يزيل جزعه . ● ثم صحبت صحبتهم : أي أصحابهما . ● طلاع الأرض : ملؤها .

٤٧٠- من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا :

جاء في أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ٧١) في ترجمة عمر بن الخطاب ما نصه :

« عن مولى لعثمان بن عفان قال :

بينما أنا مع عثمان في ماله بالعالية في يوم صائف ، إذ رأى رجلاً يسوق بَكْرَين ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر .

فقال : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يُبْرِدَ ثم يروح .

ثم دنا الرجل فقال : انظر ، فنظرتُ ، فإذا عمر بن الخطاب ، فقلت : هذا أمير المؤمنين .

فقام عثمان ، فأخرج رأسه من الباب فآذاه نفح السَّموم ، فأعاد رأسه حتى حاذاه .

فقال : ما أخرجك هذه الساعة ؟

فقال : بَكْرَان من إبل الصدقة تخلفا وقد مُضِيَ بإبل الصدقة ، فأردت أن

ألحقهما بالحِمى ، وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما .

فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ، هلمَّ إلى الماء والظل نكفيك .

فقال : عد إلى ظلك .

فقال : عندنا من يكفيك .

فقال : عُد إلى ظلك ، ومضى .

فقال عثمان : من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا ، فعاد إلينا ، فألقى نفسه » .

● البكر : الفتيُّ من الإبل . ● السموم : الريح الحارة ، أو الحر الشديد النافذ في المسام .

٤٧١ـ مُتْ إذا شئت ، مُتْ إذا شئت :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٧) في ترجمة الإمام العلامة فقيه المغرب أبو سعيد ، عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي ، قاضي القيروان ، ويلقب بسُحنون ، رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن يحيى بن عون قال :

دخلتُ مع سُحنون على ابن القصَّار وهو مريض .

فقال : ما هذا القَلَقُ ؟

قال له : الموت والقدومُ إلى الله .

قال له سحنون : ألست مصدقاً بالرسل والبعث والحساب ، والجنة والنار ، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ، ثم عمر ، والقرآن كلام الله غيرُ مخلوق ، وأن الله يُرى يوم القيامة ، وأنّه على العرش استوى ، ولا تخرجُ على الأئمة بالسيف ، وإن جاروا .

قال : إي والله .

فقال : **مُتْ إذا شئت ، مُتْ إذا شئت** » .

٤٧٢ـ يا أخي بلغ منك هذا وأنا في الدنيا :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله (٣/ ١١٣ـ١١٤) في ترجمة الإمام الفقيه القدوة محمد بن سحنون رحمه الله تعالى ما نصه :

« ذُكر أن رجلاً عراقياً كان يؤذي محمد بن سحنون ، وينال منه ، فاشتد عليه مرة الفقر ، فقام بباله قصده ، فنهته امرأته لما عرفت منه ، فلم يقبل منها ، ووصل إليه .

فقال : جئت أستعينك وأستعفيك .

فقال : اذكر حاجتك .

فقال : ما جئت إلى هذا .

قال : لابد أن تذكر حاجتك .

فشكا إليه حاله ، فاسترجع محمد ، وقال :

يا أخي بلغ منك هذا وأنا في الدنيا .

وكتب إليه رقعة إلى صيرفي بعشرين ديناراً .

وقال : اشتر بها لأهلك ما يحتاجون ، ففعل الرجل ، وأخبر الرجل بذلك ابن سحنون فسر .

ثم قال له : تقدر على السفر ؟

قال : نعم .

فكتب له كتاباً ، وقال له : تمضي به إلى قسنطينة .

فمضى الرجل بها وأوصلها إلى أصحابها ، فأكرم وأضيف ، وأعطي ثلاثمئة دينار ، فظن الرجل أنها لمحمد بن سحنون ، وأنه وجهه وراءها فلما وصل إلى القيروان دفعها لمحمد بن سحنون مع أجوبة القوم .

فقال محمد : إنا لله وإنا إليه راجعون .

قال القاسم : قال الرجل : يا سيدي ، إن كان بقي شيء رجعت إليه ، أقتضيه لك .

فقال : ليست لي ، إنما هي لك ، وما عهدناهم كذلك . وجعل يستقلها » .

٤٧٣ـ نَدْرُسُ لعلَّه ينجو به ناجٍ :

جاء في الجواهر المضيئة للحافظ القرشي (١/ ٧٦) ومناقب أبي حنيفة للموفق المكي (١/ ٤٨١) ومناقب أبي حنيفة لحافظ الدين الكردري (٢/ ٤٠٥) في ترجمة الإمام الفقيه قاضي قضاة الخلافة الإسلامية أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي ثم البغدادي تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله تعالى ما نصه :

« قال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي ثم المصري :

مرضَ أبو يوسف ، فأتيته أعودُه ، فوجدته مغمى عليه ، فلما أفاق قال لي : يا إبراهيم ، ما تقولُ في مسألة ؟

قلتُ : في مثل هذه الحالة ؟!

قال : ولابأس بذلك ، نَدْرُسُ لعله يَنْجُو به ناجٍ ؟

ثم قال : يا إبراهيم ، أيما أفضل في رمي الجمار ـ أي مناسك الحج ـ أن يرميها ماشياً أو راكباً ؟

قلت : راكباً . قال : أخطأت .

قلت : ماشياً . قال : أخطأت .

قلت : قل فيها ، يرضى اللهُ عنك .

قال : أمّا ما كان يوقَفُ عنده للدعاء ، فالأفضل أن يرميه ماشياً ، وأمّا ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكباً . ثم قمت من عنده ، فما بلغت باب داره حتى سَمِعْتُ الصُّراخ عليه ، وإذا هو قد مات ، رحمة الله عليه » .

٤٧٤ـ هل رأيت حبيباً يعذب حبيبه ؟

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ٢٥٥) وكتاب الرقة والبكاء لموفق الدين ابن قدامة المقدسي (ص ٥٢) في ترجمة الإمام القدوة الرباني أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أحمد بن أبي الحواري قال :

دخلتُ على أبي سليمان الداراني يوماً وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟

فقال لي : يا أحمد ، إنه إذا جُنَّ الليلُ على أهل المحبة ، افترشوا أقدامهم ودموعهم تجري على خدودهم ، وقد أشرف الجليل عليهم فنادى : يا جبريل ، بعيني من تلذَّذ بكلامي واستراح إلى مناجاتي ، وإني لمطَّلع عليهم ، أسمع حنينهم ، وأرى بكاءهم ، فناد فيهم يا جبريل : ما هذا الجزع الذي أراه فيكم ؟

هل أخبركم عني مخبر أن حبيباً يعذب أحباءه ؟

أم هل يَجْمُلُ بي أن أُبيِّتَ أقواماً ، وعند البيات أجدهم لي وقوفاً فإذا جنّهم الليل تملَّقوني ؟

فبي حلفتُ ، لأجعلنَّ هديتي إياهم ـ لو قد وردوا عليَّ القيامة ـ أن أكشف لهم عن وجهي الكريم ، أنظر إليهم وينظرون إليَّ » .

٤٧٥ـ فائدة ذكر الموت :

جاء في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٧٦) وطبقات ابن سعد (٥/ ٣٧٢) وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ١٣٦) ما نصه :

« عن أسماء بن عبيد قال :

دخل عنبسة على عمر بن عبد العزيز فقال :

يا أمير المؤمنين إنه كان من كان قبلك يعطينا عطايا منعتناها ، وإن لي عيالاً وضيعة قد أحببت أن أتعاهد ضيعتي وما يصلح عيالي .

فقال عمر : أحبكم إلينا من فعل ذلك .

قال : فلما ولى قال : أبا خالد ، أبا خالد ، **أكثر ذكر الموت فإنك لا تذكره وأنت في ضيق من العيش إلا وسعه عليك ، ولا تذكره وأنت في سعة من العيش إلا ضيقه عليك** » .

٤٧٦ـ لا نقبل رواية من أسقطه ابن عبد السلام :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ٨١) في ترجمة شيخ الإسلام والمسلمين أحد الأئمة الأعلام سلطان العلماء إمام عصره بلا مدافعة القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السَلَمي رحمه الله تعالى ما نصه :

« اتفق أن أستاذ داره ـ يعني السلطان نجم الدين أيوب ملك الديار المصرية ـ فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ وهو الذي كان إليه أمر المملكة عمد إلى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء لطبل خانات وبقيت تضرب هنالك ، فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين حكم بهدم ذلك البناء ، وأسقط فخر الدين ابن الشيخ ، وعزل نفسه من القضاء .

ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان ، ولكنه لم يعده إلى الولاية ، وظن فخر الدين وغيره أن هذا الحكم لا يتأثر به فخر الدين في الخارج .

فاتفق أن جهز السلطان الملك الصالح رسولاً من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد ، فلما وصل الرسول إلى الديوان ، ووقف بين يدي الخليفة ، وأدى الرسالة ، خرج إليه من سأله :

هل سمعت هذه الرسالة من السلطان ؟

فقال : لا ، ولكن حملنيها عن السلطان فخر الدين ابن شيخ الشيوخ أستاذ الدار .

فقال الخليفة : إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام ، فنحن لا نقبل روايته .

فرجع الرسول إلى السلطان ، حتى شافهه بالرسالة ثم عاد إلى بغداد فأداها » .

٤٧٧ـ أبلغ صاحبك الموضع الذي أودعك فيه :

جاء في تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٣/ ٤٢٤) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٤٦٧) في ترجمة القاضي الذكي النبيه الإمام إياس بن معاوية المزني رحمه الله ما نصه :

« قال أبو الحسن المدائني :

تنازع إلى إياس رجلان ، ادعى أحدهما أنه أودع صاحبه مالاً ، وجحده الآخر .

فقال إياس للمُدعي : أين أودعته هذا المال ؟

قال : في موضع كذا وكذا .

قال : وما كان في ذلك الموضع ؟

قال : شجرة .

قال : فانطلق فالتمس مالك عند الشجرة ، فلعلك إذا رأيتها تذكر أين وضعت مالك .

فانطلق الرجل ، وقال إياس للمطلوب :

اجلس إلى أن يجيء صاحبك .

فجلس ، فلبث إياس ملياً يحكم بين الناس ، ثم قال للجالس عنده : **أترى صاحبك بلغ الموضع الذي أودعك فيه ؟**

قال : لا .

قال : يا عدو الله إنك لخائن .

فأقر عنده فحبسه ، حتى جاء صاحبه ، ثم أمره بدفع الوديعة إليه » .

٤٧٨ـ حمل على نفسه في الورع :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب (٩/ ٢٤٠ـ٢٤١) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٢/ ٥١٥) في ترجمة الإمام الورع أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيب بن حرب أبو صالح المدائني رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أحمد بن الحسين الصوفي قال : سمعت أبا حمدون المقرىء ـ واسمه طيب بن إسماعيل ـ يقول :

ذهبنا إلى المدائن إلى شعيب بن حرب ، وكان قاعداً على شط الدجلة ، وكان قد بنى كوخاً ، وخبز له معلق في شريط ، ومطهرة ، يأخذ كل ليلة رغيفاً يبله في المطهرة ويأكله .

فقال بيده هكذا ، وإنما كان جلد وعظم .

قال : فقال : أرى هوذا بعد لحم ، والله لأعملن في ذوبانه حتى أدخل إلى القبر وأنا عظام تقعقع ، أريد السمن للدود والحيات .

قال : فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال :

شعيب بن حرب حمل على نفسه في الورع » .

٤٧٩ـ الصبر أقرب إلى الله عز وجل :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٣٠٢) في ترجمة الإمام الفقيه رجاء بن حيوة بن جرول أبو المقدام الكندي رحمه الله تعالى ما نصه :

« لما حَضر أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة ـ وكان ولي عهد أبيه ـ دخل عليه أبوه وهو يجود بنفسه ، ومعه عمر بن عبد العزيز وسعيد بن

عقبة ورجاء بن حيوة ، فجعل سليمان ينظر إلى وجه أيوب ، فخنقته العَبْرَة ، ثم قال :

إنه ما يملك العبد نفسه أن يسبق إلى قلبه الوَجْدُ عند المصيبة ، والناس في ذلك أصناف :

فمنهم المحتسب ، ومنهم من يغلب صبرُه جَزَعهُ فذلك الجَلْدُ الحازم ، ومنهم من يغلب جزعُه صبرَه فذلك المغلوب الضعيف ، وإني أجد في قلبي لوعة إن أنا لم أُبردها خفت أن تنصدع كبدي كمداً .

فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ، الصبر أولى بك فلا يحبطن أجرك .

وقال سعيد بن عقبة :

فنظر إليَّ وإلى رجاء بن حيوة نظرة مستغيث يرجو أن نساعده على ما أدركه من البكاء ، فأما أنا فكرهت أن آمره أو أنهاه .

وأما رجاء فقال : يا أمير المؤمنين ، إني لا أرى بذلك بأساً ما لم يأت الأمر المفرط ، وإني قد بلغني أن النَّبي ﷺ لما مات إبراهيم دمعت عيناه ، فقال :

« تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » .

فبكى سليمان حتى اشتد بكاؤه ، فظننا أن نِياطَ قلبه قد انقطع .

فقال عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوة :

بئس ما صنعت بأمير المؤمنين .

فقال : دعه يا أبا حفص يقضي من بكائه وطراً ، فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى خفت أن يأتي عليه .

ثم أمسك عن البكاء ، ودعا بماء فغسل وجهه ، وقضى الفتى ، فأمر بجهازه ، وخرج يمشي أمام جنازته ، فلما دفن وقف ينظر إلى قبره ثم قال :

وقفتُ على قبرٍ مقيم بقفرة ... متاعٌ قليلٌ من حبيب مُفارق

ثم قال : السلام عليك يا أيوب ، وقال :

كنــتَ لنــا أنســاً ففــارقتنــا فـالعيشُ مـن بعـدكَ مـرٌّ المـذاق

ثم قال : يا غلام أدنِ دابتي مني ، فركب وعطف دابته إلى القبر ، وقال :

فإن صبرتُ فلم ألفظك من شبَعٍ وإن جـزعـتُ فعِلـقٌ مُنفسٌ ذهبـاً

فقال عمر : بل الصبر أقرب إلى الله عز وجل .

قال : صدقت . وانصرف » .

٤٨٠- يا محمود أنقذني من هذين الشخصين :

جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (٤/ ٢٣٠) في ترجمة الملك العادل الزاهد المجاهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي رحمهما الله تعالى ما نصه :

« ذكر المطري في كتابه تاريخ المدينة :

أن السلطان محمود رأى النبي ﷺ في ليلة واحدة ثلاث مرات ، وهو يقول له في كل واحدة منها :

يا محمود أنقذني من هذين الشخصين .

لشخصين أشقرين تجاهه ، فاستحضر وزيره قبل الصبح فأخبره ، فقال له : هذا أمر حدث في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك .

فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة ، وما يتبعها من خيل وغير ذلك ، حتى دخل المدينة على غفلة .

فلما زار طلب الناس عامة للصدقة وقال :

لا يبقى بالمدينة أحد إلا جاء .

فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس ، نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد ، عند دار آل عمر بن الخطاب التي

تعرف اليوم بدار العشرة رضي الله عنهم .

قالا : نحن في كفاية ، فجد في طلبهما حتى جيء بهما .

فلما رآهما قال للوزير : هما هذان .

فسألهما عن حالهما وما جاء بهما .

فقالا : لمجاورة النبي ﷺ .

فكرر السؤال عليهما حتى أفضى إلى العقوبة ، فأقرا أنهما من النصارى وصلا كي ينقلا النبي ﷺ من هذه الحجرة الشريفة ، ووجدهما قد حفرا نقباً تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي ، يجعلان التراب في بئر عندهما في البيت ، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة النبي ﷺ خارج المسجد ثم أحرقا ، وركب متوجهاً إلى الشام راجعاً » .

٤٨١ـ أبقي على حفظي :

جاء في نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص ١٩٩) في ترجمة إمام أهل النحو الزاهد أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال محمد بن جعفر التميمي : أما أبو بكر بن القاسم الأنباري فما رأينا أحفظ منه ، ولا أغزر منه في علمه .

وقال أبو الحسن العروضي : اجتمعت أنا وهو عند الراضي بالله تعالى على الطعام ، وكان قد عرف الطباخ ما يأكل ، فكان يسوي له قلية يابسة .

قال : فأكلنا نحن من ألوان الطعام وأطايبه ، وهو يعالج تلك القلية ثم فرغنا وأوتينا بحلوى ، فلم يأكل منها ، فقام وقمنا إلى الخيش ، فنام بين يدي الخيش ، ونمنا في خيش ينافس فيه ، ولم يشرب ماءً إلى العصر ، فلما كان بعد العصر ، قال لغلام : الوظيفة ، فجاءه بماء من الجب وترك الماء المزمل ، فغاظني أمره ، فصحت صيحة ، فأمر أمير المؤمنين بإحضاري وقال : ما قصتك ؟

فأخبرته وقلت : يا أمير المؤمنين يحتاج إلى أن يحال بينه وبين تدبير نفسه ، لأنه يقتلها ولا يحسن عشرتها .

قال : فضحك ، وقال : له في هذا لذة ، وقد جرت له به عادة ، وصار إلفاً لذلك فلا يضره .

ثم قلت : يا أبا بكر لم تفعل هذا بنفسك ؟

فقال : أُبقي على حفظي .

قلت : قد أكثر الناس في حفظك فكم تحفظ ؟

قال : أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً .

قال محمد بن جعفر : وهذا ما لم يحفظه أحد قبله ولا بعده » .

٤٨٢ـ لأجتهدن ثم لأجتهدن :

جاء في حلية الأولياء (٢/ ٨٨) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٢٠١ـ٢٠٢) في ترجمة الإمام الرباني القدوة الزاهد عامر بن عبد الله بن قيس العنبري أحد الزهاد الثمانية رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن علقمة بن مَرْثَد قال :

انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين : أويس القرني ، وعامر بن عبد الله ، وهرم بن حيان ، والربيع بن خيثم ، ومسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وأبو مسلم الخولاني ، والحسن بن أبي الحسن البصري . ثم قال :

فأما عامر بن عبد الله ، فإن كان ليصلي ، فيتمثل إبليس في صورة الحية ، فيدخل من تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه ، فقيل له : ألا تنحي الحية عنك ؟

فقال : إني لأستحيي من الله أن أخاف سواه .

وقيل له : إن الجنة لتُدرك بدون ما تصنع ، وإن النار لتتقى بدون ما تصنع .

فقال : **والله لأجتهدنَّ ، ثم والله لأجتهدنَّ ، فإن نجوت فبرحمة الله ،** وإن دخلت النار فبُعد جهدي .

فلما احتضر بكى ، فقيل له : أتجزع من الموت وتبكي ؟

فقال : وما لي لا أبكي ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على دنياكم رغبة فيها ، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء .

وكان يقول : إلهي! في الدنيا الهموم والأحزان ، وفي الآخرة الحساب والعذاب ، فأين الروح والفرح ؟ » .

٤٨٣ـ ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٢٤١) في ترجمة الإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ، الفقيه القدوة الرباني أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال صالح بن أحمد :

حُمل أبي ومحمد بن نوح من بغداد مقيدين ، فصرنا معهما إلى الأنبار .

فسأل أبو بكر الأحول أبي : يا أبا عبد الله ، إن عرضت على السيف تجيب ؟

قال : لا . ثم سُيِّرا .

فسمعت أبي يقول : صرنا إلى الرَّحْبَة ، ورحلنا منها في جوف الليل ، فعرض لنا رجل ، فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟

فقيل له : هذا .

فقال للجمال : على رِسْلك .

ثم قال : يا هذا ، **ما عليك أن تقتل هاهنا ، وتدخل الجنة ؟**

ثم قال : أستودعك الله ، ومضى .

فسألتُ عنه ، فقيل لي :

هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشعر في البادية ، يقال له : جابر بن عامر ، يذكر بخير » .

٤٨٤ـ ما علمت إلا خيراً :

جاء في ترتيب المدارك (٣/ ٨١) في ترجمة الإمام الفقيه يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة أبو موسى الصدفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الكندي ، عن ابن عثمان : كان جعفر بن قادم ، أوصى إلى يونس وكان ذا مال عريض ، فحبسه إبراهيم بن الجراح ، حتى استخرجها من يده .

وقال غيره : أوصى أحمد بن أبي أمية ، إلى يونس وثلاثة معه ، بمال فصرف اثنان منهم إلى يونس وصيتهما ، فطولب يونس بها عند ابن أبي الليث ، فسجنه في ذلك ، فيقال أنه بقي في السجن ثمان سنين من سنة ثمان وعشرين إلى سنة خمس وثلاثين .

فلما قدم قوصرة ، من عند المتوكل ، ليكشف أمر ابن أبي الليث ، قيل له : ائت يونساً يشهد عليه وهو في سجنه ، فأخرجه وسأله عنه فقال : **ما علمت إلا خيراً** .

قيل : إنه قد سجنك منذ كذا وكذا سنة .

قال : لم يظلمني هو ، إذ ظلمني من شهد علي بخلاف قوصرة .

ودخل يونس إلى منزله ، فلما أخرج ابن أبي الليث من السجن ليحكم في قصة بني عبد الحكم ، وحكم عليهم ، راعى يونس مقاله ، وحكم له أنه بريء من تلك الوصية ، وكانت عدتها ثلاثة وثلاثين ألف دينار » .

٤٨٥ـ إذا أحب الله عبداً حببه إلى خلقه :

جاء في صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده برقم : ٢٦٣٧ ما نصه :

« عن سهيل بن أبي صالح قال :

كُنا بعرفة ، فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم ، فقام الناس ينظرون إليه .

فقلت لأبي : يا أبت! إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز .

قال : وما ذاك ؟

قلت : لما له من الحُب في قلوب الناس .

فقال : بأبيك! أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ قال :

« إن الله إذا أحب عبداً ، دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه . قال : فيحبه جبريل . ثم يُنادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض .

وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه . قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال : فيبغضونه . ثم توضع له البغضاء في الأرض » .

٤٨٦ـ أوصيتني برجل أعمى! والله ما رفع طرفه إليَّ!

جاء في كتاب ذم الهوى لابن الجوزي (ص ٨٧ـ٨٨) ما نصه :

« طلب داود بن عبد الله بعضُ أمراء البصرة ، فلجأ إلى رجل من أصحابه ، وكان منزله أقصى البصرة ، وكان الرجل غيوراً ، فأنزله منزله ، وكانت له امرأة يقال لها : زرقاء ، وكانت جميلة .

فخرج الرجل في حاجة ، وأوصاها أن تُلطفه وتخدمه ، فلما قدم الرجل قال له :

كيف رأيت الزرقاء ، وكيف كان لطفها بك ؟

قال : من الزرقاء ؟

قال : أم منزلك .

قال : ما أدري أزرقاء هي أم كحلاء ؟

فأتاها زوجها فتناولها وقال : أوصيتك بداود أن تُلطفيه وتخدميه فلم تفعلي ؟!

فقالت : **أوصيتني برجل أعمى! والله ما رفع طرفه إليّ!** » .

٤٨٧ـ كذا كان أبو الحسن رحمه الله :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٨٤ـ٨٥) ونور الأبصار للشلبنجي (ص ١٩٠) ما نصه :

« عن أبي صالح قال :

دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية ـ رضي الله عنه ـ فقال له : صف لي علياً .

قال : أوَ تعفيني يا أمير المؤمنين ؟

قال : لا أعفيك .

قال : أما إذ لابد ، فإنه كان والله بعيدَ المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، ويعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما جشب .

كان والله كأحدنا ، يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا سألناه ، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ، فإذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يتمايل في محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه الآن وهو يقول :

يا ربنا ، يا ربنا ، يتضرع إليه ، ثم يقول للدنيا :

أبي تغررت أم إلي تشوفت ؟ هيهات هيهات ، غري غيري ، قد بتتك ثلاثاً ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد ، وبُعْدِ السفر ، ووحشة الطريق .

فوكفت دموع معاوية على لحيته ، ما يملكها ، وجعل يُنشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء .

فقال : كذا كان أبو الحسن رحمه الله ، كيف وَجْدُكَ عليه يا ضرار ؟

قال : وَجْدَ مَنْ ذُبِحَ واحدُها في حجرها ، لا يرقأ دمعها ، ولا يسكن حزنها .

ثم قام فخرج » .

٤٨٨ـ أما رطب البصرة فلم أذقه :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٣٨٨) في ترجمة الإمام الفقيه القدوة الرباني سفيان الثوري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال عبد الرحمن بن مهدي :

لما قدم سفيان البصرة والسلطان يطلبه ، صار في بعض البساتين وأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها ، فمر به بعض العشارين فقال : من أين أنت يا شيخ ؟

قال : من أهل الكوفة .

قال : أخبرني رطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟

قال : **أما رطب البصرة فلم أذقه** ، ولكن رطب السابري بالكوفة حلو .

فقال : ما أكذبك من شيخ ، الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه!

فرجع إلى العامل ليخبره بما قال لتعجبه .

فقال : ثكلتك أمك! ، أدركه إن كنت صادقاً فإنه سفيان الثوري لتتقرب به إلى أمير المؤمنين .

فرجع في طلبه فما قدر عليه » .

٤٨٩ـ العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود أبداً :

جاء في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٣/ ١٥٣) ما نصه :

« أن رجلاً دخل على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فذكر له عن رجل شيئاً .

فقال له أمير المؤمنين عمر :

إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذباً ، فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات : ٦] وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم : ١١] ، وإن شئت عفونا عنك .

فقال : **العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبداً** » .

٤٩٠ـ إذا رأيته علمت أنه يخشى الله :

جاء في المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٦٦١) وتهذيب الكمال للمزي (١٣/ ١٨٨) في ترجمة الإمام الفقيه العابد الزاهد صفوان بن سُلَيم أبو عبد الله القرشي الزهري رحمه الله تعالى :

« قال الحميدي ، عن سُفيان بن عُيينة :

حج صفوان بن سُلَيم ، فذهبتُ بمنى فسألتُ عنه ، فقيل لي : إذا دخلت مسجد الخيف ، فإيت المنارة ، فانظر أمامها قليلاً شيخاً ، **إذا رأيته علمت أنه يخشى الله** ، فهو صفوان بن سُلَيم .

فما سألت عنه أحداً حتى جئت كما قالوا : فإذا أنا بشيخ كما رأيته علمت أنه يخشى الله ، فجلست إليه ، فقلت : أنت صفوان بن سُلَيم ؟ قال : نعم » .

٤٩١ـ بغير إذن صاحبه كيف يكون :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠٩/٥) في ترجمة الحافظ الكبير الورع الزاهد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري زكي الدين أبو محمد المصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن الحافظ الدمياطي أن الشيخ مرة خرج من الحمام ، وقد أخذت منه حرها فما أمكنه المشي ، فاستلقى على الطريق إلى جانب حانوت .

فقال الدمياطي : يا سيدي أنا أقعدك على مسطبة الحانوت ، وكان الحانوت مغلقاً .

فقال وهو في تلك الشدة : **بغير إذن صاحبه كيف يكون** ، وما رضي!! » .

٤٩٢ـ ما فيك عيب إلا أن شغلتني عن علمي :

جاء في نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص ٢٠٠) في ترجمة إمام أهل اللغة والنحو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري رحمه الله ما نصه :

« يحكى أنه مر في سوق النحاسين ورأى جارية تعرض حسنة الصورة ، كاملة الوصف ، قال : فوقعت في قلبه . ثم مضيت إلى دار أمير المؤمنين الراضي بالله تعالى .

فقال : أين كنت إلى الساعة ؟ فعرفته .

فأمر فاشتُريت وحملت إلى منزلي ، ولم أعلم ، فجئت فوجدتها ، فعلمت كيف جرى الأمر .

فقلت لها : كوني فوق إلى أن أستبرئك ، وكنت أطلب مسألة قد اختلت عليَّ فاشتغل قلبي .

فقلت للخادم : خذها وامض بها إلى النخاس ، فليس يبلغ قدرها أن يشتغل قلبي عن علمي .

فأخذها الغلام فقالت : دعني حتى أكلمه بحرفين .

فقالت : أنت رجل لك محل وعقل ، فإذا أخرجتني ولم تبين ذنبي ، لم آمن أن يظنَّ الناس فيَّ ظناً قبيحاً ، فعرفنيه قبل أن تخرجني .

فقلت : ما لك عندي عيب ، غير أنك شغلتني عن علمي .

فقالت : هذا سهل عندي .

قال : فبلغ الراضي أمره ، فقال : لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في قلب هذا الرجل » .

٤٩٣ـ حب للعلم لا نظير له :

جاء في كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية (ص ٧٠) وهو يحكي عن نفسه في حبه للعلم :

« وأعرف من أصابه مرض من صداع ، وحمَّى ، وكان الكتاب عند رأسه فإذا وجد إفاقة قرأ فيه ، وإذا غُلب وضعه ، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك .

فقال : إن هذا لا يحل لك ، فإنك تعين على نفسك ، وتكون سبباً في فوات مطلوبك » .

٤٩٤ـ نعم إجلالاً للعلم :

جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/ ٣٣٥) في ترجمة الخليفة المجاهد الحازم الجواد هارون الرشيد رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال عليٌّ ابن المديني : سمعت أبا معاوية الضرير يقول :

أكلت مع الرشيد طعاماً يوماً من الأيام ، فصب على يدي رجل لا أعرفه .

فقال هارون : يا أبا معاوية تدري من يصب على يديك ؟

قلت : لا . قال : أنا .

قلت : أنت يا أمير المؤمنين .

قال : نعم إجلالاً للعلم » .

٤٩٥ـ الله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين :

جاء في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٣/ ١٥٣ـ١٥٤) ما نصه :

« دخل رجل على عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة فقال له :

إن الإسواري مايزال يذكرك في قصصه بشر .

فقال له عمرو : يا هذا ما رعيتَ حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره ، ولكن أعلمه : أن الموت يعمنا ، والقبر يضمنا ، والقيامة تجمعنا ، والله تعالى يحكم بيننا ، وهو خير الحاكمين » .

٤٩٦ـ إن كنت تريد أن تداويني ، فقد والله برئت :

جاء في سنن الدارمي في المقدمة باب من هاب الفتيا (١/ ٥٩ـ٦٠) ما نصه :

« عن نافع مولى عبد الله :

أن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين ، حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه ، فقال : أين الرجل ؟

فقال : في الرحل .

قال عمر : أبصر أن يكون ذهب ، فتصيبك مني العقوبة الموجعة ، فأتاه به .

فقال عمر : تسأل محدثة ؟

فأرسل إلى رطائب من جريد ، فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ، ثم تركه حتى برأ ، ثم عاد له ، ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود له . قال : فقال صبيغ : إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً ، وإن كنت تريد أن تداويني ، فقد والله برئت ، فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته » .

٤٩٧ـ اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا :

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣٠٠ـ٣٠١) وكتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا (ص ٨١ـ٨٢) ما نصه :

« عن أبي هريرة رضي الله عنه :

أن عمر فرض للمهاجرين خمسة آلاف ، خمسة آلاف ، وللأنصار أربعة آلاف ، أربعة آلاف ، وفرض لأزواج النَّبي ﷺ اثني عشر ألفاً .

قال محمد بن عمرو : فحدثني يزيد بن خصيفة ، عن عبد الله بن رافع ، عن بَرْزَةَ بنت رافع قالت :

فلما جاء العطاء ، بعث عمر إلى زينب بنت جحش الذي لها .

فلما دخل عليها قالت : غفر الله لعمر ، لغيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني .

قالوا : هذا كله لك .

قالت : سبحان الله ، واستترت دونه بثوب ، فقالت : صبوه واطرحوا عليه ثوباً .

فصبوه وطرحوا عليه ثوباً .

فقالت : أدخلي يديك فاقبضي منه قبضة ، فاذهبي بها إلى آل فلان من أيتامها وذوي رحمها ، فقسمته ، حتى بقيت منه بقيةٌ .

قالت لها برزة : غفر الله لك ، لقد كان لنا في هذا حظ .

قالت : فلكم ما تحت الثوب .

قالت : فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً ، ثم رفعت يديها فقالت : اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا .

قال : فماتت » .

٤٩٨ـ الدنيا أتتني! الفتنة دخلت عليَّ!

جاء في أسد الغابة في تمييز الصحابة لابن الأثير (٢/ ٣١١ـ٣١٢) وصفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٦٦٣ـ٦٦٥) في ترجمة أحد سادة الصحابة وزهادهم وفضلائهم سعيد بن عامر بن حذيم رحمه الله تعالى ورضي عنه ما نصه :

« حدثنا مالك بن دينار قال :

لما أتى عمر الشام ، طاف بكُوَرِها ، قال : فنزل بحضرة حمص ، فأمر أن يكتبوا له فقراءهم .

قال : فرُفع إليه الكتاب ، فإذا فيه سعيد بن عامر بن حذيم أميرها!

قال : من سعيد بن عامر ؟ قالوا : أميرنا!

قال : أميركم ؟ قالوا : نعم .

فعجب عمر فقال : كيف يكون أميركم فقيراً ؟ أين عطاؤه ؟ وأين رزقه ؟

قالوا : يا أمير المؤمنين ، لا يمسك شيئاً .

قال : فبكى عمر ، ثم عمد إلى ألف دينار ، فصرها ، ثم بعث بها إليه ، وقال : أقرئه السلام ، وقل : بعث بها إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك .

قال : فجاء بها إليه الرسول ، فنظر ، فإذا هي دنانير ، فجعل يسترجع!

قال : تقول له امرأته : ما شأنك يا أبا فلان ؟ أمات أمير المؤمنين ؟

قال : بل أعظم من ذلك!

قال : فظهرت آية ؟.قال : بل أعظم من ذلك!

قالت : فأمرٌ من أمر الساعة ؟ قال : بل أعظم من ذلك!

قالت : فما شأنك ؟

قال : الدنيا أتتني! الفتنة دخلت عليَّ!

قالت : فاصنع فيها ما شئت . قال : عندك عون ؟

قالت : نعم .

فأخذ دريعة له ، فصر الدنانير فيها صرراً ، ثم جعلها في مخلاة ، ثم اعترض بها جيشاً من جيوش المسلمين ، فأمضاها كلها .

فقالت له امرأته : رحمك الله ، لو كنت حبست منها شيئاً نستعين به .

قال : فقال لها : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لو اطلعت امرأة من أهل الجنة إلى الأرض لملأت الأرض ريح مسكٍ » .

وإني والله ما كنت لأختارك عليهن . فسكتت » .

● كُورة : البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال . ● الحَضرة : المدينة .
● صرها : وضعها في صرة . ● دريعة : تصغير قميص .

٤٩٩ـ لأعرضنك اليوم على الله ، أخذك أو تركك :

جاء في كتاب الجهاد لابن المبارك (ص ١٣٨ـ١٣٩) ما نصه :

« حدثنا عبد الله بن قيس أبو ذر الغفاري قال :

كنا في غزاة لنا ، فحضر عدوهم ، فصيح في الناس فهم يثوبون إلى مصافهم في يوم شديد الريح ، إذا رجل أمامي ، رأس فرسي عند عَجُزِ فرسه ، وهو يخاطب نفسه :

أي نفس! ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي : أهلك ومالك وعيالك ، فاطعتك ورجعت ؟

ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي : أهلك ومالك وعيالك ، فأطعتك فرجعت ؟

والله لأعرِضَنَّكِ اليوم على الله ، أخذكِ أو تركِكِ!

فقالتْ : لأرمقنَّه اليوم ، فرمقته ، فحمل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم ، ثم إن العدو حمل على الناس ، فانكشفوا ، فكان في حماتهم ، ثم إن الناس حملوا ، فكان في أوائلهم .

ثم حمل العدو ، فانكشف الناس ، فكان في حماتهم .

قال : فوالله مازال ذلك دأبه حتى رأيته صريعاً ، فعددت به وبدابته أكثر من ستين طعنة » .

٥٠٠ـ ما بنا إلى أحد مع الله حاجة :

جاء في حلية الأولياء (٥/ ١٠٩) في ترجمة عمر بن ذر الهمذاني أبو ذر الكوفي المحدث الفقيه الزاهد رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عمرو بن جرير الهجري قال :

لما مات ذرٌ بن عمر بن ذر قال أصحابه :

الآن يضيع الشيخ . لأنه كان باراً بوالديه .

فسمعها الشيخ ، فبقي متعجباً ، فقال :

أنا أضيع والله حي لا يموت ؟! فسكت حتى واروه ، فلما واراه التراب ، وقف على قبره ليسمعهم ، فقال :

رحمك الله يا ذر ، ما علينا بعدك من خصاصة ، وما بنا إلى أحد مع الله حاجة ، وما يسرني أن أكون المقدم قبلك ، ولولا هول المطلع لتمنيت أن أكون مكانك ، لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ، فياليت شعري ماذا قيل لك ؟ وماذا قلت ؟

ثم رفع رأسه ثم قال : اللهم قد وهبتُ حقي فيما بيني وبينه له ، اللهم فهب حقك فيما بينك وبينه له .

قال : فبقي القوم متعجبين مما جاء منهم ، ومما جاء منه من الرضا والتسليم » .

٥٠١ـ اكتم ما رأيت :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ٤١٢) في ترجمة الإمام القدوة الرباني شيخ الأئمة الفقهاء النعمان بن ثابت أبو حنيفة الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن يزيد بن الكميت :

كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الآخرة سورة ﴿إذا زلزلت﴾ ، وأبو حنيفة خلفه ، فلما قضى الصلاة ، وخرج الناس ، نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس .

فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه بي .

فلما خرجت تركت القنديل ، ولم يكن فيه إلا زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر ، وهو قائم ، وقد أخذ بلحية نفسه ، وهو يقول :

يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيراً ، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً ، أجر النعمان عبدك من النار ، ومما يقرب منها من السوء ، وأدخله في سعة رحمتك .

قال : فأذَّنتُ ، وإذا بالقنديل يزهر ، وهو قائم ، فلما دخلت قال لي : تريد أن تأخذ القنديل ؟

قلت : قد أذنت لصلاة الغداة .

فقال : اكتم ما رأيت ، وركع ركعتين ، وجلس حتى أقمت الصلاة ، وصلى معنا » .

٥٠٢ـ من أخطَأتْهُ الرحمة صار إلى عَذابِ الله :

جاء في تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٦/ ١٢٥) في ترجمة الإمام القدوة الرباني الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن مالك بن دينار ، قال :

دخلتُ على الحسن السوق ، فمر بالعطارين ، فوجد تلك الرائحة فبكى ، ثم بكى ، ثم بكى ، حتى خِفْتُ أن يُغشى عليه ، ثم قال لي : يا مالك ، والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعاً ، الجنة أو النار ، ليس هناك منزل ثالث ، **من أخطأته ـ والله ـ الرحمة صار إلى عذاب الله** .

قال : ثم جعل يبكي فلم يَلْبَث بعد ذلك يسيراً حتى مات » .

٥٠٣ـ ظالمهم مقهور ، ومظلومهم منصور :

جاء في كتاب الأمالي لأبي علي القالي (٢/ ٣٧) ما نصه :

« عن الأصمعي قال :

بلغني أن وافداً وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال له : كيف تركت الناس ؟

قال : تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم محبوراً ، **وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً** .

فقال : الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي لكان يسيراً » .

٥٠٤ـ التسابق إلى الموت :

جاء في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٥) وتهذيب الكمال (٨/ ١٧١) في ترجمة الإمام الفقيه الرباني خالد بن معدان الكلاعي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن ثور بن يزيد :

عن خالد بن معدان قال :

لو كان الموت علماً يُستبق إليه ما سبقني إليه أحد ، إلا أن يسبقني رجلٌ بفضل قوته .

قال : فمازال الثوري يحب خالد بن معدان منذ بلغه هذا الحديث عنه » .

٥٠٥ـ أشرف الميتتين :

جاء في كتاب النوادر السلطانية للقاضي ابن شداد (ص ١٨) ما يدل على حب السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى للجهاد ، واندفاعه الكامل لإعلاء كلمة الله ما قاله للقاضي ابن شداد مرة وهو يركب البحر ما نصه :

« أما أحكي لك شيئاً من نفسي أنه متى ما يسر الله تعالى فتح بقية الساحل ، قسمتُ البلاد وأوصيت وودعت ، وركبت هذا البحر إلى جزائره ، واتبعتهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت . . .

ثم قلت ـ أي ابن شداد ـ ما هذه إلا نية جميلة ولكن المولى يُسَيِّرُ في البحر العساكر وهو سور الإسلام ومنعته فلا ينبغي له أن يخاطر بنفسه .

فقال : أنا أستفتيك ؛ ما أشرف الميتتين ؟

فقلت : الموت في سبيل الله .

فقال : غاية ما في الباب أن أموت أشرف الميتتين .

فانظر إلى هذه الطوية ما أطهرها ، وإلى هذه النفس ما أشجعها وأجرأها ، رحمة الله عليه ، اللهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك ، وجاهد رجاء رحمتك فارحمه » .

٥٠٦ـ إني جئت هاهنا امتثالاً لأمر الشرع :

جاء في كتاب نور الدين محمود الرجل والتجربة لعماد الدين خليل (ص ٧٨ـ٧٩) كما جاء في كتاب الروضتين لأبي شامة (١/١/٣٦ـ٣٧) في ترجمة الملك العادل المجاهد نور الدين زنكي رحمه الله تعالى ما نصه :

« طُلب مرة من قبل أحد المدعين فما كان من أحد كبار موظفيه إلا أن دخل عليه ضاحكاً وقال مستهزئاً :

يقوم المولى إلى مجلس الحكم!!

فأنكر نور الدين على الرجل سخريته وقال :

تستهزىء بطلبي إلى مجلس الحكم ؟ وأردف : يُحضر فرسي حتى نركب إليه ، السمع والطاعة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ ﴾ [النور : ٥١] .

ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينة واستدعى أحد أصحابه وقال له : امض إلى القاضي وسلم عليه وقل له :

إني جئت هاهنا امتثالاً لأمر الشرع » .

٥٠٧ـ لا يكون النمام صادقاً :

جاء في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله تعالى (٣/١٥٦) ما نصه :

« روي أن سليمان بن عبد الملك كان جالساً وعنده الزهري ، فجاءه رجل فقال له سليمان :

بلغني أنك وقعت فِيَّ وقلت كذا وكذا ؟

فقال الرجل : ما فعلت ولا قلت .

فقال سليمان : إن الذي أخبرني صادق .

فقال له الزهري : لا يكون النمام صادقاً .

فقال سليمان : صدقت .

ثم قال للرجل : اذهب بسلام » .

٥٠٨ـ لابد من الموت فاتق الله ولا تجب :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٢٣٩) في ترجمة إمام أهل السنة شيخ الإسلام الإمام الرباني أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى ما نصه :

«عن عباس الدوري : سمعت أبا جعفر الأنباري يقول :

لما حُمل أحمد إلى المأمون ، أُخبرت ، فعبرتُ الفرات ، فإذا هو جالس في الخان ، فسلمتُ عليه .

فقال : يا أبا جعفر ، تَعَنَّيْتَ .

فقلت : يا هذا أنت اليوم رأس ، والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ، ليُجيبَنَّ خلق ، وإن أنت لم تُجب ليَمتنِعَنَّ خلقٌ من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتُلْكَ فإنك تموت ، **لابدَّ من الموت ، فاتق الله ولا تجب** .

فجعل أحمد يبكي ، ويقول : ما شاء الله .

ثم قال : يا أبا جعفر ، أعد عليَّ .

فأعدتُ عليه ، وهو يقول : ما شاء الله » .

٥٠٩ـ غشك من دلك على هذا :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٦٠٤) في ترجمة الإمام الفقيه الرباني فقيه إفريقية أبو سعيد سُحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي رحمه الله تعالى ما نصه :

« لما ثار القُويع على محمد بن الأغلب ، قال بعض القواد : اليوم نستمكن من سُحنون ، إما أن يخسر دينه ، أو دنياه .

فقالوا للأمير : سُحنون داعية مطاع ، فأمره بنصرك على هذا الخارجي .

فبعث فيه الأمير ، وأعلمه بالأمر واستشاره في قتاله ، وأن يُعلم الناس بعرض ذلك عليهم .

فقال له سُحنون : غشك من دلك على هذا ، متى كانت القضاة تشاورها الملوك في إصلاح سلطانها .

ونهض من عنده » .

٥١٠ـ وهل مثلي يجترىء أن يسألك الجنة :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٢٤٠) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٢١٧ـ٢١٨) في ترجمة الإمام الرباني الزاهد المجاهد صلة بن أشيم العدوي الصحابي الجليل رضي الله عنه ما نصه :

« عن جعفر بن زيد قال :

خرجنا في غزوة إلى كابل ، وفي الجيش صلة بن أشيم ، فنزل الناس عند العتمة فقلت :

لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته ، فصلى العتمة ، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس ، حتى إذا قلت هدأت العيون ، وثب فدخل غَيْضَة قريباً منا ، ودخلتُ على إثره ، فتوضأ ، ثم قام يصلي .

قال : وجاء أسد حتى دنا منه .

قال : فصعدتُ في شجرة ، قال : فتراه التفت أو عده جرذاً ، حتى سجد فقلت : الآن يفترسه ، فجلس ، ثم سلم ، ثم قال :

أيها السبع اطلب الرزق في مكان آخر .

فولى ، وإن له لزئيراً أقولُ تصدع الجبال منه ، فمازال كذلك يصلي ، حتى لمّا كان الصبح جلس ، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ، ثم قال :

اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، ومثلي يجترىء أن يسألك الجنة ؟

قال : ثم رجع ، فأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم » .

٥١١ـ خفت على نفسي خوفاً دمعت له عيني :

جاء في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص ٤٦) ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ٢٤٨ـ٢٤٩) في ترجمة الخليفة الراشد والإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن محمد بن المنكدر عن عطاء قال :

دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، فقلت لها : يا بنت عبد الملك أخبريني عن أمير المؤمنين .

قالت : أفعلُ ، ولو كان حياً ما فعلت .

إن عمر رحمه الله كان قد فرَّغ نفسه وبدنه للناس ، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى وعليه بقية من حوائج يومه وصله بليلته ، إلى أن أمسى مساءً وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذي كان يُسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم أقعى واضعاً رأسه على يده تتَسايَلُ دموعه على خده يشهق الشهقة فأقول : قد خرجت نفسه وانصدعت كبده! فلم يزل كذلك ليلته حتى برق له الصبح ، ثم أصبح صائماً .

قالت : فدنوتُ منه فقلت : يا أمير المؤمنين لشيء ما كان قبل الليلة ما كان منك ؟

قال : أجل ، فدعيني وشأني وعليكِ وشأنك .

قالت : قلت له : إني أرجو أن أتعظ .

قال : إذن أخبرك ، إني نظرت إليَّ ، فوجدتني قد وليتُ أمر هذه الأمة ، صغيرها وكبيرها ، وأسودها وأحمرها ، ثم ذكرتُ الغريب

الضائع ، والفقير المحتاج ، والأسير المفقود ، وأشباههم في أقاصي البلاد وأطراف الأرض ، فعلمت أن الله تعالى سائلي عنهم ، وأن محمداً ﷺ حجيجي فيهم ، فخفت على نفسي خوفاً دمعت له عيني ، ووجل له قلبي ، فأنا كلما ازددت لهذا ذكراً ، ازددت منه وجلاً ، وقد أخبرتك ، فاتعظي الآن أو دعي » .

٥١٢ـ يا أبت إنما أعمل في فكاك رقبتي :

جاء في حلية الأولياء (٤/١٥٦) وصفة الصفوة (٣/٦٨ـ٦٩) ما نصه :

« عن عبد الله بن ربيعة قال :

قال عتبة بن فرقد لعبد الله : يا عبد الله ألا تعينني على ابن أخيك يعينني على ما أنا فيه من عمل .

فقال له عبد الله : يا عمرو ـ يعني ابن عتبة بن فرقد ـ أطع أباك .

قال : فنظر إلى معضد ـ يعني ابن يزيد الصحابي ـ وهو جالس معه ، فقال له معضد : لا تطعهم واسجد واقترب .

فقال عمرو : يا أبت إنما أنا عبد أعمل في فكاك رقبتي ، فدعني أعمل في فكاك رقبتي .

قال : فبكى عتبة وقال : يا بني إني لأحبك حبين : حباً لله عز وجل ، وحب الوالد لولده .

قال عمرو : يا أبت إنك قد كنت آتيتني مالاً قد بلغ سبعين ألفاً فإن كنت سائلي عنه فهوذا فخذه ، وإلا فدعني فأمضيه .

قال له عتبة : فأمضه .

قال : فأمضاها ، فما بقي منها درهم » .

٥١٣ـ ما ظننت أنه لا يبالي ما تكلم به :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب (٩/ ٢٩٢) ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٤٦٧) في ترجمة القاضي الفقيه أبو عبد الله شريك بن عبد الله النخعي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال عبد الله العجلي :

قدم هارون الكوفة فعزل شريكاً عن القضاء ، وكان موسى بن عيسى والياً على الكوفة .

فقال موسى لشريك : ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك ، عزلك من القضاء .

قال له شريك : هم أمراء المؤمنين يعزلون الولاة ويخلعون ولاة العهود فلا يعاب ذلك عليهم .

فقال موسى : ما ظننت أنه مجنون هكذا لا يبالي ما تكلم به .

وكان أبوه عيسى بن موسى ولي العهد بعد أبي جعفر فخلعه أبو جعفر » .

٥١٤ـ لا ينصر الله قوماً إلا بصدق نياتهم :

جاء في كنز العمال (٥/ ٧٠٥ـ٧٠٦) وعزاه لابن عبد الحكم في فتوح مصر ما نصه :

« عن زيد بن أسلم قال :

لما أبطأ فتح مصر على عمرو بن العاص ، كتب إلى عمر يستمده ، فأمده بأربعة آلاف على كل ألف رجل منهم رجل ، وكتب إليه :

إني أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل رجل منهم مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، واعلم أن معك اثني عشر ألفاً ، ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة .

ولما وصل هذا المدد ، وتأخر الفتح على عمر ، كتب إلى عمرو :

أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم ، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، **وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم** ، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما أعرف ، إلا أن يكون غيَّرهم ما غيَّر غيرهم ، فإذا أتاك كتابي ، فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ، ورغبهم في الصبر ، والنية ، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ، ومُر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة فيها ، ووقت الإجابة ، وليعج الناس إلى الله ، ويسألوه النصر على عدوهم . . . » .

٥١٥ـ قد رضينا كلنا بك :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٢١) في ترجمة الخليفة الزاهد الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« لما وُلي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله .

فقال له عمر : ما لي ولك ؟ تنح عني ، إنما أنا رجل من المسلمين .

ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال :

أيها الناس! إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون .

فصاح المسلمون صيحة واحدة : **قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك . . .** » .

٥١٦ـ إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس :

جاء في موطأ مالك في كتاب الحج (ص ٢٢٣) رقم (٧١٦) وأحمد في المسند (٢٠١/١١) الفتح الرباني ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٠/٥) ما نصه :

« عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال :

وأن عمر رأى على طلحة بن عبيد الله ثوباً مصبوغاً وهو محرم .

فقال عمر : ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إنما هو مدر .

فقال عمر : **إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس** ، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال : إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام ، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة » .

● المدر : المغرة وهي الطين الأحمر لا شيء فيه .

٥١٧ـ لا آخذ منه شيئاً ولو دفع إلي الدنيا :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب (١٥/٥) في ترجمة الحافظ العلامة أحد أعلام الحديث ، ونادرة الزمان ابن عقدة أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني أبو العباس الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« أخبرنا محمد بن جعفر النجار قال : حكى لنا أبو علي النقاد قال :

سقطت من عقدة دنانير على باب دار أبي ذر الخزاز ، فجاء بنخالٍ ليطلبها .

قال عقدة : فوجدتها ثم فكرت فقلت :

ليس في الدنيا غير دنانيرك ؟!

فقلت للنخال : هي في ذمتك ومضيت وتركته .

وكان يؤدب ابن هشام الخزاز ، فلما حذق الصبي وتعلم ، وجه إليه ابن هشام دنانير صالحة فردها .

فظن ابن هشام أن عقدة استقلها فأضعفها له .

فقال عقدة : ما رددتها استقلالاً ولكن سألني الصبي أن أعلمه القرآن فاختلط تعليم النحو بتعليم القرآن ، فلا أستحل أن آخذ منه شيئاً ، ولو دفع إلي الدنيا » .

٥١٨ـ ما رزق امرؤ مثل عافية :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/ ٥٠٧) في ترجمة زاهد الأندلس أبو وهب رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أبو جعفر بن عون الله : سمعته يقول :

لا عانق الأبكار في جنات النعيم والناس غداً في الحساب إلا من عانق الذُّل ، وضاجع الصبر ، وخرج منها كما دخل فيها ، **ما رزق امرؤ مثل عافية** ، ولا تصدق بمثل موعظة ، ولا سأل مثل مغفرة » .

● الذل : أي أن يذل العبد لله فيطيعه ويشعر بضعفه البشري أمام قوة العزيز الجبار .

٥١٩ـ ادفعوا هذا الأمر لمن أحببتم :

جاء في كنز العمال لعلاء الدين المتقي الهندي (٥/ ٦١٥) وعزاه لأبي نعيم في فضائل الصحابة ما نصه :

« من حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه أنه خطب المسلمين بعد قبوله الخلافة فقال :

يا أيها الناس : إن كنتم ظننتم أني أخذت خلافتكم رغبة فيها ، أو إرادة استئثار عليكم ، وعلى المسلمين ، فلا والذي نفسي بيده ، ما أخذتها رغبة فيها ، ولا استئثاراً عليكم ، ولا على أحد من المسلمين ، ولا حرصت

عليها يوماً ولا ليلة قط ، ولا سألت الله سراً ، ولا علانية ، ولقد تقلدت أمراً عظيماً لا طاقة لي به إلاَّ أن يعين الله ، ولوددت أنها إلى أيّ أصحاب رسول الله ﷺ على أن يعدل فيها ، فهي إليكم رد ، ولا بيعة لكم عندي ، فادفعوا لمن أحببتم ، فإنما أنا رجل منكم » .

٥٢٠ـ العلم نور يضعه الله في القلوب :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٦٢٠) في ترجمة الإمام الفقيه الرباني فقيه إفريقية سحنون بن سعيد التنوخي رحمه الله تعالى ما نصه :

« كان سحنون يقول :

من لم يعمل بعلمه ، لم ينفعه علمه ، بل يضره ، وإنما العلم نور يضعه الله تعالى في القلوب ، فإذا عمل به نوَّر الله قلبه ، وإن لم يعمل به ، وأحب الدنيا ، أعمى حب الدنيا عليه ، ولم ينوره العلم » .

٥٢١ـ ما أدري ما أتحفكم به :

جاء في الزهد لهناد بن السري رقم (٦٤٤) وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ١٣٦) والطبراني في مكارم الأخلاق رقم (١٨٢) ما نصه :

« ثنا الفضل بن دكين قال : ثنا أبو خلدة قال :

دخلنا على محمد بن سيرين أنا وعبد الله بن عون فرحب بنا وقال : ما أدري ما أُتحفكم ، كلُّ رجل منكم في بيته خبز ولحم ، ولكن سأُطْعِمُكُم شيئاً لا أراه في بيوتكم ، فجاء بشُهْدَةٍ فكان يقطع بالسكين ويُلقمنا » .

٥٢٢ـ إن عدل فذلك عهدي به :

جاء في الكامل للمبرد (ص ٩ـ١٠) في وصية أبي بكر رضي الله عنه عند موته ما نصه :

« مما روي لنا عنه رضي الله عنه حيث عهد عند موته وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، ويتقي فيها الفاجر ، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، **فإن بر وعدل فذلك علمي به ، ورأيي فيه** ، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرىء ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

٥٢٣ـ أحسن الحمل فقد أحسنت إليك الأداء :

جاء في وفيات الأعيان (٢/ ٤٩٤) في ترجمة الإمام الورع الزاهد صالح بن بشير القارىء أبو بشير المري رحمه الله تعالى ما نصه :

« كان عبداً صالحاً ، وكان المهدي قد بعث إليه فأقدمه عليه ، قال صالح المري :

دخلت على المهدي بالرصافة ، فلما مثلت بين يديه قلت : يا أمير المؤمنين ، أحمل لله ما أكلمك به اليوم ، فإن أولى الناس بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه ، وجدير بمن له قرابة برسول الله ﷺ أن يرث أخلاقه ، ويأتم بهديه ، وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثاً قطع به عذرك ، فمهما ادعيت من حجة أو ركبت من شبهة لم يصح لك فيهما برهان من الله ، حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل ، واعلم أن رسول الله ﷺ خصم من خالف في أمته يبتزها أحكامها ، ومن كان محمد ﷺ خصمه ، كان الله خصمه ، فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسول الله ﷺ حججاً تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة ، واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى ، وإن أثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ، ولكن تمثل إليه الإساءة إحساناً ، ويشهد عليها خونة العلماء ، وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظراؤك ، **فأحسن الحمل فقد أحسنت إليك الأداء** .

قال : فبكى المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله » .

٥٢٤ـ قبل الرسالة ووضعها على رأسه :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١/ ٢٣٣ـ٢٣٤) في ترجمة أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين وهداة المؤمنين الجامع بين الفقه والحديث والورع والتقوى إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو يعقوب المروزي ابن راهويه رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابن عدي :

ركب إسحاق بن راهويه دين ، فخرج من مرو وجاء نيسابور فكلم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى في أمر إسحاق .

فقال : ما تريدون ؟

قالوا : تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة .

وكان عبد الله أمير خراسان وكان بنيسابور .

فقال يحيى : ما كتبت إليه قط .

فألحوا عليه ، فكتب في رقعة : « إلى عبد الله بن طاهر أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح » .

فحمل إسحاق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر ، فلما جاء إلى الباب قال للحاجب : معي رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير .

فدخل الحاجب فقال له :

رجل بالباب زعم أن معه رقعة من يحيى بن يحيى إلى الأمير .

فقال : يحيى بن يحيى . قال : نعم .

قال : فأدخله .

فدخل إسحاق ، وناوله الرقعة ، فأخذها عبد الله وقبلها ، وأقعد إسحاق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، وصيره من ندمائه » .

٥٢٥ـ تحدر الدم من الموضع الذي وضع يده عليه :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ١٥٥) وصفة الصفوة (٣/ ٧٠ـ٧١) في ترجمة عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي أحد المذكورين بالزهد والعبادة رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن علقمة قال :

خرجنا ومعنا مسروق وعمرو بن عتبة ومعضد غازين . فلما بلغنا سبذان ـ وأميرها عتبة بن فرقد ـ فقال لنا ابنه عمرو بن عتبة :

إنكم إن نزلتم عليه صنع لكم نزلاً ، ولعله أن يظلم فيه أحداً ، إن شئتم قِلنا في ظلٍّ هذه الشجرة ، وأكلنا من كِسَرنا ، ثم رحنا .

ففعلنا ، فلما قدمنا الأرض قطع عمرو بن عتبة جبة بيضاء فلبسها ، فقال : والله إن تحدر الدمُ على هذه لحسن!

فرُمي ، فرأيت الدم يتحدر على المكان الذي وضع يده عليه ، فمات! » .

● سبذان : بلد من بلاد الفرس في منطقة نهاوند . ● النُزل : هو ما هيىء للضيف يأكل فيه وينام . ● كِسَرنا : جمع كسرة : القطعة المكسورة من الخبز .

٥٢٦ـ لننوهنَّ باسمك في الدنيا والآخرة :

جاء في تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٤/ ١٠٣) في ترجمة الإمام الورع الزاهد الرباني بشر بن الحارث المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الحسن بن رشيق المصري : عن أبي حفص عمر بن عبد الله الواعظ : كان بشر بن الحارث شاطراً ، يجرح بالحديد ، وكان سبب توبته أنه وجد قرطاساً في أتُّون حمام فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فعظم ذلك عليه ، ورفع طرفه إلى السماء وقال :

سيدي ، اسمُك هاهنا ملقى فرفعه من الأرض ، وقلع عنه السحاة التي هو فيها ، وأتى عطاراً ، فاشترى بدرهم غالية ، لم يكن معه سواه ، ولطخ تلك السحاة بالغالية ، فأدخلها شقَّ حائط ، وانصرف إلى زجَّاج كان يجالسه .

فقال له الزجَّاج : والله يا أخي لقد رأيتُ لك في هذه الليلة رؤيا ، ما رأيتُ أحسن منها ، ولست أقولُ لك ، حتى تحدثني ما فعلت في هذه الأيام ، فيما بينك وبين الله تعالى .

فقال : ما فعلتُ شيئاً أعلمه ، غير أني اجتزت اليوم بأتُون حمام . فذكره .

فقال الزجاج : رأيت كأنَّ قائلاً يقول في المنام : قل لبشر : ترفعُ اسماً لنا من الأرض إجلالاً أن يُداسَ ، لَنُنَوِّهَنَّ باسمك في الدنيا والآخرة » .

٥٢٧ـ ليس في العقل الرجوع إلى المكروه :

جاء في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٧) في ترجمة زاهد الأندلس أبو وهب رحمه الله تعالى ما نصه :

(عن ابن حفصون ، قال :

قلت لأبي وهب : تعلم أني كبير الدار ، فاسكن معي ، وأخدمك وأشاركك في الحلو والمُر .

قال : لا أفعل ، إني طلقت الدنيا بالأمس ، أفأراجعها اليوم ؟

فالمطلِّق إنما يطلِّق المرأة بعد سوء خلقها ، وقلة خيرها ، وليس في العقل الرجوعُ إلى مكروه ، وفي الحديث : « لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين ») .

٥٢٨ـ والله ما السلطان إلا هذا الشيخ :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤/ ٦٢٠) في ترجمة الإمام الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي الإفريقي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال بعض أصحابه : كان أبو الحسن إذا دخل محرابه ، وانتفخت عيناه واحمرت ، لجأ إلى الله تعالى ورأينا ذلك منه انتظرنا إجابة دعائه ، وكانت إلى ثلاثة أيام .

وكان بالمهدية نصراني ابن أخ لخاصة باديس صاحب القيروان ، فافتض هذا النصراني صبية شريفة ، فلما سمع بذلك العامة رجعوا إليه فقتلوه ، وبلغ ذلك باديس فعظم ذلك عليه ، وأرسل قائداً بعسكر إلى المهدية ، وقال لهم :

اقتلوا من هو قد السيف إلى فوق .

فبلغ ذلك أبا الحسن ، فدخل المحراب وأقبل على الدعاء في كشف هذا . فلما وصل القائد إلى قصر مسور قرب المهدية بات فيه ، فقام بالليل وهو سكران يمشي على السطح ، فمشى في الهواء وسقط على رأسه ، وانتثر دماغه ، وجاءت البُرُدُ إلى باديس بذلك ، وأعلم بدعاء الشيخ أبي الحسن فرعب لذلك .

وقال لابن أبي العرب وكبراء رجاله : تمشون للشيخ ، فلما ضربوا عليه بابه وأعلم بهم ، قال :

تمضون للجامع حتى يأتيكم العلماء ـ ولم يدخلهم داره ـ ووجه إلى أصحابه أبي بكر ابن عبد الرحمن ، وأبي عمران الفاسي ، وأبي القاسم ابن الكاتب ، وأبي محمد اللوبي ، وأبي عمرو ابن العتاب ، والخواص ، وابن سفيان ، وأبي عبد الله المالكي ، ومكي الفارسي ، وابن الأجدابي ، والربعي ، وابن سمحان ، وغيرهم .

وأملى عليهم رسالة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله أستعين ، وعليه أتوكل ، الغوث الغوث الغوث بما حل بالمسلمين من الافتئات عليهم ، ثم ينادى بمثل .

وفي فصل منها : كيف يحل لمن يعتقد الإسلام ، أن يقوم في دم كافر

اغتصب صبية من سلالة المصطفى ﷺ ، لو انطبقت السماوات والأرض من أجل هذا الفعل كان قليلاً ـ وهي رسالة طويلة ـ

وقال لأصحابه : إذا وصلتم إلى الجامع فليقرأها واحد منكم على المنبر ممن له صوت .

ففعلوا ذلك ، فجعل القواد يقول بعضهم لبعض :

والله ما السلطان إلا هذا الشيخ » .

٥٢٩ـ دستور الصحبة :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٢٠٦/٩) في ترجمة الخليفة الراشد الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن سلام بن سليم قال :

لما وُلي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر وكان أول خطبة حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا :

يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها .

ويعيننا على الخير جهده .

ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه .

ولا يغتابن عندنا أحداً .

ولا يعرضن فيما لا يعنيه .

فانقشع عنه الشعراء والخطباء وثبت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله » .

٥٣٠ـ لا أرى لك علماً به :

جاء في الضعفاء الكبير للعقيلي (٣/ ٤٥٤ـ٤٥٥) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٥ـ١٢٦) ما نصه :

« عن خرشة بن الحُرّ قال :

شهد رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادة ، فقال : لست أعرفك ولا يضرك أن لا أعرف ، إيتِ بمن يعرفك .

فقال رجل من القوم : أنا أعرفه .

قال : بأي شيء تعرفه ؟ قال : بالعدالة والفضل .

قال : هو جارك الأدنى الذي تعرفه ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ؟

قال : لا .

قال : فعاملك بالدينار والدرهم الذي بهما يستدل على الورع ؟

قال : لا .

قال : فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟

قال : لا .

قال : لست تعرفه .

ثم قال للرجل : إيتِ بمن يعرفك » .

٥٣١ـ أطعمهم وقضى دينهم :

جاء في مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا رقم (٤٣٠) والكرم والجود للبرجلاني رقم (٦١) ما نصه :

« عن عبد الله بن الوسيم الجمال قال :

أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دَيْنٍ على رجل من أصحابنا .

فأمر بالموائد فنصبت ، ثم قال :

لا حتى تصيبوا من طعامنا ، فيجب علينا حقكم وذمامكم .

قال : فأصبنا من طعامه ، فأمر لنا بعشرة آلاف درهم في قضاء دينه ، وخمسة آلاف درهم نفقة لعياله » .

٥٣٢ـ مفهوم العبادة الحقيقية :

جاء في كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤) في مفهوم العبادة ما نصه :

« العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك من العبادة لله .

إن الدين كله داخل في العبادة ، إذ الدين يتضمن معنى الخضوع والذل ، يقال : دنته فدان ، أي أذللته فذل .

ويقال : يدين الله ويدين لله ، أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له ، فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له ، والعبادة أصل معناها الذل أيضاً » .

٥٣٣ـ انتظروه رحمكم الله :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب (٥/٤) في ترجمة الخليفة العباسي المهدي محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي الهاشمي رحمه الله تعالى ما نصه :

« حدثنا رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة ، قال :

كان المهدي يصلي بنا الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها ، فأقيمت الصلاة يوماً ، فقال أعرابي :

يا أمير المؤمنين لست على طُهر ، وقد رغبت إلى الله في الصلاة خلفك ، فمر هؤلاء أن ينتظروني .

فقال : انتظروه رحمكم الله .

ودخل المحراب ووقف إلى أن قيل له قد جاء الرجل ، فكبر ، فتعجب الناس من سماحة أخلاقه » .

٥٣٤ـ بنيت أمري على أربع خصال :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢٧) في ترجمة أوحد عصره بالزهد والتقلل والورع حاتم بن عنوان الأصم رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال رجل لحاتم :

على أي شيء بنيت أمرك ؟

قال : على أربع خصال ؛ على أن لا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقي ، وعلى أن رزقي لا يأكله غيري ، وعلى أن أجلي لا أدري متى هو ، وعلى أن لا أغيب عن الله طرفة عين .

وقال : لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز منه » .

٥٣٥ـ إنك لتكتشف ما كنا عنه غافلين :

جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١/ ٢٩٧) في ترجمة شيخ أهل الحديث في زمانه بنيسابور محمد بن إبراهيم بن سعيد أبو عبد الله البوشنجي رحمه الله تعالى ما نصه :

« جاء رجل إلى أبي حنيفة رضي الله عنه فقال :

حلفت بالطلاق لا أكلم امرأتي قبل أن تكلمني ، فقالت : والعتاق لازم لي لا أكلمك قبل أن تكلمني ، فكيف أصنع ؟

فقال : اذهب فكلمها ولا حنث عليكما .

فذهب إلى سفيان الثوري ، فجاء سفيان إلى أبي حنيفة مغضباً فقال : أتبيح الفروج ؟

قال أبو حنيفة : وما ذاك ؟

فقص عليه القصة ، فقال أبو حنيفة : هو كذا ، إنها لما قالت له إن كلمتك فعلي العتاق ، شافهته بالكلام فانحلت يمينه ، فإذا كلمها بعد لم يقع الطلاق .

فقال سفيان : إنك لتكشف ما كنا عنه غافلين » .

٥٣٦ـ حرم شيبة مالك بن دينار على النار :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٣٦١ـ٣٦٢) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٢٨٢) في ترجمة الزاهد العابد العالم مالك بن دينار رحمه الله تعالى ما نصه :

« حدثنا جعفر قال : سمعت المغيرة بن حبيب أبا صالح ختن مالك بن دينار يقول :

يموت مالك بن دينار ـ وأنا معه في الدار ـ لا أدري ما عمله ؟

قال : فصليت معه العشاء الآخرة ، ثم جئت ، فلبست قطيفةً في أطول ما يكون من الليل .

قال : وجاء مالك ، فقرَّب رغيفه ، فأكل ، ثم قام إلى الصلاة ، فاستفتح ثم أخذ بلحيته ، فجعل يقول : إذا جمعت الأولين والآخرين ، فحرم شيبة مالك بن دينار على النار .

فوالله مازال كذلك حتى غلبتني عيني ، ثم انتبهتُ ، فإذا هو على تلك الحال ، يُقدِّمُ رِجلاً ويؤخر أخرى ، ويقول :

إذا جمعت الأولين والآخرين فحرِّم شيبة مالك بن دينار على النار ، فمازال كذلك حتى طلع الفجر ، فقلت في نفسي :

والله لئن خرج مالك ورآني لا تَبُلُّ لي عنده بالَّةٌ أبداً .

قال : فجئت المنزل وتركته » .

● القطيفة : الدثار أو الفراش ذو الأهداب . ● لا تَبُلُّ لي عنده بالَّةٌ : أي لا يصيبني منه خير .

٥٣٧ـ لو أتتني المغفرة من الله لغلبني الحياء منه :

جاء في كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٥٠) في ترجمة الإمام الجليل الأسود بن يزيد أبو عمرو النخعي رحمه الله تعالى ما نصه :

« جاء عن علقمة بن مرثد قال :

كان الأسود بن يزيد يصوم حتى يخضر ، ويصفر ، فلما احتضر بكى فقيل له :

ما هذا الجزع ؟

فقال : ما لي لا أجزع ، والله لو أُتيت بالمغفرة من الله ، **لأهمني الحياء منه** » .

٥٣٨ـ ما غششناه مذ نصحناه :

جاء في تهذيب الكمال للمزي (٤/ ٤٨٢ـ٤٨٣) في ترجمة التابعي جارية بن قدامة بن زهير التميمي البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن الفضل بن سويد قال :

وفد الأحنف بن قيس ، وجارية بن قدامة ، والحباب بن يزيد المجاشعي ، على معاوية ، فقال لجارية :

يا جارية أنت الساعي مع علي بن أبي طالب ، والموقد النار في شعلك ، تجوس قرى عربية تسفك دماءهم ؟

قال جارية : يا معاوية دع عنك علياً ، فما أبغضنا علياً مذ أحببناه ، **ولا غششناه مذ نصحناه** .

قال : ويحك يا جارية ، ما كان أهونك على أهلك ، إذ سموك جارية!

قال : أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية .

قال : لا أم لك .

قال : أم ما ولدتني ، إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا .

قال : إنك لتهددني .

قال : إنك لم تملكنا قسرة ، ولم تفتحنا عنوة ، ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق ، فإن وفيت لنا ، وفينا لك ، وإن نزعتَ إلى غير ذلك ، فقد تركنا وراءنا رجالاً مِداداً ، وأذرعاً شداداً ، وأسنة حداداً ، فإن بسطت إلينا فِتراً من غدر ، دلفنا إليك بباعٍ من خَتْرٍ .

قال معاوية : لا كثر الله في الناس من أمثالك .

قال : قل معروفاً يا أمير المؤمنين ، فقد بلونا قريشاً ، فوجدناك أوراها زنداً ، وأكثرها رفداً ، فارعنا رويداً ، فإن شر الرعاء الحطمة » .

٥٣٩ـ أجيب فيك صالح دعاء الأمة :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٨/١٩) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٣٨/٥) في ترجمة الإمام العلامة مفتي خراسان ، وشيخ الشافعية أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي ، السَّمْعانيُّ ، المَرْوَزي ، الحنفي ثم الشافعي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قرأت بخط أبي جعفر الهمذاني الحافظ : سمعت أبا المظفر السمعاني يقول :

كنتُ في الطواف ، فوصلتُ إلى المُلتزم ، وإذا برجل قد أخذ بردائي ، فإذا الإمامُ سعد ـ يعني الزنجاني ـ فتبسمت ، فقال : أما ترى أين أنت ؟! هذا مقام الأنبياء والأولياء ، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال :

اللهم كما سقته إلى أعز مكان ، فأعطه أشرف عز في كل مكان وزمان .

ثم ضحك إلي ، وقال :

لا تخالفني في سرك ، وارفع يديك معي إلى ربك ، ولا تقولن البتة شيئاً ، واجمع لي همتك حتى أدعو لك ، وأمّن أنت ، ولا يخالفني عهدك القديم .

فبكيت ، ورفعت معه يديَّ ، وحرك شفتيه ، وأمّنت ، ثم قال :

مُرَّ في حفظ الله ، فقد أجيبَ فيك صالحُ دعاء الأمة ، فمضيت وما شيء أبغضُ إليّ من مذهب المخالفين » .

٥٤٠ـ أبيتم إلا فضيحتنا :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤/ ٧٢٢) في ترجمة القاضي أبو الحجاج يوسف بن حمود بن خلف بن أبي مسلم الصَّفي الزاهد المتقشف الأديب الشاعر رحمه الله ما نصه :

« ومن خبره :

أن إدريس بن علي الحسني ، أمير سبتة إذ ذاك ، رأى هلال شوال في جماعة من أصحابه ، ولم يره أحد من أهل سبتة سواهم .

فقال له بعض أصحابه :

ادفع شهادتك إلى القاضي ، وثبات ذلك عندك وصحته .

فقال لهم :

ابن حمود ، ذلك لا يغني عنده شيئاً .

فأنكروا ذلك عليه .

فقال لهم : سترون .

ووجه إليه بعض ثقاته ، يخبرونه برؤيتهم الهلال ، ويأمره بالخروج من عندهم إلى الصلاة ، مع الناس .

فقال لهم : إن كان ثبت عندي شيء يوجب أمراً إلى الآن .

فرجع الرسول إليهم .

فقال لهم : أبيتم إلا فضيحتنا ، وقطع اليقين على أنه لا يقبل شهادتنا ؟

قال : وجاء داخل الليل شيء من الصيادين في البحر من الثقات فأخبروه بكشفهم الهلال من موضع صيدهم ، ورؤيتهم له .

فأثبت شهادتهم ووجه ابن حمود بإثبات الخبر عنده ، بشهادة من شهد بذلك من الصيادين ، فزادهم عجباً » .

٥٤١ـ أكفان لا تبلى :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢١٢) في ترجمة الخليفة الراشد والإمام الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ميمون بن مهران :

خرجت مع عمر إلى القبور فقال لي :

يا أبا أيوب! هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلاء ؟

ثم بكى حتى غشي غليه ، ثم أفاق فقال :

انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله » .

وقال غيره :

خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دفنت قال لأصحابه :

قفوا حتى آتي قبور الأحبة ، فأتاهم فجعل يبكي ويدعو ، إذ هتف به التراب فقال :

يا عمر ألا تسألني ما فعلت في الأحبة ؟

قال : قلت : وما فعلت بهم ؟

قال : مزقت الأكفان ، وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، وأكلت

الحدقتين ، ونزعت الكفين من الساعدين ، والساعدين من العضدين ، والعضدين من المنكبين ، والمنكبين من الصلب ، والقدمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب .

فلما أراد أن يذهب قال له : يا عمر ، أدلك على أكفان لا تبلى ؟

قال : وما هي ؟

قال : تقوى الله والعمل الصالح » .

٥٤٢ـ انظر الذي تحت الوسادة :

جاء في مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا رقم (٢٩٧) والمزي في تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٨) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٧) ما نصه :

« ثنا الصلت بن بشطام التيمي ، عن أبيه ، قال :

كان حماد بن أبي سليمان يزورني فيقيم عندي سائر نهاره ولا يطعم شيئاً ، فإذا أراد أن ينصرف ، قال :

انظر الذي تحت الوسادة فمرهم أن ينتفعوا به .

قال : فأجد الدراهم الكثيرة » .

٥٤٣ـ اجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢٧١ـ٢٧٢) في ترجمة دعلج بن أحمد السجستاني المعدل الإمام الثقة رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الخطيب : حدثني أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحداد ـ وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح ـ عن شيخ سماه ، وذهب عني حفظ اسمه قال :

حضرت يوم جمعة المسجد الجامع بمدينة المنصور ، فرأيت رجلاً بين يديّ في الصف حسنَ الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة ، لم يزل يتنفلُ مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيامُ الصلاة ، ثم جلس .

قال : فغلبتني هيبته ودخل قلبي محبته ، ثم أقيمت الصلاة فلم يُصل مع الناس الجمعة ، فكبر عليَّ ذلك من أمره ، وتعجبت من حاله ، وغاظني فعله ، فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه وقلت : أيها الرجل ، ما رأيت أعجب من أمرك ، أطلت النافلة وأحسنتها ، وتركت الفريضة وضيعتها ؟

فقال : يا هذا إن لي عذراً وبي علة منعتني من الصلاة .

قلت : وما هي ؟

قال : أنا رجل عليَّ دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة فقبل أن تقام التفتُ فرأيت صاحب الدين ، فمن خوفه أحدثت في ثيابي ، فهذا خبري ، فأسألك الله إلا سترت عليَّ ، وكتمت أمري .

فقلت : ومن الذي له عليك الدين ؟

قال : دعلج بن أحمد .

وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه ، فسمع هذا القول ، ومضى في الوقت إلى دعلج فذكر له القصة .

فقال له دعلج : امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلعة من ثيابي ، وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع .

ففعل الرجل ذلك ، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر وأكل هو والرجل ، ثم أخرج حسابه فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم .

فقال له : انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نُسي لك نقد .

فقال الرجل : لا ، فضرب دعلج على حسابه ، وكتب تحته علامة الوفاء ، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم .

وقال له : أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه ، وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم ، وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع ، أو كما قال » .

٥٤٤ـ لو مات عطاء استراح الناس :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٦/ ٢٢١) في ترجمة عطاء السليمي البصري العابد من صغار التابعين رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن مُرَجَّى بن وادع الراسبي قال :

كان عطاء السَّليمي إذا هبَّت ريحٌ وبرقٌ ورعدٌ قال :

هذا من أجلي يصيبكم ، **لو مات عطاء استراح الناس** .

وقال : وكنا ندخل على عطاء ، فإذا قلنا له : زاد الطعام ، قال : هذا من أجلي غلا الطعام ، **لو مات عطاء استراح الناس** .

قال يحيى : وحدثنا العلاء بن محمد قال :

رأيت عطاء السَّليمي كالشَّنِّ البالي ، وكنتُ إذا رأيتُ عطاء كأنه رجلٌ ليس من أهل الدنيا .

ودخلتُ عليه فقالت امرأته : أما ترى عطاء يبكي الليل والنهار لا يفتر » .

٥٤٥ـ أكرمتنا فملكتنا :

جاء في تاريخ بغداد (٢/ ٣٥٦) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/ ٥١٠) في ترجمة الإمام الأوحد العلامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أبو الحسن بن المَرْزُبان :

كان أبو محمد بن ماسي من دار كعب ينفذ إلى أبي عمر غلام ثعلب وقتاً بعد وقت كفايته ما ينفق على نفسه ، فقطع ذلك عنه مُدَّةً لعذرٍ ، ثم أنفذ إليه جملة ما كان في رسمه ، وكتب إليه يعتذر ، فرده ، وأمر أن يُكتب على ظهر رقعته :

أكرمتنا فملكتنا ، ثم أعرضتَ عنا ، فأرحتنا .

٥٤٦ـ اعزم علينا كلنا فلنقم :

جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (٥٨/١) في ترجمة الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ما نصه :

« وجد عمر مرة من بعض جلسائه رائحة ، فقال :

عزمت على صاحب هذه الريح إلا قام فتوضأ .

فقال جرير : اعزم علينا كلنا فلنقم .

فعزم عليهم ثم قال : يا جرير مازلت شريفاً في الجاهلية والإسلام .

٥٤٧ـ خصال قبيحة :

جاء في تهذيب الكمال للمزي (١٥٨/٧) في ترجمة الإمام الفقيه الحكم بن هشام الثقفي العقيلي ، أبو محمد الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال زكريا بن يحيى ، عن الأصمعيّ ، عن الحكم بن هشام الثقفي : كان يقول :

خمسة أشياء تقبح في الرجل :

الفتوة في الشيوخ ، والحرص في القراء ، وقلة الحياء في ذوي الأحساب ، والبخل في ذوي الأموال ، والحِدَّة في السلطان » .

٥٤٨ـ ميزان التفاضل :

جاء في سير أعلام النبلاء (٤٧٧/٨) في ترجمة الإمام الفقيه أبو إسحاق الفزاري رحمه الله ما نصه :

« عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال :

قلت لأبي أسامة : أيهما أفضل ؟ فضيل بن عياض أو أبو إسحاق الفزاري ؟

فقال : كان فضيل رجل نفسه ، وكان أبو إسحاق رجل عامة » .

٥٤٩ـ لا شك في صلاح الشيخ عبد القادر :

جاء في الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٢) ما نصه :

« حكى الشيخ أبو الحسن بن غريبة الفقيه ، أن الوزير ابن هبيرة رحمه الله .

قال له الخليفة ـ المقتفي لأمر الله ـ وقد شكى من الشيخ عبد القادر وقال : إنه يستخف بي ، ويذكرني ، وله نخلة في رباطه ، يتكلم ويقول : يا نخيلة لا تتعدي أقطع رأسك ، وإنما يشير إلي .

قال الشيخ أبو الحسن : قال لي الوزير ابن هبيرة : تمضي إليه وتقول له في خلوة : ما يحسن بك أن تتعرض بالإمام أصلاً ، وأنت تعرف حرمة الخلافة .

قال الشيخ أبو الحسن : فذهبت إليه ، فوجدت عنده جماعة ، فجلست أنتظر منه خلوة فسمعته يتحدث ، ويقول في أثناء كلامه :

نعم أقطع رأسها ، فعلمت أن الإشارة إلي ، فقمت وذهبت ، فقال لي الوزير : بلغت ، فأعدت عليه ما جرى ، فبكى الوزير ، وقال : **لا شك في صلاح الشيخ عبد القادر** » .

٥٥٠ـ أخاف الله إن كذبت ، وأخافكم إن صدقت :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٥٠٠) في ترجمة التابعي الجليل الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي رحمه الله تعالى ما نصه :

« أن معاوية لما نصب ولده يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء ، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال :

يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لو لم تول هذا أمر المسلمين لأضعتها ، والأحنف بن قيس جالس .

فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بحر ؟

فقال : أخاف الله إن كذبت ، وأخافكم إن صدقت .

فقال له معاوية : جزاك الله على الطاعة خيراً ، وأمر له بألوف .

فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له :

يا أبا بحر ، إني لأعلم أن شر من خلق الله سبحانه وتعالى هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ، فليس نطمع باستخراجها إلا بما سمعت .

فقال له الأحنف : أمسك عليك فإن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيهاً » .

٥٥١ـ سنن من الله عادلة :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٠٧) في ترجمة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن شعيب بن صفوان حدثني ابن لسعيد بن العاص قال :

كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولم تُتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وحُرِمَ جنة عرضها السماوات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع فانياً بباق ونافداً بما لا نفاد له ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان .

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيكون من بعدكم للباقين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً

إلى الله لا يرجع ، وقد قضى نحبه حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدعٍ غير موسدٍ ولا ممهد ، قد فارق الأحباب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتهن بعمله ، غني عما ترك ، فقير لما قَدَّم ، فاتقوا الله قبل القضاء ، راقبوه قبل نزول الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ووضع طرف ردائه على وجهه فبكى ، وأبكى من حوله .

وفي رواية : وايم الله إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ، **ولكنها سنن من الله عادلة** ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، وأستغفر الله .

ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بل لحيته ، فما عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله » .

٥٥٢ـ دعوة مجابة :

جاء في تهذيب التهذيب لابن حجر (٧٥/٨) في ترجمة أحد المذكورين بالعبادة والزهد عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن سليمان الأعمش قال :

قال عمرو بن عتبة بن فرقد : سألت الله تعالى ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ، وأنا أنتظر الثالثة :

سألته : أن يزهدني في الدنيا ، فما أبالي ما أقبل وما أدبر .

وسألته : أن يقويني على الصلاة ، فرزقني منها .

وسألته : الشهادة ، فأنا أرجوها » .

٥٥٣ـ لو احتجت لمالك ما وعظتك :

جاء في تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي (ص ٢٦٥) في ترجمة الخليفة العباسي المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي العباسي الهاشمي رحمه الله ما نصه :

« عن محمد بن منصور البغدادي قال :

قام بعض الزهاد بين يدي المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة ، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده .

فأُفحم المنصور وأمر له بمال ، فقال :

لو احتجت إلى مالك ما وعظتك » .

٥٥٤ـ أتعذب محبيك وأنت الحي الكريم ؟

جاء في حلية الأولياء (٦/ ٢٣٥) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٣٧٢) في ترجمة عتبة بن أبان بن صمعة البصري الزاهد الخاشع الخائف المعروف بالغلام لجده واجتهاده رحمه الله ما نصه :

« سمعت عنبسة بن الخواص يقول :

كان عتبة يزورني ، قال : فبات عندي ليلة ، فبكى من السَّحَر بكاءً شديداً ، فلما أصبح قلت له :

قد فزَّعت قلبي الليلة ببكائك ، فمم ذاك يا أخي ؟

قال : يا عنبسة ، إني والله ذكرت العرض على الله عز وجل . ثم مال ليسقط ، فاحتضنته ، فجعلت أنظر على عينيه تتقلبان ، قد اشتدت حمرتهما ، ثم أزبد ، وجعل يخور ، فناديته :

عتبة! عتبة .

فأجاب بصوت خفي : قطعَ ذكرُ يوم العرض على الله أوصال المحبين له .

ثم مال ، ثم جعل يتحشرج البكاء ويردده ، حشرجة الموت ويقول :

أتراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم ؟!

قال : فلم يزل يرددها ، حتى والله أبكاني » .

٥٥٥ـ ضرب الله رقبته ورقبة السلطان :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/ ٤٥٦) في ترجمة الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري عالم الحفاظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي المنشأ الصالحي الحنبلي رحمه الله تعالى ما نصه :

« سمعت أبا بكر ابن الطحان ، قال :

كان في دولة الأفضل جعلوا الملاهي عند الدَّرَج ، فجاء الحافظ فكسر شيئاً كثيراً ، ثم صعد يقرأ الحديث ، فجاء رسول القاضي يأمره بالمشي إليه ليناظره في الدف والشبابة فقال :

ذاك عندي حرام ولا أمشي إليه .

ثم قرأ الحديث ، فعاد الرسول فقال :

لابد من المشي إليه ، أنت قد أبطلت هذه الأشياء على السلطان .

فقال الحافظ : ضرب الله رقبته ورقبة السلطان .

فمضى الرسول وخفنا ، فما جاء أحد » .

٥٥٦ـ دعاء لدفع ظلم الظالمين :

جاء في تهذيب الكمال (٥/ ٩٥ـ٩٦) في ترجمة الإمام الفقيه القدوة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو عبد الله المدني المعروف بالصادق رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن الفضل بن الربيع ، عن الربيع :

دعاني المنصور أمير المؤمنين فقال : إن جعفر بن محمد الصادق يلحد في سلطاني ، قتلني الله إن لم أقتله .

قال : فأتيته فقلت : أجب أمير المؤمنين .

قال : فتطهر ولبس ثياباً ، أحسبه قال : جُدداً ، فأقبلت به فاستأذنت له ، فقال :

أدخله ، قتلني الله إن لم أقتله .

فلما نظر إليه مقبلاً ، قام من مجلسه فتلقاه ، وقال :

مرحباً بالنقي الساحة البريء من الدَّغَل والخيانة ، أخي وابن عمي ، فأقعده على سريره معه ، وأقبل عليه بوجهه وسأله عن حاله ثم قال :

سلني حوائجك ؟ فقال : أهل مكة والمدينة قد بخلت عليهم عطاءهم فتأمر لهم به .

قال : أفعل . ثم قال : يا جارية إيتني بالمُتْحَفة .

فأتته بمدهن زجاج فيه غالية ، فغلفه بيده ، وانصرف فاتبعته فقلت : يا ابن رسول الله ﷺ ، أتيتُ بك ولا أشك أنه قاتلك ، وكان منه ما رأيت ، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول ، فما هو ؟ قال :

اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك الذي لا يُرام ، واحفظني بقدرتك عليَّ ، ولا تهلكني وأنت رجائي ، ربِّ كم من نعمة أنعمت بها عليَّ ، قلَّ لك عندها شكري ، وكم من بلية ابتليتني بها ، قلَّ لك عندها صبري ؟! فيا من قلَّ عند نعمته شكري ، فلم يحرمني ، ويا من قلَّ عند بليته صبري ، فلم يخذلني ، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني ، ويا ذا النعماء التي لا تحصى أبداً ، ويا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبداً ، أعني على ديني بدنيا ، وعلى آخرتي بتقوى ، واحفظني فيما غبت عنه ، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرت ، يا من لا تضره الذنوب ، ولا تنقصه المغفرة ، اغفر لي ما لا يضرك ، وأعطني ما لا ينقصك ، يا وهاب أسألك فرجاً قريباً ، وصبراً جميلاً ، والعافية من جميع البلايا وشكر النعمة » .

٥٥٧ـ صارت قضاتي تردني إلى الحق :

جاء في تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي (ص ٢٦٥) في ترجمة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عبد الله بن صالح قال :

كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة :

انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر ، فادفعها إلى القائد .

فكتب إليه سوار : إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر ، فلست أخرجها من يده إلا ببينة .

فكتب إليه المنصور : والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد .

فكتب إليه سوار : والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق .

فلما جاءه الكتاب قال :

ملأتها والله عدلاً ، وصارت قضاتي تردني إلى الحق » .

٥٥٨ـ إنما نفرح غداً بالنظر إلى الله تعالى :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ٢٦٦ـ٢٦٧) في ترجمة الإمام الفقيه أبو الأحوص أحمد بن عبد الله صاحب الخير والعبادة رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال عبد الوهاب الزاهد :

قمت على برج ، على شاطىء البحر ، فإذا ؟ الأحوص رحمه الله تعالى ، بين شرافتين في سواد الليل يقول :

أبــو أن يــرقــدوا ليــلاً فهـــــم لله قُـــــوّامُ

أبَـوا أن يفطـــروا دهـــراً   فهـــــم لله صُـــــوَّامُ
أبـــوا أن يخـــدمـــوا الـــدنيـــا   فهـــــم لله خُـــــدَّامُ

لا إله إلا الله والله أكبر ، ولله الحمد ، ثم اندفع في السباحة حتى سمع حسي .

فقال لي : من أنت ؟ فقلت : عبد الوهاب .

فقال : يا بني ، يا أبا القاسم ، إنما نقطع الدنيا بالهموم والعلل ، والأحزان والأمراض ، والأعمال ، **وإنما نفرح غداً بالنظر إلى الله تعالى ، إذا صرنا إلى دار السلام** » .

٥٥٩ـ قمت وأنا عمر ، وجلست وأنا عمر :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢١١ـ٢١٢) في أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال رجاء بن حيوة : سمرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فعشي السراج فقلت :

يا أمير المؤمنين ، ألا أنبه هذا الغلام يصلحه ؟

فقال : لا! دعه ينام ، لا أحب أن أجمع عليه عملين .

فقلت : أفلا أقوم فأصلحه ؟

فقال : لا! ليس من المروءة استخدام الضيف .

ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتاً ثم جاء وقال :

قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز » .

٥٦٠ـ أبكي والله أن تكون الأرض تبلي مثلك :

جاء في تاريخ ابن معين برواية الدوري (٢/ ٥٠٢) في ترجمة السيد الجواد التابعي سعيد بن العاص القرشي ، الأموي ، أبو عثمان رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال عباس بن محمد الدوري ، عن يحيى بن معين :
سأل أعرابيٌّ سعيد بن العاص فقال :
يا غلام ، أعطه خمس مئة .
فقال الأعرابي : خمس مئة ماذا ؟
قال : خمس مئة دينار .
قال : فأعطاه ، فجعل الأعرابي يقلب الدنانير بيده ويبكي .
فقال سعيد : ما يبكيك يا أعرابي ؟
قال : **أبكي والله أن تكون الأرض تُبلي مثلك** » .

٥٦١ـ لم تضرك السورتان :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب (٩/ ٢٧٥) في ترجمة الإمام الفقيه المحدث شبيب بن شيبة الأهتم المنقري أبو مَعْمَر البصري الخطيب رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن موسى بن إبراهيم صاحب حماد بن سلمة قال :

كان شبيب بن شيبة يصلي بنا في المسجد الشارع في مُربَّعة أبي عُبيد الله ، فصلى بنا يوماً الصبح فقرأ بـ (السجدة) ، و ﴿هل أتى على الإنسان﴾ .

فلما قضى الصلاة قام رجلٌ فقال : لا جزاك الله عني خيراً ، فإني كنت غدوت لحاجة ، فلما أقيمت الصلاة دخلتُ أُصلي فأطلتَ حتى فاتتني حاجتي .

قال : وما حاجتك ؟

قال : قدمتُ من الثغر في شيء من مصلحته ، وكنتُ وعدتُ البكور إلى دار الخليفة لا يُنجز ذلك!

قال : فأنا أركب معك ، فركب معه ودخل على المهدي فأخبره الخبر وقصَّ عليه القصة .

قال : فيريد ماذا ؟ قال : قضاء حاجته .

فقضى حاجته وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فدفعها إلى الرجل ، ودفع إليه شبيب أربعة آلاف درهم .

وقال له : لم تضرك السورتان » .

٥٦٢ـ إن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل :

جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (١/ ١٣٣) ما نصه :

« عن جعفر بن برقان قال :

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس : سلام عليك ، أما بعد :

فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أُولي إليك فإنه لا ينفع تكلُّم بحق لا نفاذ له .

آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريفٌ في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك ، وهُديتَ لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق لا يبطله شيء .

واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل .

الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، واعرف الأشباه والأمثال ثم قِسِ الأمور عند ذلك ، ثم اعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى .

اجعل لمن ادعى حقاً غائباً أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضر بينة أخذ بحقه ، وإلا استحللت عليه القضاء ، والمسلمون عدول في الشهادة ، إلا مجلوداً

في حد ومجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً في ولاء أو قربة .

إن الله تعالى تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات ، وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فإنه من صَلُحَتْ سريرته فيما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله ، والسلام » .

٥٦٣ـ لكل سوق بضاعة تنفق فيه :

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٦٨) في ترجمة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور رحمه الله ما نصه :

« قال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي :

كنت أطلب العلم مع أبي جعفر المنصور قبل الخلافة ، فأدخلني منزله ، فقدم إليَّ طعاماً لا لحم فيه ، ثم قال :

يا جارية عندك حلواء ؟ قالت : لا .

قال : ولا التمر ؟ قالت : لا .

فاستلقى وقرأ : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

فلما ولي الخلافة وفدت إليه فقال :

كيف سلطاني من سلطان بني أمية ؟

قلت : ما رأيت في سلطانهم من الجور شيئاً إلا رأيته في سلطانك .

فقال : إنا لا نجد الأعوان .

قلت : قال عمر بن عبد العزيز : **إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها** ، فإن كان بَراً أتوه ببرهم ، وإن كان فاجراً أتوه بفجرهم ، فأطرق » .

٥٦٤ـ تقدم كل ولا تخبىء منه شيئاً :

جاء في صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ١٧٣ـ١٧٤) في ترجمة الإمام الفقيه القدوة جعفر بن محمد الباقر الملقب بالصادق رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الليث بن سعد :

حججت في سنة ثلاث عشرة ومئة ، فأتيتُ مكة ، فلما أن صليت العصر ، رقينا أبا قبيس ، وإذا برجل جالس وهو يدعو ، فقال :

يا رب ، حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا رباه ، حتى انقطع نفسه ، ثم قال : ربٍّ ربٍّ ربٍّ ، حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا أرحم الراحمين ، حتى انقطع نفسه ، سبع مرات .

ثم قال : اللهم إني أشتهي من هذا العنب فأطعمنيه ، اللهم وإن برديَّ قد خَلِقا .

قال الليث : فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً ، وليس على الأرض عنب يومئذ ، وبردين موضوعين ، فأراد أن يأكل ، فقلت : أنا شريكك .

فقال لي : ولم ؟

فقلت : لأنك كنت تدعو وأؤمن أنا .

فقال لي : **تقدم كل ولا تخبىء منه شيئاً** .

فتقدمت ، فأكلت شيئاً لم آكل مثله قط ! وإذا عنب لا عَجَم فيه ، وأكلتُ حتى شبعت ، والسلة لم تنقص شيئاً .

قال : خذ أحبَّ البردين إليك .

فقلت : أما البردان فإني غني عنهما .

فقال لي : توارى حتى ألبسهما .

فتواريت عنه ، فاتزر بأحدهما ، وارتدى الآخر ، ثم أخذ البردين

اللذين كانا عليه ، فجعلهما على يده ، ونزل .

واتبعته ، حتى إذا كان بالمسعى ، لقيه رجل فقال :

اكسني كساك الله يا ابن رسول الله ﷺ ، فدفعهما إليه ، فلحقت بالرجل ، فقلت له : من هذا ؟

قال : هذا جعفر بن محمد .

قال الليث : فطلبته لأسمع منه ، فلم أجده » .

٥٦٥ـ دستور الولاة :

جاء في بهجة المجالس لابن عبد البر (١/ ٣٣٤) ما نصه :

« قال عبد الملك بن عمير :

كان مكتوباً في مجلس زياد الذي يجلس فيه للناس بالكوفة ، في أربع زوايا بقلم جليل :

الوالي شديد في غير عنف ، لين في غير ضعف ، العطية لأربابها ، والأرزاق لأوقاتها ، البعوث لا تجمر ، المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يؤخذ على يديه .

فكان كلما رفع رأسه قرأه » .

٥٦٦ـ أتعبناك يا أبا الفيض :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٥٣٥) في ترجمة الإمام الزاهد ، شيخ الديار المصرية ثوبان بن إبراهيم أبا الفيض الإخميمي ذو النون المصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عمرو بن السرح :

قلتُ لذي النون : كيف خلصت من المتوكل ، وقد أمر بقتلك ؟

قال : لما أوصلني الغلام ، قلت في نفسي :

يا من ليس في البحار قطرات ، ولا في ديلج الرياح ديلجات ، ولا في الأرض خبيئات ، ولا في القلوب خطرات ، إلا وهي عليك دليلات ، ولك شاهدات ، وبربوبيتك معترفات ، وفي قدرتك متحيرات ، فبالقدرة التي تُجيزُ بها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على محمد وعلى آل محمد ، وأخذت قلبه عني .

فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني ، ثم قال :

أتعبناك يا أبا الفيض » .

٥٦٧ـ ميزان التفاضل :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٣٨٨) في ترجمة الإمام الفقيه القدوة الرباني سفيان الثوري رحمه الله تعالى ما نصه :

« دخل سفيان على المهدي فكلمه بكلام فيه غلظة .

فقال له عيسى بن موسى : تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام وإنما أنت رجل من ثور .

فقال له سفيان :

إن من أطاع الله من ثور ، خير ممن عصى الله من قومك » .

٥٦٨ـ كفاكه الله :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله (٣/ ٣٨٥) في ترجمة الإمام الفقيه الرباني العابد أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال القابسي :

كنت عند أبي إسحاق السبائي ، إذ أتاه رجل مذعور ، فقال له : إن السلطان أمر بنهب طعامي ، وعبيدي وماشيتي ، وقد خرج رسوله في ذلك .

فقال له الشيخ : كفاكه الله .

فخرج من عنده ، فإذا بقوم من أهل المنزل ، فسألهم فقالوا : لما وصل رسول السلطان لمنزلك وفتح المطمر ، أتاه آت فنهاه أن يتعرض لشيء » .

٥٦٩ـ الله أرحم من أبوَيَّ :

جاء في تهذيب الكمال للمزي (٧/٢٦٦) في ترجمة الإمام المحدث العلامة الورع العابد حماد بن سلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال البخاري : سمعت بعض أصحابنا يقول :

عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري ، فقال سفيان :

يا أبا سلمة أترى الله يغفر لمثلي ؟

فقال حماد : والله لو خُيِّرتُ بين محاسبة الله إياي ، وبين محاسبة أبويَّ ، لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبويَّ ، وذاك أن الله أرحم من أبويَّ » .

٥٧٠ـ يمنعني ديني :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢١٩) في ترجمة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عمير بن حبيب السلمي قال :

أُسرتُ أنا وثمانية في زمن بني أمية ، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا ، فقتل أصحابي ، وشفعَ فيَّ بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذا له ابنة مثل الشمس ، فعرضها عليَّ على أن يقاسمني نعمته وأدخل معه في دينه فأبيت ، وخلت بي ابنته فعرضت نفسها عليَّ فامتنعت .

فقالت : ما يمنعك من ذلك ؟

فقلت : يمنعني ديني ، فلا أترك ديني لامرأة ولا لشيء .

فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟

قلت : نعم .

فقالت : سر على هذا النجم بالليل واكمن بالنهار ، فإنه يلقيك إلى بلادك .

قال : فسرت كذلك ، قال : فبينا أنا في اليوم الرابع مُكْمِن إذا بخيل مقبلة ، فخشيت أن تكون في طلبي ، فإذا أنا بأصحابي الذين قتلوا ومعهم آخرون على دواب شهب .

فقالوا : عمير ؟ فقلت : عمير .

فقلت لهم : أوليس قد قتلتم ؟

قالوا : بلى ، ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز .

قال : ثم قال لي بعضهم : ناولني يدك يا عمير .

فأردفني فسرنا يسيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون لحقني شر » .

٥٧١ـ لقد أوجزت وأقصرت :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب (٩/ ٢٧٤ـ٢٧٥) وتهذيب الكمال (٣٦٧/١٢) في ترجمة الإمام الفقيه المحدث شبيب بن شيبة ، الأهتم المنقري أبو معمر البصري الخطيب رحمه الله تعالى ما نصه :

« حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم ، حدثني شبيب بن شيبة قال :

قال لي أبو جعفر ـ وكنت من سماره ـ يا شبيب عظني وأوجز ؟

قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، إن الله لم يرض من نفسه بأن يجعل فوقك أحداً من خلقه ، فلا ترض له من نفسك بأن يكون عبد هو أشكر منك .

قال : والله لقد أوجزت وأقصرت .

قال : قلت : والله لئن كنت أقصرت فما بلغت كنه النعمة فيك » .

٥٧٢ـ غِيبة العلماء وأثرها :

جاء في الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان (ص ٤٠) ما نصه :

« قال له بعض مناظريه :

يا مبتدع ، يا زنديق .

فقال : غفر الله لك ، الله يعلم مني خلاف ذلك ، وإني ما عدلت به مذ عرفته ، ولا أرجو إلا عفوه ، ولا أخاف إلا عقابه ، ثم بكى عند ذكر العقاب .

فقال له الرجل : اجعلني في حل مما قلت .

فقال : كل من قال فيَّ شيئاً من أهل الجهل ، فهو في حل ، وكل من قال فيَّ شيئاً مما ليس فيَّ من أهل العلم ، فهو في حرج ، **فإن غيبة العلماء تبقى شيئاً بعدهم** » .

٥٧٣ـ الأعلم بالله تعالى :

جاء في كتاب الزهد لأحمد بن حنبل (٢٣٣) وابن المبارك في الزهد رقم (٨٠) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١٩ـ١٢٠) في ترجمة هرم بن حيان العبدي الأزدي البصري أحد العابدين رحمه الله ما نصه :

« عن الحسن البصري قال :

خرج هرم بن حيان وعبد الله بن عامر يريدان أرض الحجاز ، قال : فبينما هما يسيران على راحلتيهما يخالجان ذلك الشجر .

فقال ابن حيان : يا ابن عامر! أيسرك أنك شجرة من هذه الشجر ، أكلتك هذه الراحلة ، فقذفتك بعراً ، فاتخذت جلة .

قال : لا والله لما أرجو من رحمة الله أحب إلي من ذلك .

فقال هرم : ولكنني والله لوددت أني الشجرة من هذه الشجر ، أكلتني هذه الناقة ، فقذفتني بعراً ، فاتخذت جُلة ، ولم أكابد الحساب يوم القيامة ، إما إلى جنة وإما إلى نار ، ويحك يا ابن عامر إني أخاف الداهية الكبرى ؟

قال الحسن : **كان والله أفقههما وأعلمهما بالله عز وجل** » .

٥٧٤ـ أمنية الخليفة :

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٦٦ـ٢٦٧) في ترجمة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن محمد بن سلام الجمحي قال :

قيل للمنصور : هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تَنَلْهُ ؟

قال : بقيت خصلة ، أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث ، يقول المستملي : من ذكرت رحمك الله .

قال : فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر ، فقال : لستم أنتم ، إنما هم الدَّنِسةُ ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، بُرُرُ الآفاق ونقلة الحديث » .

٥٧٥ـ اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم بن أدهم :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٣٨٢ـ٣٨٣) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ١٥٤ـ١٥٥) في ترجمة إبراهيم بن أدهم الإمام العابد الزاهد القدوة رحمه الله تعالى ما نصه :

« حدثنا شقيق البلخي قال :

بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم ـ يعني ابن أدهم ـ إذ مر به رجل من أصحابه ، فلم يسلم عليه!

فقال إبراهيم : أليس هذا فلان ؟ فقال لرجل : أدركه فقل له : قال لك إبراهيم : ما لك لم تُسلم ؟

قال : لا والله! إلا أن امرأتي وضعت الليلة وليس عندنا شيء ، فخرجت شبه المجنون .

قال : فرجعتُ إلى إبراهيم فقلت له : إنا لله ، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به الأمر ؟ ألا كنا تفقدناه وغيَّرنا سوء حاله ؟

ثم قال : يا فلان ، ائت فلان صاحب البستان ، فاستسلف منه دينارين ، وادخل السوق ، واشتر له ما يصلحه بدينار ، وادفع الدينار الآخر إليه .

قال : فدخلتُ السوق ، فاشتريت له ما يُصلحه بدينار ، ثم غدوت فدققت الباب ، فقالت امرأته : من هذا ؟

قلت : أنا فلان ، أريد فلاناً .

فقالت : ليس هو ههنا .

قال : قلت : فأمري بفتح الباب وتنحي .

قال : ففتح الباب ، فأدخلتُ ما على البعير ، فألقيته في صحن الدار ، وناولتها الدينار .

فقالت : على يدي مَنْ هذا رحمك الله ؟

قلت لها : أقرئيه السلام ، وقولي له : على يدي أخيك إبراهيم بن أدهم .

فقالت : اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم بن أدهم .

قال : فرجعت إلى إبراهيم ، فأخبرته بما كان ، وما كان من دعوتها ، ففرح إبراهيم فرحاً لم يفرح مثله قط .

قال : فلما جاء الرجل من آخر النهار وليس معه شيء ، فنظر إلى صحن الدار ، قد ملىء من الخير ، ودفعت الدينار إليه ، فقال : على يدي من هذا ؟

قالت : على يدي إبراهيم بن أدهم .

فقال : **اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم** » .

٥٧٦-أين كنا إذا فرق هذا البلاء :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤/ ٨٢٣) في ترجمة الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن موسى المشارقي رحمه الله تعالى ما نصه :

« ذكر أنه جلس مع أخ له يوماً ، فرأى حال ابن الحديدي ورئاسته وسعة حاله .

فقال له أخوه : أين كنا إذ فرقت هذه الأموال ؟

فسكت عنه ، فلما خرجا مر به على ربط الجذمى ، فلما أوقفه على اختلاف بلائهم .

قال له أبو محمد : **أين كنا يا أخي إذ فرق هذا البلاء** » .

٥٧٧- يبلغ به الجوع مبلغه في سبيل العلم :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٣٦٧) في ترجمة الإمام الحافظ ، الجوال الرحال ، محمد بن طاهر بن علي القيسراني المقدسي الأثري الظاهري الصوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابن طاهر :

أقمت بتنيس مدة على أبي محمد بن الحداد ونظرائه ، فضاق بي ، فلم يبق معي غير درهم ، وكنت أحتاج إلى حبرٍ وكاغد ، فترددت في صرفه ، في الحبر أو الكاغد أو الخبز ، ومضى على هذا ثلاثة أيام ، لم أطعم فيها ، فلما كان بكرة اليوم الرابع ، قلت في نفسي : لو كان لي اليوم كاغد ، لم يمكني أن أكتب من الجوع ، فجعلت الدرهم في فمي ، وخرجت لأشتري خبزاً ، فبلعته ، ووقع علي الضحك ، فلقيني صديق وأنا أضحك .

قال : ما أضحكك ؟ قلت : خير .

فألح عليَّ ، وأبيتُ أن أخبره ، فحلف بالطلاق لتَصْدُقَنّي ، فأخبرته ، فأدخلني منزله ، وتكلف أطعمة .

فلما خرجنا لصلاة الظهر ، اجتمع به بعض وكلاء عامل تنيس بن قادوس ، فسأله عني .

فقال : هو هذا . قال : إنَّ صاحبي منذ شهر أمر بي أن أوصل إليه كل يوم عشرة دراهم قيمتها ربع دينار ، وسهوت عنه ، فأخذ منه ثلاث مئة ، وجاء بها » .

٥٧٨ـ استعن عليه بمولاي :

جاء في تهذيب الكمال للمزي (٩/ ٣٢٢) في ترجمة الصحابي الجليل حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام رضي الله عنه ما نصه :

« عن عبد الله بن الزبير :

لما كان يوم الجمل جعل الزبير يوصي بدينه ويقول :

يا بني إن عجزت عن شيء فاستعن عليه بمولاي .

فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت : يا أبت من مولاك ؟

قال : الله .

قال : فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير اقض دينه فيقضيه ، فقتل الزبير ، ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين منها بالغابة ودوراً ، وإنما كان دينه الذي كان عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال ليستودعه إياه فيقول الزبير لا ، ولكنه سلف علي فإني أخشى عليه الضيعة .

قال : فحسبت ما عليه فوجدته ألفي ألف فقضيت دينه ، فكان عبد الله بن الزبير ينادي بالموسم أربع سنين : من كان له على الزبير دين فليأتنا فليقضه ، فلما مضى أربع سنين قسمت بين الورثة الباقي ، وكان له أربع نسوة فأصاب كل امرأة ألف ألفٍ ومئتا ألف » .

٥٧٩ـ أنت خير من الذي حملني إليك :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٤٦٦ـ٤٦٧) في ترجمة القاضي شريك بن عبد الله أبو عبد الله النخعي الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« كان شريك يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي ، فكان يُحمِّل المهدي عليه ، فدخل شريك يوماً على المهدي ، فقال له المهدي : بلغني أنك ولدت في قوصرة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ولدت بخراسان والقواصر هناك عزيزة .

فقال : إني لأراك فاطمياً خبيثاً .

قال : والله إني لأحب فاطمة ، وأبا فاطمة ﷺ .

قال : وأنا والله أحبهما ، ولكني رأيتك في منامي مصروفاً بوجهك عني ، وما ذاك إلا لبغضك لنا ، وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق .

قال : يا أمير المؤمنين ، إن الدماء لا تسفك بالأحلام ، وليست رؤياك رؤيا يوسف عليه السلام ، وأما قولك إني زنديق فإن للزنادقة علامة يعرفون بها .

قال : وما هي ؟

قال : شرب الخمور ، والضرب بالطنبور .

قال : صدقت أبا عبد الله ، **وأنت خير من الذي حمَّلَني عليك** » .

٥٨٠ـ وددت أني كنت نسياً منسياً :

جاء في طبقات ابن سعد (٧/ ٧٤ـ٧٥) ومسند أحمد (١/ ٧٦ ، ٣٤٩) وفضائل الصحابة لأحمد رقم (٧٥١) والبخاري في تفسير سورة النور باب ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ (٨/ ٤٨٣) في ترجمة الفقيهة الجليلة حبيبة رسول الله ﷺ بنت الصديق الأكبر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ما نصه :

« عن ابن أبي مليكة قال :

استأذن ابن عباس قبيل موتها على عائشة رضي الله عنها وهي مغلوبة .

قالت : أخشى أن يثني عليَّ .

فقيل : ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين .

قالت : ائذنوا له . فقال : كيف تجدينك ؟

قالت : بخير إن اتقيت .

قال : فأنت بخير إن شاء الله تعالى زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكراً غيرك ، ونزل عذرك من السماء .

ودخل ابن الزبير فقالت : دخل ابن عباس فأثنى عليَّ ، وددت أني كنت نسياً منسياً » .

٥٨١ـ راهب الكوفة :

جاء في تذكرة الحفاظ (٢/٥٠٧) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١/٤٦٦) في ترجمة الحافظ القدوة الزاهد شيخ الكوفة أبو السري هناد بن السري التميمي الدارمي المحدث رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أحمد بن سلمة النيسابوري :

كان هناد كثير البكاء فرغ يوماً من القراءة لنا ، فتوضأ وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزوال ، وأنا معه في المسجد ، ثم رجع إلى منزله فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر ، ثم قام على رجليه يصلي إلى العصر ، ويرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيراً ، ثم صلى بنا العصر ، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صليت المغرب .

فقلت لبعض جيرانه : ما أصبره على العبادة ؟

فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة ، فكيف لو رأيت عبادته بالليل ؟ وما تزوج وما تسرى وكان يقال له : **راهب الكوفة** » .

٥٨٢ـ نعم إنه الصديق :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٣٢٣/٩) في ترجمة الإمام الفقيه القدوة الرباني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر الباقر الهاشمي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال عروة بن عبد الله :

سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف .

فقال : لا بأس به ، قد حلى أبو بكر الصدِّيق سيفه .

قال : قلت : وتقول الصدِّيق ؟

قال : فوثب واستقبل القبلة ثم قال :

نعم الصدِّيق ، نعم الصدِّيق ، فمن لم يقل الصدِّيق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة » .

٥٨٣ـ كيف أوليكم أعراض المسلمين :

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٣٦) في ترجمة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما نصه :

« قال الأوزاعي :

إن عمر بن عبد العزيز كان جالساً في بيته وعنده أشراف بني أمية فقال :

أتحبون أن أولي كل رجل منكم جنداً ؟

فقال رجل منهم : لِمَ تعرض علينا ما لا تفعله ؟

قال : ترون بساطي هذا ؟ إني لأعلم أنه يصير إلى بلى وفناء ، وإني أكره أن تدنسوه بأرجلكم ، **فكيف أوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم ؟ هيهات لكم هيهات !**

فقالوا له : لِمَ ؟ أما لنا قرابة ؟ أما لنا حق ؟

قال : ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سواء ، إلا رجلاً من المسلمين حبسه عني طول شقته » .

٥٨٤ـ من أحسن فلها ، ومن أساء فعليها :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب (٩/ ٢٨٠) في ترجمة الإمام الفقيه القاضي شريك بن عبد الله النخعي أبو عبد الله الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« حدثنا أبو خالد يزيد بن يحيى بن يزيد ، قال : حدثني أبي ، قال :

مر شريك القاضي بالمستنير بن عمرو النخعي فجلس إليه ، فقال : يا أبا عبد الله من أدَّبَكَ ؟

قال : أدبتني نفسي والله ، ولدت بخراسان ببخارى فحملني ابن عم لنا حتى طرحني عند بني عم لي بنهر صرصر ، فكنت أجلس إلى معلم لهم فعلق بقلبي تعلم القرآن ، فجئت إلى شيخهم فقلت : يا عماه الذي كنت تجري عليَّ هاهنا أجره عليَّ بالكوفة أعرف بها السُّنَّةَ وقومي ، ففعل .

قال : فكنت بالكوفة أضربُ اللَّبِنَ وأبيعُهُ ، وأشتري دفاتر وطروساً ، فأكتب فيها العلم والحديث ، ثم طلبت الفقه ، فبلغت ما ترى .

فقال المستنير بن عمرو لولده :

سمعتم من قول ابن عمكم وقد أكثرت عليكم في الأدب ، فلا أراكم تفلحون فيه ، **فليؤدب كل رجل منكم نفسه ، فمن أحسن فلها ، ومن أساء فعليها** » .

٥٨٥ـ ميزان القبول في قلوب الناس :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٣٠٠) ما نصه :

« عن داود بن مهران قال :

حدثنا سليمان بن مهران ـ وكان لا يقول : الأعمش ـ عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبي الدرداء قال :

ليحذر امرؤ تمقته قلوب المؤمنين من حيث لا يعلم .

ثم قال : أتدري ما هذا ؟

قلت : لا .

قال : العبد يخلو بمعاصي الله ، فيُلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر ! » .

٥٨٦ـ حسن العطاء والطلب :

جاء في بهجة المجالس لابن عبد البر (١/ ٣٢٠) ما نصه :

« أن سوار بن عبد الله بن سوار القاضي كتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قائلاً :

لنا حاجةٌ والعُذْرُ فيها مُقَدَّمٌ ... خفيفٌ معناها مضاعَفَةُ الأجرِ

فإنْ تَقْضِها فالحمْدُ لله رَبنا ... وإن تَكُنْ الأُخرى ففي أوْسَعِ العُذْرِ

على أنَّهُ الرحمنُ مُعطٍ ومانعٌ ... وللرزقِ أسبابٌ إلى قدرٍ تجري

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر :

فَسَلْها تجدْني مُوجباً لقضائها ... سريعاً إليها لا يُخالِطني فِكْرُ

شَكُورٌ بأفضالي عَلَيْكَ بمِثْلِها ... وإن لم تكن فيما حوته يدي شكر

فهذا قليلٌ للذي قد رأيْتَهُ ... لحقكَ لا مَنٌّ لديَّ ولا فَخْرُ

٥٨٧ـ ما خيرٌ في الدنيا إلا للآخرة :

جاء في تهذيب الكمال للمزي (٧/ ٤٨١) في ترجمة العابد الزاهد الفقيه حَيْوَة بن شريح بن صفوان التُّجِيبيُّ أبو زرعة المصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أحمد بن سَهْل الأُردُنِّيُّ ، عن خالد بن الفِزْر :

كان حيوة بن شريح دَعّاءً من البكائين ، وكان ضيِّقَ الحال جداً ، فجلست إليه ذات يومٍ ، وهو مُتخلٍّ وحده يدعو ، فقلت : رحمك الله ، لو

دعوتَ الله أن يوسِعَ عليك في معيشتك . فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً ، فأخذ حصاة من الأرض فقال : اللهم اجعلها ذهباً .

فإذا هي والله تِبرةً في كفه ما رأيتُ أحسنَ منها فرمى بها إليَّ ، وقال : ما خيرٌ في الدنيا إلا للآخرة .

ثم التفت إليَّ فقال : هو أعلمُ بما يُصلح عبادَه .

فقلتُ : ما أصنعُ بهذه ؟

فقال : استنفقها ، فهبته والله أن أُرادّه » .

٥٨٨ـ الله يقول هذا وتقعدون عن لقائهم :

جاء في سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٣٣) في ترجمة الزاهد المجاهد أبي عبد الله مَرْدَنيش محمد الجذامي المغربي رحمه الله ما نصه :

« من عجيب ما صح عندي من مغازيه ـ يقول ذلك اليسع بن حزم ـ أنه أغار يوماً ، فغنم غنيمة كثيرة ، واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس .

فقال لأصحابه وكانوا ثلاث مئة فارس : ما ترون ؟

فقالوا : نَشْغَلُهُم بترك الغنيمة .

فقال : ألم يقل القائل : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

فقال له ابنُ مُورين : يا رئيس ، الله قال هذا .

فقال : الله يقول هذا وتقعدون عن لقائهم ؟!

قال : فثبتوا ، فهزموا الروم » .

٥٨٩ـ حق الله أحق من كل حق :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤/ ٤٢٧) في ترجمة الإمام الفقيه إسحاق بن إبراهيم بن مسرة أبو إبراهيم التجيبي رحمه الله ما نصه :

« قال تلميذه وقريبه قاسم بن أرفع رأسه :

تركني أبي ، وإخوتي في حجر أبي إبراهيم ، فكفلنا وربانا وعلمنا ، ففتح الله عليَّ ببركته ، فلم يكن في قلبي أحد أعظم منه لي .

كنت يوماً خارجاً إلى صلاة العصر ، إذ فتح بابه فإذا به ورائي ، يريد مثل ما أُريده ، فتوقفت حتى لحقني ، فسلمتُ عليه ، فرد عليَّ مغضباً وقال لي :

يا قاسم : قط ما كان هذا تقديري فيك! فيا ليتني ثكلتك ، ولم أرك صنعت ما صنعت!

فقلت : وما هو يا سيدي ؟

قال : خرجت من بيتك إلى الله لتأدية فريضة ، فبينا أنت في ذلك ، وقعت عينك على مخلوق مثلك ، يريد ما أردته ، فحولت وجهك إليه عن قبلتك ، ووقفت حتى لحقك ؟

فقلت : يا سيدي ، أنا معذور في الهوى إليك ، إذ حقك عليَّ كوالدي .

فقال : ما أريد أن تفعله به ولا بي ، فحق الله أحق من كل حق ، لا تعد لمثله » .

٥٩٠ـ العلماء يحشرون مع الأنبياء :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٧) في ترجمة أحد أئمة عصره الإمام الفقيه عبد الله بن وهب بن مسلم أبو محمد المالكي المصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال يونس بن عبد الأعلى صاحب الإمام الشافعي ، رحمه الله تعالى :

كتب الخليفة إلى عبد الله بن وهب في قضاء مصر ، فجنَّنَ نفسه ، ولزم بيته ، فاطلع عليه رشدين بن سعد وهو يتوضأ في صحن داره .

فقال له : ألا تخرج إلى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله عز وجلّ وسنة رسوله ﷺ ؟

فرفع إليه رأسه وقال :

إلى هاهنا انتهى عقلك ؟ أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء ، وأن القضاة يحشرون مع السلاطين ؟ » .

٥٩١ـ يا ويلي كم أتوب وكم أعود :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ١٨٥) في ترجمة يعقوب التائب العابد الكوفي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال علي بن الموفق عن منصور بن عمار :

خرجت ذات ليلة وأنا أظن أني قد أصبحت ، فإذا على ليل ، فجلست إلى باب صغير وإذا شاب يبكي وهو يقول :

وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولكن سوّلت لي نفسي ، وغلبتني شقوتي ، وغرني سترك المرخى عليَّ ، فالآن من عذابك من يستنقذني ؟ وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك عني ؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي ، **يا ويلي كم أتوب وكم أعود** ، قد حان لي أن أستحيي من ربي عز وجل .

قال منصور : فقلت :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

قال : فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً فذهبت لحاجتي ، فلما رجعت مررت بذلك الباب فإذا جنازة موضوعة ، فسألت عنه فإذا ذاك الفتى قد مات من هذه الآية » .

٥٩٢ـ صفات الرباني العالم بالله :

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٢٦) في ترجمة الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام الفضيل بن عياض التميمي أبو علي اليربوعي الخراساني المجاور لحرم الله رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن إبراهيم بن الأشعث :

ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل ، كان إذا ذكر الله ، أو ذكر عنده ، أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن ، وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من يحضره ، وكان دائم الحزن شديد الفكرة ، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله وأخذه وعطائه ، ومنه وبذله ، وبغضه وحبه ، وخصاله كلها غيره ، كنا إذا خرجنا معه في جنازة ، لا يزال يعظ ، ويُذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه ، ذاهب إلى الآخرة ، حتى يبلغ المقابر ، فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء ، حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها » .

٥٩٣ـ ذكاء خليفة :

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٦٨ـ٢٦٩) في ترجمة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن يعقوب بن جعفر قال :

مما يؤثر من ذكاء المنصور أنه دخل المدينة فقال للربيع : اطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس ، فجاءه رجل ، فجعل يعرفه الدور ، إلا أنه لا يبتدىء به حتى يسأله المنصور ، فلما فارقه أمر له بألف درهم .

فطالب الرجل الربيعَ بها ، فقال : ما قال لي شيئاً ، وسيركب فذكره .

فركب مرة أخرى ، فجعل يعرفه ، ولا يرى موضعاً للكلام ، فلما أراد أن يفارقه قال الرجل مبتدئاً :

وهذه يا أمير المؤمنين دار عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

يـا بيـت عـاتكـة الـذي أتعـزل   حذر العدى وبك الفؤاد موكل

فأنكر المنصور ابتداءه ، فأمرَّ القصيدة على قلبه فإذا فيها :

وأراكَ تفعـل مـا تقـول وبعضهـم   مَـذِقُ اللسـان يقـول مـا لا يفعـل

فضحك وقال : ويلكَ يا ربيع! أعطه ألف درهم » .

٥٩٤- معاتبة للنفس شديدة :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ١٩٢) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٣٦٨-٣٦٩) في ترجمة الرباني القدوة العابد رياح بن عمرو القيسي أبو المهاجر البصري الزاهد رحمه الله ما نصه :

« عن مالك بن ضيغم قال :

جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر ، فقلنا له : إنه نائم .

فقال : نومٌ هذه الساعة ؟! أهذا وقتُ نوم ؟!

ثم ولى منصرفاً ، فأتبعناه رسولاً ، فقلنا : قل له : ألا نوقظه لك ؟

وقال : فأبطا علينا الرسول ، ثم جاء وقد غربت الشمس ، فقلنا له : أبطأت جداً ، فهل قلت له ؟

قال : هو أشغل من أن يفهم عني شيئاً! أدركته وهو يدخل المقابر ، وهو يعاتب نفسه ، وهو يقول :

أقُلتِ : نومٌ هذه الساعة ؟ أفكان هذا عليكِ ؟ ينام الرجلُ متى شاء! وقلتِ : هذا وقتُ نوم ؟ وما يدريك إن كان هذا ليس وقت نوم ؟ تسألين عما لا يعنيك ، وتكلَّمينَ بما لا تعلمين ؟ أما إن لله عليَّ عهداً لا أنقضه أبداً أن لا أُوسدكِ الأرض لنومٍ حولاً إلا لمرضٍ حائل ، أو لذهاب عقلٍ ذاهل .

سوءة لك! أما تستحين ؟ كم توبَّخين وعن عيبك لا تنتهين ؟

قال : وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني ، فلما رأيت ذلك انصرفتُ عنه وتركته » .

٥٩٥ـ ترك التين لأنه يشرب من عين السلطان :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله (٤/ ٦٧٥) في ترجمة الفقيه المالكي محمد بن موهب التجيبي أبو بكر الحصار المعروف بالقبري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابن حسان : كان شديد الورع والزهد مجتنباً للسلطان .

اشترى يوماً تيناً فلما عده عليه بايعه ، أقبل يثني له عليه أنه يشرب من ناعورة السلطان .

فترك التين عنده ودفع إليه ثمنه ، وقال لبائعه :

أمسكه إلى أن أقضي حاجة ، فإن أبطأت عليك فتصدق به ، ومضى لسبيله » .

٥٩٦ـ ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم :

جاء في تهذيب الكمال للمزي (١٠/ ٥٤٣) في ترجمة الإمام العابد الزاهد سعيد بن عبد العزيز الدمشقي أبو محمد التنوخي فقيه أهل الشام رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أحمد بن أبي الحواري : حدثني أبو عبد الرحمن الأسدي ـ يعني مروان بن محمد ـ قال :

قلتُ لسعيد بن عبد العزيز : يا أبا محمد ، ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟

فقال : يا ابن أخي ، وما سؤالك عن ذلك ؟

قلت : لعل الله أن ينفعني به .

قال سعيد : **ما قمتُ إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم** » .

٥٩٧ـ أعطيت ربي بيقين ، وأنت أعطيته بتجربة :

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٧) في ترجمة الفقيه المالكي عبد الله بن وهب القرشي ولاءً أبو محمد المصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال عبد الله بن وهب المصري :

كان حيوة بن شريح يأخذ عطاءه في كل سنة ستين ديناراً .

قال : وكان إذا أخذه لم يطلع إلى منزله حتى يتصدق به .

قال : ثم يجيء إلى منزله فيجدها تحت فراشه .

قال : وكان له ابن عم فلما بلغه ذلك أخذ عطاءه فتصدق به ، ثم جاء يطلبه تحت فراشه فلم يجد شيئاً .

قال : فشكا إلى حيوة ، فقال له حيوة :

أنا أعطيت ربي بيقين ، وأنت أعطيت ربك بتجربة » .

٥٩٨ـ اللهم إني الليلة ضيفك :

جاء في كتاب المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي (١٠/ ١٩٨) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٣١٧) في ترجمة الإمام القدوة العابد الواعظ ، محمد بن يحيى بن علي القرشي اليمني الزبيدي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابن الجوزي :

حدثني الفقيه عبد الرحمن بن عيسى ، سمعتُ الزبيدي قال :

خرجت إلى المدينة على الوحدة ، فآواني الليل إلى جبلٍ ، فصعدتُ وناديتُ : **اللهم إني الليلة ضيفك** .

ثم نوديت : مرحباً بضيف الله ، إنك مع طلوع الشمس تمرُّ بقوم على بئر يأكلون خبزاً وتمراً ، فإذا دعوك فأجب ، فسرت من الغد ، فلاحت لي أهداف بئر ، فجئتها ، فوجدتُ عندها قوماً يأكلون خبزاً وتمراً ، فدعوني ، فأجبت » .

٥٩٩ـ إن تك مع الله في طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك :

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/١٤٩ـ١٥٠) وتهذيب الكمال للمزي (٦/١١٣ـ١١٤) في ترجمة الإمام الرباني القدوة سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال علقمة بن مرثد :

لما ولي عمر بن هبيرة العراق ، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيتٍ ، فكانا فيه شهراً أو نحوه .

ثم إن الخصيَّ غدا عليهما ذات يومٍ فقال : إن الأمير داخل عليكما .

فجاء عمر بن هبيرة يتوكأ على عصا له ، فسلم ، ثم جلس معظِّماً لهما .

فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إليَّ كتباً أعرف أنَّ في إنفاذها الهلكة ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن عصيته أطعتُ الله ، فهل تريان في متابعتي إياه فَرَجاً ؟

فقال الحسن : يا أبا عمرو أجب الأمير .

فتكلم الشعبي ، فانحط في حبل ابن هبيرة ، فقال :

ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟

فقال : أيها الأمير ، قد قال الشعبي ما سمعت .

قال : ما تقول أنت ؟

قال : أقول يا عمر بن هبيرة! يوشك أن ينزل بكَ ملكٌ من ملائكة الله ، فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك .

يا عمر بن هبيرة ، إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولن يعصمك يزيد من الله

يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقتٍ فيغلق باب المغفرة دونك .

يا عمر بن هبيرة ، لقد أدركت ناساً من صدور هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة .

يا عمر بن هبيرة ، إني أُخوفك مقاماً خوفكه الله ، فقال الله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

يا عمر بن هبيرة ، إن تك مع الله في طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك ، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله ، وكلك الله إليه .

قال : فبكى عمر بن هبيرة ، وقام بعبرته .

فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما فأكثر فيها للحسن ، وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار .

فخرج الشعبي إلى المسجد فقال :

أيها الناس ، من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل ، فوالذي نفسي بيده ، ما علم الحسن شيئاً فجهلته ، ولكني أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله عنه » .

● الخصي : الخادم .

٦٠٠ـ عاهدت الله عهداً أن لا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل :

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٤٩ـ٢٥٠) والأغاني للأصبهاني (٢/ ١٣٦ـ١٤٠) في ترجمة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك المرواني رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن شبيب بن شيبة ، عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال :

أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق .

قال : فقدمت عليه وقد خرج مبتدئاً بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ، فنزل في أرضٍ قاعٍ صحصحٍ متنائف أفيح ، في عامٍ قد بكر وَسْمِيُّه ، وتتابع وَلِيُّه ، وأخذتِ الأرض فيه زينتها من اختلاف أنوارِ نبتِها ، من نور ربيعٍ مونق ، فهو أحسن منظراً ، وأحسن مستنظراً ، وأحسن

مختبراً ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، لو أن قطعة أُلقيت فيه لم تُتْرَبْ ، وقد ضرب له سُرادق من حبرة كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن فيه فسطاط ، فيه أربعة أفرشة من خز أحمر ، مثلها مرافقها ، وعليه دُراعة من خز أحمر ، مثلها عمامتها .

قال : وأخذ الناس مجالسهم ، فأخرجت رأسي من ناحية السماط ، فنظر إلي شبه المستنطق لي .

فقلت :

تمَّمَ الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وسوغها بشكره ، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشداً ، وعاقبة ما تؤول إليه حمداً ، أخلصه لك بالتقى ، وكثَّره لك بالنماء ، لا كَدَّرَ عليكَ منه ما صفا ، ولا خالط مسروره الردى ، فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومستراحاً ، إليك يقصدون في أمورهم ، وإليك يفزعون في مظالمهم ، وما أجد يا أمير المؤمنين ـ جعلني الله فداك ـ شيئاً هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك مما مَنَّ الله به عليَّ من مجالستك والنظر إلى وجهك ، من أن أُذكرك نعم الله عليك ، وأنبهك لشكرها ، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف من الملوك ، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته عنه .

قال : فاستوى جالساً ـ وكان متكئاً ـ ثم قال :

هاتِ يا ابن الأهتم .

فقلت : يا أمير المؤمنين! إن ملكاً من الملوك خرج في عام مثل عامنا هذا إلى الخورنق والسَّدير ، في عامٍ قد بكر وَسْمِيُّه ، وتتابع وليُّه ، وأخذت الأرض زينتها من نَوْرِ ربيع مونق ، فهو في أحسن منظر ، وأحسن مستنظر ، وأحسن مختبر ، بصعيدٍ كأن ترابه قطع الكافور ، حتى لو أن قطعةً أُلقيت فيه لم تُتْرَبْ .

قال : وكان قد أُعطي فَتاءَ السِّن ، مع الكثرة والغلبة والقهر .

قال : فنظر ، فأبعد النظر ، فقال لجلسائه : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ هل رأيتم مثل ما أُعطيت ؟

قال : وعنده رجل من بقايا حملة الحجة ، والمضيِّ على أدب الحق ومنهاجه ، قال : ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته في عباده .

فقال : أيها الملك! إنك قد سألتَ عن أمرٍ أفتأذن بالجواب عنه ؟ قال : نعم .

قال : رأيت ما أنت فيه ، أشيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك ميراثاً من غيرك وهو زائل عنك ، وصائر إلى غيرك كما صار إليك ميراثاً من لدن غيرك ؟

قال : فكذلك هو .

قال : أفلا أراك إنما أُعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً وتغيب عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مرتهناً ؟

قال : ويحك! فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟

قال : إما أن تقيم في ملكك تعمل فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك ومضك وأرمضك ، وإما أن تضع تاجك وتلبس أطمارك وأمساحك ، وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك!

قال : فإذا كان بالسحر فاقرع عليَّ بابي فإني مختار أحد الرأيين فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا تعصى ، وإن اخترتُ فلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقاً لا تُخالف .

قال : فقرع عليه بابه عند السحر ، فإذا هو قد وضع تاجه ، ووضع أطماره ، ولبس أمساحه ، وتهيأ للسياحة .

قال : فلزما ـ والله ـ الجبل ، حتى أتتهما آجالهما ، وهو حيث يقول أخو بني تميم عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي :

أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهـ ـر أنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأ   يـام أم أنـت جـاهـل مغـرور
مـن رأيـتَ المنونَ خَلَّدنَ أم مـن   ذا لـديـه مـن أن يضـام خفيـر
أين كسرى ؟ كسرى الملوك أبو سا   سـان أم أيـن قبلـه سـابـور
وبنـو الأصفـر الكـرامُ ملـوك الـر   وم لـم يبـق منهـم مـذكـور
وأخـو الحَضْـر إذ بنـاه وإذ دجـ   ـلـة تجبـى إليـه والخـابـور
شـاده مـرمـراً وجللـه كلسـ   ـاً فللطيـر فـي ذراه وكـور
لـم يهبـه ريبُ المنون فبـاد الـ   ـمُلْـكُ عنـه فبـابـه مهجـور
وتـذكّـر ربُّ الخـورنـق إذ أشـ   ـرف يـومـاً وللهـدى تفكيـر
سَـرَّه مـالُـه وكثـرة مـا يمـ   ـلك والبحـر مُعـرِضٌ والسـديـر
فـارعـوى قلبُـه وقـال : ومـا غِبـ   ـطـة حـي إلـى الممـات يصيـر
ثُـمَّ أضْحَـوا كـأنهـم ورقٌ جـفـ   فـألـوت بـه الصبـا والـدبـور
ثـم بعـد الفـلاح والملـك والإمـ   ـة وارتهـم هنـاك القبـور

قال : فبكى ـ والله ـ هشام حتى أخْضَلَ لحيته وبلَّ عمامته ، وأمر بنزع أبنيته ، وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ، ولزم قصره .

قال : فأقبلت الحشم على خالد بن صفوان بن الأهتم فقالوا :

ما أردت إلى أمير المؤمنين ؟ أفسدت عليه لذَّته ، ونغَّصت عليه باديته .

قال : إليكم عني ، فإني عاهدت الله تعالى عهداً أن لا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل » .

● الغاشية : الزوار والجلساء . ● القاع : الأرض المستوية .

● الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ، ذات الحصى الصغير .

● متنائف : مرتفع . ● أفيح : واسع . ● الوسمي : مطر الربيع الأول . ● الولي : المطر يسقط بعد المطر . ● النَّوْر : الزهر الأبيض .

● لم تترب : لم يصبها التراب . ● السرادق : كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب . ● الحبرة : ثوب من قطن أو كتان . ● الفسطاط : بيت يتخذ من الشعر . ● السماط : جبة مشقوقة المقدم ، أو ثوب من صوف .

● الخورنق والسدير : قصران شهيران بناهما النعمان السائح ابن امرىء

القيس اللخمي . ● فتاء السن : الغلبة والقوة . ● الحجة : البرهان .

● مضَّه : آلمه وشق عليه . ● أرمضه : أوجعه . ● الأطمار : الثياب البالية . ● الأمساح : الكساء من الشعر وهو ما يطلق عليه ثياب الرهبان . ● الفلوات : جمع فلاة الأرض الواسعة المقفرة . ● هذا الملك هو الساطرون وكان من الجرامقة . انظر الكامل لابن الأثير (١/ ٢٢٤) .

● الموفور : التام من كل شيء . ● خفير : الحارس . ● ساسان وسابور : من ملوك الفرس . ● الخابور : نهر في أرض الجزيرة الفراتية . ● الكلس : ما تُطلى به الدور . ● معرض : متسع . ● ارعوى : كف وارتدع . ● ألوت به : ذهبت به . ● الصبا : ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار . ● الدبور : الريح التي تقابل الصبا . ● الإمة : النعمة . ● اخضل : نداه وبله . ● باديته : إقامته بالبادية .

❊ ❊ ❊

الخاتمة

وبعد :

فهذه هي صفحات مضيئة من حياة السابقين في جزئها الأول ، وقد احتوت المواقف والمواعظ والآداب والأخلاق .

عشنا معها لحظات ممتعة ، وأخذنا من خلالها دروساً وعبراً ، تنفعنا في دروب حياتنا المليئة بالمشاق والصعاب ، تخفف عن أبناء جيلنا ما يلقون من ضروب الأذى والتضييق ، فتفتح لهم أبواباً من الأمل مشرقة ، وتخفف عنهم الكثير من ضروب الاستهزاء والسخرية التي يلاقونها .

لحظات ممتعة تلك التي يقضيها المسلم الداعية مع هذه الصفحات لأنه يشعر أنه ليس وحيداً في الميدان ، فهناك هؤلاء الأفذاذ من عظماء هذه الأمة في ركب من أهل الصلاح والفضل ، يضرب بجذوره في أعماق التاريخ ، مبتدئاً بأول من وطئت قدماه هذه الأرض أبو البشر آدم عليه السلام ، ويمتد عبر القرون الخوالي ماراً بكل الأنبياء والصالحين حتى يصل إلى سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ وصحابته الأخيار ، ومن تبعهم بإحسان ، ممن أسهموا وشاركوا في بناء أمجاد هذه الأمة ، إلى أن وصل الركب في امتداده ليحط في رحالنا ، وينادي في أرضنا الإسلامية : أن هلموا يا أبناء هذه الأمة فاصنعوا أمجاداً كما فعل آباؤكم وأجدادكم ، وحادي الركب يحدو فيهم قائلاً :

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونصنع مثل ما صنعوا

لحظات ممتعة هي التي نقضيها ونحن نصل ماضينا بحاضرنا ، حين نكشف عن هذه الصفحات ، فلندع هذه الصفحات تلمس بإضاءاتها شغاف قلوبنا لتحطم حجب الران التي أحاطت بهذه القلوب ، ولتبعث فيها

إشراقات من الأمل بمستقبل واعد ، تعلو فيه كلمة الحق ، وتخفق بنوده في الآفاق ، والله القائل في كتابه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح : ٢٨] ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء : ٥١] .

وختاماً فالله أسأل أن يجعل هذا الجهد إسهاماً في تقريب اليوم الموعود ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

إبراهيم محمد العلي

عمان/ الأردن

الفهرس

* * *

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١